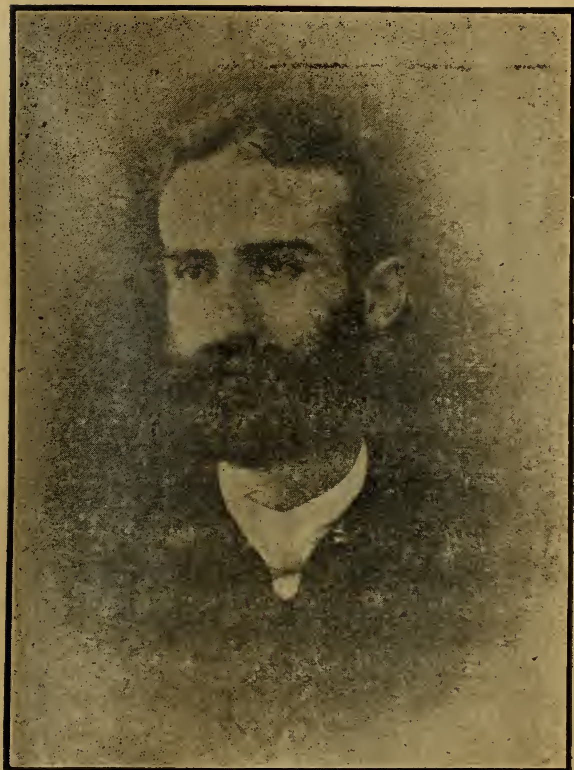


اديب بك اسحق

ترجمة الفقيد

صاحب الترجمة ركنٌ عظيمٌ من اركان النهضة الادبية الاخيرة وقد كان منشئاً بليغاً وشاعراً مجيداً وخطيباً مفوهاً وسياسياً حاذقاً خبيراً · ولد في دمشق الشام في الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٨٥٦ فلم ينفطم الا ظهرت عليه مخايل النجابة ودلائل النباهة والذكاء · ولما ترعرع ادخله والده مدرسة الآباء العازاريين فتلقن فيها من العربية والفرنسوية مبادىء كان يزداد بها في اوقات الامتحان تقدماً وتفوقاً على اقرانه الطلبة وكثيراً ما كان استاذه في العربية يقول لابيه في ذلك الحين « ان ابنك سيكون قوّالاً » اي شاعراً لان اكثر كلامه كان يرد مسجعاً موزوناً وهو لا يعرف وقتئذٍ شيئاً من آداب اللغة · وما بلغ العاشرة حتى اخذ ينظم الشعر كلفاً به في حين لم يطالع في العروض كتاباً ولا خاض من بحوره عباباً واتفق ان امرته أُصيبت في ذلك العهد بعطلة اعمال فشعر من نفسه بالحاجة الى اعانتها والتفاني في خدمتها، فزايل المدرسة وهو في اوائل الحادية عشرة من العمر وتولى الكتابة في الكمرك براتب مئتي قرش ودرس حينئذٍ مبادىء اللغة التركية فادرك منها في مدى بضعة اشهر ما لا يدركه غيره في بضعة اعوام

وفي ما عهد اليه من الاعمال وسيلة الى زيادة راتبهِ وتدرجه في الوظائف مكافأةً له على اجتهادهِ واعجاباً بذكائهِ على ان ذلك كلهُ لم يكن ما يشغلهُ عن شأنهِ الذي خلق له بل كان في ساعات الفراغ والراحة ينظم القصائد والموشحات و يقرأُ الكتب الانشائيـة في اللغات العربية والفرنسوية والتركية و يراسل اهل الفضل واولياء المجلات الادبية وله في السنوات الاولى من مجلة الجنان عدة كتابات والغاز ادرجناها في هذه الطبعة الثانية مع كثير من كتاباته ومنظوماتهِ مما لم ينشر في الطبعة الاولى

وما اتم الثانية عشرة من سنيه حتى كان لهُ ديوانٌ من الشعر تزيد ابياته على الالف منها القسم الكبير في الغزل والنسيب والقسم الاخر في المدح والعتاب والرثاء وسائر ضروب النظم عبثت باكثره تصاريف الدهر فلم يبقَ الا قسمٌ منه ظهر بعضه في نسخة الدرر الاولى واوردنا بعضهُ الاخر في هذه النسخة . ومن نظمه في اوائل صباه وقد اقترحت عليه بعضهنَّ ان يصفها وصديقة لها قوله مبتدهاً

واذا القريض اردتُ وصفكما به   لم يدرِ ايكما بحسنٍ يفضلُ
مـا فيكما عيب يشين وانما   كلٌّ باعين عاشقيها اجملُ

وفي السنة الخامسة عشرة من عمره استقدمهُ والدهُ الى بيروت ليعاونهُ في خدمة البريد فامتعرف فيها الى جلةٍ من الادباء والشعراء الافاضل كالشيخ فضل القصار ومصباح افندي رمضان وغيرهما وله معهم مطارحاتٌ ادبية ومراسلات شعرية اثبتنا اكثرها في الدرر وهي تدل على ما كان عليه رحمه الله من البداهة وسرعة الخاطر وتوقد الذهن وجودة القريحة مما يثبت له السليقة الشعرية

ثمَّ اضطرتهُ الحال مكرهاً الى ان يعود الى مهنتهِ الكتابة في كمرك بيروت ولكن ما لبث ان زايلها الى المقام الذي تعلو به الهمم وتغلو القيم حيث نزعت به نازعة العلى الى الاشتغال بفن الكتابة والانصباب على الانشاء فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشأتها الاولى زمناً غير قصير وقد ظهرت بعدئذٍ بمظهرٍ جديد من طلاوة العبارة وكان له فيها فصولٌ انشائية ومقالاتٌ سياسية وادبية دلت على ان هلالهُ سيصير بعد ذلك الحين بدراً كاملاً . وفي خلال قيامهِ بانشاء الجريدة وهو في السابعة عشرة من العمر ترجم قسماً من معجم المعاصرين (Les Contemporains) باقتراح

صاحب التقدم الا ان وسائلهُ المادية منعت من اظهار هذا الاثر الى عالم الوجود والف كتاباً سماهُ (نزهة الاحداق في مصارع العشاق) طبعهُ وقدمهُ الى احد وجهاء بيروت وترجم لصاحب التقدم ايضاً عن الافرنسية كتاباً في الاخلاق والعادات وكتاباً صحياً طبعا يومئذٍ وكلاهما غفلٌ من توقيعه وانتسابهما اليه وله عدة قصائد ومقاطيع في ديوان صاحبهِ المسمى (انيس الجليس) ثم دخل جمعية زهرة الآداب وقام فيها عضواً ثم رئيساً يلقي على مسامع اقرانهِ واخوانهِ الخطب البليغة والمباحثات الادبية المفيدة و ينظم القصائد الرنانة وشارك بعض الاعضاء في تأليف رواية للجمعية دعوها «الحادثة الصينية». وفي اوائل سنة ١٨٧٥ انتدبهُ جناب الفاضل سليم افندي شحاده للالاَته مع رصيفه المرحوم سليم الخوري على انشاء آثار الادهار فلبى الطلب واشتغل في تأليفهِ عاماً و بضعة اشهر وقد كان عامئذٍ في التاسعة عشرة من العمر ولهُ في ثلاثة اجزاء منه فصولٌ تدل على طول باعهِ وسعة اطلاعهِ وغزارة مادتهِ و بلاغة عبارتهِ. وفي خلال ذلك عرَّب رواية اندروماك عن راسين الشاعر الفرنسوي المشهور اجابةً لطلب قنصل فرنسا فترجمها ونظم اشعارها ورتب الحانها وعلم ادوارها في مدى ثلاثين ليلة ورفعها الى حضرة القنصل فمثلت ارفاداً للبنات اليتامى ثلاث مرات فتاتى من ر بعها خمسة وثلاثون الف قرش. ثمَّ شارك صديقهُ المرحوم سليم النقاش في تأليف وتعريب بعض الروايات التي مثلت في القطرين السوري والمصري ولم يلبث ان يمم الاسكندرية باشارة صديقهِ المشار اليه وفيها اصلح رواية اندروماك وحلاها بابيات جديدة من الشعر الرائق وعرَّب رواية شارلمان والف روايةً ثالثة سماها غرائب الاتفاق سرقت في جملة ما سرق من كتاباتهِ من منزلهِ في الحدث وقد مثلت هذه الروايات في الاسكندرية عدة مرَّات فحصل لها وقعٌ عظيم ونالت من استحسان القوم حظاً وفيراً ثم نزع الى ما هو اعلى من فن التمثيل وارقى وهو المقام الذي اعدتهُ له الاقدار فقصد المحروسة حاضرة البلاد المصرية ولازم فيها حيناً من الزمن العلاَّمة الفيلسوف الطائر الشهرة المرحوم السيد جمال الدين الافغاني فكان يحضر حلقتهُ و يأخذ عنه دروساً في الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطق وغير ذلك من الفنون والعلوم العليا . وفي اثناء ملازمته لجمال الدين رغب في انشاء جريدة عربية في مصر باسم «مصر» فتولى امتيازها وهيأ موادها في يوم واحد ولم يكن في يده

اكثر من عشرين فرنكاً وفي اليوم الثاني برزت تتجلى في ابهى مطرف من مطارف البلاغة في مقالاتها الانشائية ولما رأى من اقبال الناس على جريدته ما يشدّ الازر نقل ادارتها الى الاسكندرية مشاركاً في تحريرها المرحوم سليم النقاش فلقيت نجاحاً عظيماً وطارت شهرتها في الآفاق لانها كانت مبزغ نور البلاغة وواسطة عقد الانشاء انيقة العبارة واضحة الاشارة مخلصة للدولة والامة خدمت البلاد المصرية خدمةً تذكر بما كانت تنشره من المقالات الاخلاقية والفصول الضافية في تعريف الوطنية والدعوة الى الاعتدال في الحرية كما انها خدمت اللغة خدمةً توثر عنها بما كانت تأتي بهِ من الكلمات العربية للمصطلحات الافرنجية ثم انشأ كلاهما جريدة « التجارة » فاصدراها يومية وابقيا مصر اسبوعية فراجت بهما سوق الآداب وصناعة الانشاء وكانتا من اقوى دعائم النهضة الادبية اذ سلك على طريقهما اكثر الكتاب واتبع طريقتهما اهل الفضل ونسج على منوالهما طلاب الانشاء واختلفت بسببهما اساليب التحرير عما كانت عليهِ قبل ذلك العهد من التعقيد والتقييد واخذ الصحافيون يتأنقون في كتابتهم ويبالغون في تنقيتها من ادران الركاكة واللحن ولا سيما في التعريب لانهما كانتا تنتقدان كتابات الصحف وتهديانها بانتقاء الالفاظ سواء السبيل

وطرأ على مصر من الحوادث ما الجأهُ الى الارتحال عنها فسافر الى باريس وهناك انشأ جريدةً سماها القاهرة وقد صدّرها بهذه العبارة « ما تغيرت الحقيقة بتغير الرسم ولا تغيرت الصحيفة بتغير الاسم بل هيَ هيَ مصر خادمة مصر » ثم ما لبث أن جلاها باسمها الاول فاصدرها باسم مصر وكتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة اضربنا عن نشرها لما فيها من آثار حدة المزاج في توجيه الخطاب الى بعض المقامات العالية وهو ما اشرنا اليه في مقدمة الطبعة الاولى حيث اعتذرنا عن ايرادها بقولنا اننا توخينا نشر آثارهِ منتخبةً من فصوله ومقالاته واشعارهِ ورواياتهِ ورسائلهِ ومصنفاتهِ مجردةً مع ذلك من كل ما جاء ناشئاً عن الحَدة او كان يحمله على تحدّيه نزق الشباب

ومن حينٍ الى حين كان يكتب مقالاتٍ عن الشرق في بعض الصحف الفرنسوية والف هناك كتاباً سماهُ «تراجم مصر في هذا العصر» فقد في جملة ما فقد من آثارهِ ·

وقد حصلت له في باريس حظوة موصوفة باقلام بعض كتاب الجرائد الباريسية وصاحب جريدة تركية كانت منشأة في تلك العاصمة وتعرف فيها ببعض الكبراء من رجال الدولة الفرنسوية و ببعض العلماء والادباء وحضر في مجلس النواب جلسات كثيرة فزادته خطب البلغاء منهم اقداماً على الخطابة ودخل مكتبة الامة فيها فطالع عدة مؤلفات من المخطوطات العربية القديمة ونسخ عنها نتفاً كثيرة

وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرضت للمؤثرات بسبب عصبية مزاجه وما كان عليه رحمه الله من قوة التصور و بداهة الخاطر وحدة الذهن واباء النفس وعلو المطمح وما كان يجول في طريق مبادئه الحرة وقواعده الصحيحة من العقبات التي عززتها تقلبات الزمان وايدها ريب الدهر فلما ذهب الى باريس اتفق ان بردها كان قارساً في منتهى الشدة حتى هبط ميزان الحرارة الى الدرجة الثلاثين تحت الصفر ولم يكن على اهتمام بصحته التي جعلها وقفاً في سبيل الخدمة العمومية فأصيب هناك بعلة الصدر وتألم منها مدة الشتاء ثم عاد الى بيروت مصدوراً فعهد اليه صاحب التقدم في تحرير جريدته فتولى كتابتها للمرة الثانية وكان له فيها فصول رائقة ومقالات شائقة تشهد بمكانته من صناعة الانشاء حرية بان يحتذى على مثالها الكاتب و ينسج على منوالها المنشىء واقام على ذلك نحواً من سنة فلما تأتى التغيير والتبديل في الوزارة المصرية اواخر سنة ١٨٨١ عاد الى مصر مدعواً اليها فودعه اصحابه وخلانه بنفوس آسفة على فراقه فلم يكن ثمت قلب غير مائل الى استصحابه وكان في جملة من ودعه من الوجهاء والادباء سعادة حسن افندي بيهم قائلاً له ساعة الوداع

أنا نودع روحنا وفؤادنا ومع الاديب نودع الادابا

فاجابه بقوله « ليس ببقائك وداع للاداب » ثم اتى القاهرة فعين ناظراً لقلم الانشاء والترجمة بنظارة المعارف ورخصت له الحكومة في العود الى نشر جريدة « مصر » فاصدرها اولاً في شكل كراسة ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات وعين علاوة على وظيفته الاولى كاتب اسرار لمجلس النواب وفي خلال ذلك نال الرتبة الثالثة واستلم براءتها يداً بيد من ساكن الجنة الخديوي الاسبق ثم احال امتياز الجريدة الى شقيقه تفرغاً لمهام وظيفته الا انه كان بالرغم عن تقيده بالخدمة وعما كان عليه من الاعتلال يكتب القسم الاكبر منها . ومما يؤثر عنه رحمه الله انه

لما التمست له الرتبة المشار اليها سعى احدهم في ايغار صدر الخديوي ليحال بذلك دون صدور البراءة فاتصل نبأُ السعاية بصاحب الترجمة وكان مريضاً ملازماً فراشهُ فهبَّ على الفور متأثرًا منفعلاً يغالب المرض والضعف وجاء ادارة المطبعة التي كانت تطبع فيها جريدة مصر وهي في عهدة شقيقه فرأى الجريدة تحت الطابع فاستوقف طبعها وكتب ببضع دقائق مقالة عنوانها (الجاسوسية) يستحيل على غيرهِ ان يكتبها في بضع ساعات وصف فيها الرجل الذي سعى به ونمَّ عليه وصفاً تصويريًا ببلاغةٍ تزري بالدرر الغوال وبيانٍ هو السحر الحلال وقد كان لها رنةٌ في مصر ووقعٌ عظيم حتى بيع من العدد الذي نشرت فيه ما يزيد على الفي نسخة في القاهرة وحدها . ولما طرأت الحوادث العسكرية وكان من اصحاب الدعوة الى الاعتدال عاد الى بيروت في جملة المهاجرين الى القطر السوري وبعد ان حلَّ الانكليز في الاسكندرية وساد الامن على ربوعها جاءها مرة اخرى في التماس شأنهِ الاوَّل فلم يحصل عليهِ فابعد الى بيروت بعد ان اُودع السجن بضع ساعاتٍ نظم في خلالها ابياتًا ذيل بها قصيدة في مدح المغفور له سلطان باشا منها قوله

أمولاي هذا نظم حرٍ وتلوهُ كلام سجينٍ اوثقتهُ المآثرُ
اتوهُ بنكرٍ وهوَ للعرف مرتجٍ وجازوهُ بالخذلان وهوَ مناصرُ
ايبعدُ ذو فضلٍ ويدنى منافقٌ ويسجن وافٍ حين يطلق غادرُ
ويكرم جاسوسٌ عن الصدق حائدٌ ويظلم همامٌ على الحقِّ سائرُ
ويرفع نمامٌ عن الريب كاشفٌ ويخفض كتامٌ على العيب ساترُ
(بذا قضت الايامُ ما بين اهلها) معائب قومٍ عند قومٍ مفاخرُ
على انني والشينُ تأباهُ شيمتي لراضٍ بعقبى ما وفيتُ وصابرُ
فان لم تفدني للوفاء اوائلٌ عقدتُ رجائي ان تفيد الاواخرُ
وما ارتجي فيه من الناس نائلاً ولكنني للبرِ والعرف ذاكرُ

ولما عاد الى بيروت تولى فيها تحرير جريدة التقدم للمرة الثالثة وخلال ذلك طبع رواية البار يسية الحسناء التي كان قد عربها في اوائل صباهُ فجاءت في البلاغة آيةً من اياته البينات وقد روي عنه رحمهُ الله انه زار العلامة المحقق واللغويّ المدقق الشيخ ابرهيم اليازجي وبيدهِ نسخةٌ من البار يسية هديةً اليهِ فوقع نظرهُ وهوَ في بيت العلامة

المشار اليه على بيتين كان قد نظمهما وكتبهما على رسمٍ له ليقدمهُ هديةً الى احد اخوانهِ وهما

رسمٌ يلوح بهِ سقمي بحبكمُ   وفي الاضالع وجدٌ ليس يرتسمُ
الروح في يدكم والله ما برحت   منذ القديم وهذا الجسم فاستلموا

واتفق ان صاحب الترجمة كان قادماً من محل مصورٍ اخذ رسمهُ بالفوتوغراف وسلمهُ المرسوم فاستأذن الشيخ في اقتباس معنى بيتيه ونظم بيتين وكتابتهما على احد تلك الرسوم فاذن له في ذلك فكتب من فوره على الرسم هذين البيتين

يامن اذا غابَ عني   اقولُ ياروح روحي
اهديكَ رسمي كأني   ابعثُ جسمي بروحي

فتلطف العلاَّمة المشار اليه قائلاً لهُ «من سرق شيئاً وقد استرقهُ فقد استحقهُ»

ثم اشتدَّت عليهِ علة الصدر فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر مستفيداً من ملائمة هوائها لصحته فالتمس الاذن في الرجوع اليها بواسطة المغفور له سلطان باشا فاجابت الحكومة المصرية ملتمسهُ فاتاها واحلهُ اهلها محلاً من التجلة والاكرام فاقام في مصر اياماً قليلة ثم عاد الى الاسكندرية فصرف بضعة ايامٍ في محطة الرمل التماساً للعافية ولكن ضاقت عليه سعة العمر فلما لم يرجُ الاطباء له شفاء اقنعوهُ بالعود الى اهلهِ في ثغر بيروت فعاد اليها وذهب تواً الى مصيفهِ بالحدث في جبل لبنان ولم يمضِ على عودتهِ ثلاثون يوماً حتى توفاهُ الله غير متجاوز من العمر تسعاً وعشرين ربيعاً وكان رحمه الله طويل القامة والعنق مع انحناء قليلٍ ابيض اللون براق العينين

عريض الجبهة بارزها جهوري الصوت طلق اللسان ثبت الجنان لطيف الحديث ذكيًا نبيهًا مقدامًا حادّ الذهن ابيّ النفس سليم القلب حسن الطوية وكان كما وصفه صديقه الكاتب الفاضل الشيخ اسكندر العازار « رايةً في علم اللسان وايةً في صناعة البيان وغايةً في حبّ الانسان وكان فتىً ولا كالفتيان جريئًا في الحق ما اخذته فيه لومة لائم وما رهب فيه وعيدًا بل ما كان له شعارًا في مثل هذه الحال او مثلها من الاحوال الا قول من قال

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموت جبانا

عاش حرّ الضمير فكرًا وقولاً وعملاً ومات حر الضمير قولاً وفكرًا وعملاً نشا وطنيًا خالصًا صحيحًا وعاش جنديًا لاشرف الاصول واسمى الغايات وانفق في خدمتها من روحه ما كان ينفخ في القلم من الروح وجاهد جهادًا جنسيًا بنفس كبيرة اعيت بدنه وقوضت اركانه فصحَّ فيه

واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الاجسامُ

كان زهرة الادب في الشام وريحانة العرب في مصر وكان للوطنية نصيرًا و بالانسانية بشيرًا ولاعدائها نذيرًا »

او كما وصفه صديقه ورفيق حياته المرحوم سليم نقاش « واسطة عقد الخطباء فصيحًا بليغًا قويّ التصور حادّ الذهن حاضر الفكر سريع الخاطر متين الحجة صحيح البرهان ثابت الجنان وكان واسع المعارف طويل الباع في السياسة والمباحث العلمية والمناقشات اللغوية والمساجلات الادبية والمدح والهجاء والتابين والرثاء وحسن الرواية واحكام طرق الاخبار والحكاية والتفنن في اساليب الجد والهزل والعذر والرجاء واللوم والعتاب والتنصل منهما بمناصحة الخلان والاحباب والمغازلة والمداعبة والحزن والطرب وسائر فنون الادب وكان شاعرًا بليغًا مبتكرًا مجيدًا موثرًا مرقصًا مطربًا محزنًا مبكيًا يلعب بالعقول بين الرقة والانسجام و ياخذ بالالباب على ابدع

نظام في نظم الكلام وكان موصوفًا برقة الجانب ولطف المحاضرة ولين الطباع وحسن الوفاء سريع التأثر والانفعال طيب القلب سليم النية عنبري الصيت مسكي السمعة مستقيم الشان رضي الخلق لا يتولاهُ الحسد ولا يمتلكهُ الطبع ملتهبًا غيرةً على ابناء جنسهِ عزيز النفس ابيها طاهر السريرة انوفًا من غير كبرياء مقدامًا جسورًا بلا عجب ولا خيلاء حكيمًا ذكيًا سمح اليدين سخيًا محسودًا على ما كان فيهِ من النجابة والنباهة مشكورًا على ما كان مفطورًا عليه من النزاهة » اه

وقد اشتهر رحمه الله خصوصًا بالخطابة والانشاء فكان اذا خطب افصح وابدع لا يترك لاحدٍ مقالاً ولا يبقي لناقدٍ مجالاً يهتز له المنبر وتنقاد له المعاني والالفاظ آخذًا بعضها برقاب بعض . وكان قدوة المنشئين وعمدة الكتاب ونابغة من نوابغ القرن التاسع عشر ولو فسح الله في عمرهِ لخدم الاوطان خدمًا قلَّ ان يستطيع سواه مثلها و بالجملة كان ايةً من ايات القدرة ومعجزةً من معجزات الحكمة

ومن محاسن نظمهِ وفيهِ سلامة الاختراع بضعة ابياتٍ ارسلها الى احد الكبراء بمصر وهيَ

مدحتكَ لا املاً بالنوالِ ... وان كنتَ ممن ينيلُ الاملْ
ولكن رأيتكَ فذًا بارضٍ ... همى كلُّ فضلٍ بها وهملْ
تقولُ وتفعلُ ما قلتهُ ... وما كلُّ من قال قولاً فعلْ
وشمتُ القريضَ كثيرَ الكذابِ ... ونجمُ الحقيقة عنهُ افلْ
فجئتُ بمدحك اصدق فيهِ ... ارادةَ اصلاح هذا الخللْ

ولهُ من قصيدةٍ نظمها في ايام صباه

ايها الظبيُ الا ما ... ذا التجافي وعلا ما
قد سلبتَ البدرَ والغصنَ ... محيًا وقوا ما
وتخذتَ الراح والبرقَ ... رضابًا وابتساما
وجعلتَ الفرقَ والفرعَ ... صباحًا وظلاما
فلماذا تهدي وتغوي ... بمعانيكَ الاناما

ومنها

يا كثير الفضل قد ذلتَ للشعرِ ... الكلاما
فرأينا لك شعرًا ... علم السجعَ الحماما

ومنها يا صديقي والليالي تلبس الرأس الثغاما
كيف ترجو النظم ممن زود العشقَ السلاما
وتناسى عهدَ ظبيٍ سلبَ الرشدَ الاناما
سدل الشعرَ فقالوا التحف البدر الغماما
وغدا يبسم حتى كشف البرق الظلاما
ومنها قد مضى عهد غرامٍ كان في القلب ضراما
وهجرتَ الشعر لما اهتضم العمر اهتضاما
وعجيبٌ شأن طفلٍ رام في المهد الفطاما

ولهُ قصيدةٌ طويلة نظمها بعد حوادث سنة ١٨٨٢ في وصف تلك الحوادث ثم رفعها الى المرحوم شريف باشا رئيس الوزارة المصرية اذ ذاك وهيَ من غرر القصائد قال في مطلعها

عجْ بي على تلك الطلول ونادِ اني تحمل اهل هذا النادي
هل صادهم شرك الردى فابادهم صرفٌ اناخ على ثمود وعادِ
ما غادروا الاوطار في اوطانهم مذ حاذروا غدر الزمان العادي

ومنها

يا وارد الاسكندرية طامعاً بمنافع الاصدار والايراد
أقصورها خفيت عن الانظار ام اثار لقصرَ في القفار بوادِ
ام تدمرٌ قد دمرت وعمورةٌ ما عمرت ام دار ذي الاوتادِ

ومنها

كانت ملاذ الخائفين فاصبحت والخوف منها مبعد القصادِ
كانت مراتع نعمةٍ فغدت وما فيها سوى البؤساء للمرتادِ
فابادها جهلٌ خفيٌ ما بدا مثلٌ له من حاضرٍ او بادِ

جهل الذي رام الاماني وهي في ... قمم الجبال وكان دون الوادي
وعدا ومـا لقي الثعالب عمره ... يبغي اقتحام عرائن الآساد
وسعى الى الشورى ولكن خالها ... لمـا تهتك برفع استبداد

وقوله

شقيت بزلتـه الجموع وطالما ... اشقت جموعاً زلة الافراد
وتلاه في سبل الغواية معشر ... زلوا وضلوا حيث ضل الهادي
غرسوا الجناية في الجنون فما جنوا ... مـما جنوه غير شوك قتاد
خلعوا الشعار المستعار من الحيا ... فتقمصوا عاراً الى الاباد

ومنها

فاتام رعد المـدافع مبرقاً ... فنبوا عن الابراق والارعاد
وسطوا على المستأمنين خيانةً ... لم تشف منهم غلة الاحقاد
ورموا بنارهم الديار و بددوا ... ما استجمعت من طارف وتلاد
نكر عرفنا منه ان لبعضهم ... بز اللصوص و بزة الاجناد
ونقيصة يسعى بها ابناؤهم ... لمقابر الآباء والاجداد

الى ان يقول

ياهولها من ساعة مرت بمـا ... زهقت به الارواح في الاجساد
كم حامل خرجت بهـا محمولةً ... فوق الكواهل او على الاعواد
ومصونة نفسا تقول لصحبها ... ياليتني قـد مت قبل ولادي
ومباه يدميه لمس حريره ... طفل قريب العهد بالميلاد
ومعمر لم يبق في الدنيا له ... غير السكينة من منى ومراد
نشروا عراةً واجفين فيومهم ... يوم المعاد اتى بلا ميعاد
والنار موقدة سرت من خلفهم ... فكأنها حيات بطن الوادي

والجند شرَّدهم قتال عدوهم فرَقاً فلم يتجلدوا لجلادِ
ونضوا على اهل السبيل بواتراً في الحرب ما نضيت من الاغمادِ
فهمُ اللصوص وان همُ قد اوهموا ان ليس ما ارتكبوه غير جهادِ
و بلادهم قد نالها من عارهم ما لم يحق في عهدنا ببلادِ

ومنها في التخلص

حييت فلولا السابقون ومجدهم وبقاه من ولدوا من الامجادِ
وموءيدٌ فردٌ اميرٌ عادلٌ اربى بمفردهِ على الاعدادِ
وعصابةٌ كانت قلائد فضلهم ابهى من الاطواق في الاجيادِ
لم تلقَ في مصرٍ ومصر عزيزة من قائلٍ هذي البلاد بلادي

وفي رسائلهِ الدالة على حسن بيانهِ رسالة بعث بها الى صديقهِ سعادة عبد السلام باشا المويلحي بمصر وهي

لولا دلالة القلب على صفآء الوفاء وهدايـة النفس الى بقآء الاخاء لغالبت الشوق في استطلاع اخبارك منك ووقفت القلم على شكوى هجرك اليك مخافة املالك بما انت غنيٌّ عنه وكراهة اعناتك بما انت زاهد فيه ولكني عهدت بين جنبيك قلباً لا يحولهُ تغير الاحوال ولا يبدلهُ كرور الايام والليال فانا نخاطبهُ بما يمليه الشوق عليَّ رضيت ام غضبت وسكتَّ ام اجبت

اي قلب من نحب ونكرم ونجل ونعظم لقـد اتصلنا منك باسباب مودة واعتلقنا فيك باهداب صداقة فهل انت ذاكرٌ معاهدنا بذات الوفاء ليالي هجرنا الرقاد اليك وقصرنا الوداد عليك ورضيناك من الدنيا نصيباً واخترناك من العالمين حبيباً كيف لا وقد لازمك الصفاء وصافاك الوفاء فصفوت على كدورات الايام ووفيت على خيانة الانام فان عدلت وما عدلت فعلى الدنيا السلام . اه

ولهُ جوابٌ على كتابٍ ارسلهُ اليه صديقهُ الفاضل اديب افندي نظمي من

دمشق وهو :

ياسيدي بل يا اخي فالاخاء واجبٌ عرفناه والسيادة حكمٌ ما اعترفناه والادب رحمٌ تقطعها الكلفة والكلفة لبسةٌ تمنعها الالفة والالفة بيننا معقودة اسبابها بالصفاء عالقةٌ اهدابها بالوفاء

فيا الف اخي خطاباً لا املّ لفظه ولا اهمل حفظه لقد سمتني بكتابك ما لا اطيق واستعبدتني بحرّ كلامك الرقيق فمن لي بالرقة التي حويت والمزية التي ملكت والفضل الذي اصبت والكمال الذي ادركت لاخاطبكَ بلسانك واكاتبكَ بمثل بيانك ولكن ما لا يدرك جله لا يترك كلهُ ولكل درجات مما عملوا

فما تجود يدٌ الا بما وجدت ولا تكلف نفس غير ما وسعت

ولستُ اعتذر اليك فيما كان ظهورهُ منك ولكن الوذ بحلمك من حكم علمك واعوذ بفضلك من سهم عذلك

اما الصديق (فلان) فقد جعلت صحيفتهُ البيضاء ميثاقاً عليه انهُ اتخذ محبهُ صديقاً ورضي به خليلاً لا يملهُ ولا يروم عنهُ عدولاً . ثم سجلتهُ في محكمة الوفاء تسجيلاً واشهدت عليه من اهل العهد شهوداً عدولاً . (١) واما الصديق (فلان) فقد عددت سكوته خطاباً يكون لكتابي السابق جواباً لا يواخذني فيه على ان وحدت ثالوثكم وما افردتُ لاقنومٍ كتاباً بل يعد ما صدر عن واحدٍ منبثقاً عن الكل بالاتفاق وان لم يكن من القائلين بكلية الانبثاق (٢)

---

(١) المكنى عنه بفلان في هذه الفقرة هو نعسان افندي الشرابي وسر الصحيفة البيضاء المشار اليها في الكلام عنه انه بعث اليه بكتاب لا يتضمن سوى اسمه في مكان التوقيع

(٢) المقصود بهذه الاسطر هو جبران افندي لويس والنكتة فيها ان الفقيد ارسل اليه والى نعسان افندي واديب افندي كتاباً مشتركاً فاجابه الاخيران وامسك هو عن الجواب

فتفضلوا جميعًا بقبول سلامٍ يمتزج به القلب وتتحد به النفس شوقًا اليكم يا احب الناس الينا و يا اكرم الخلق علينا

وقد اجتزأنا بقليلٍ من رسائله البليغة دلالةً على سائرها وعلى ما اوتيه من بلاغة العبارة ورشاقة الاسلوب وحسن البيان فتبارك الله الكريم الوهاب يمنع من يشاء و يعطي من يشاء بغير حساب

ع ١٠

ترجمة حياة الفقيد الاديب

(عن الطبعة الاولى)

﴿ بقلم حضرة الكاتب الفاضل والمنشي البليغ ﴾

﴿ جرجس افندي مخائيل نجاس ﴾

هو الحي الباقي

اي مقتني هذه الصفحات أجارك الله من لهفة المحزون على فراق العزيز الهاجر هجرَ ساعة الصفاء في اليوم الغابر · وحماك الله من لوعة الكئيب الصابر صبرَ الضعيف على حكم القدر السائر · ووقيتَ غدر الزمان وصرف الحدثان ونوازل الايام وما رأيت من عبر الدهرِ بالانام وعفيتَ من كلمة المتوجع ووقفة المتفجع وغنة البكاء وترديد الرثاء · ثم لا اراك الله مصاباً تجد فيهِ بالتلهفِ مثلي ولا اذاقك كأساً تنشد بعد تجرعهِ قولي

جمد الماءُ رهبةً وارتياعا وجرى الصخرُ أنَّةً والتياعا
وضياءُ الهنا استحالَ ظلاماً والى المحوِ مطلقاً قد تداعى
مذ هوى من مشارفِ المجدِ طودٌ راسخٌ جاوَز السماكَ ارتفاعا
يومُ هولٍ بكاؤنا اشتدَّ فيهِ فملأنا من الدموعِ البقاعا
فيه خلنا من الأسى كلَّ طفلٍ نائحاً قبل أن يتمَّ الرضاعا
لفراقِ الاديبِ من كان يرعى محضَ ودٍّ وقد غدا لا يُراعى
يحلولِ القضاء بالموت بالرز ءِ الاليم بما ابتلانا وراعا
يا تُرى هل ترى ودوداً صفياً ليس من بعد الخطبِ يشكو الصداعا
ايها الراحلُ العزيزُ المفدّى قف قليلاً لنستزيد الوداعا
من بنانٍ يعنو اليراعُ لديهِ من لسانٍ به ملكتَ السماعا
من بيانٍ استغفرُ الله هو السحرُ م لهُ تسجدُ العقولُ انصياعا

كيف تنأى وقد تركتَ نفوساً تتمنّى نزْعاً وبعدُ انتزاعا
لا وحق الولاء لم يبقَ منا من يُرَجّي من الحياةِ انتفاعا
بعد خطبٍ اقلُّ ما فيه نروي كل نفسٍ اليكَ طارت شعاعا
بعد رزء بكت عليك المعالي فيه واليأسُ قد تولّى اليراعا
ايُّ عينٍ تكفكفُ الدمعَ والهجرُ طويلٌ رغبتَ فيه انقطاعا
ايُّ قلبٍ لم يجرحِ اليوم والصدُّ بعيدٌ لزمتَ فيه امتناعا
آه لو كنتَ تنظر القومَ خلفَ النعشِ يرجونَ بالفقيد اجتماعا
بكَ يا من اضاعهُ العلمُ مأسو فًا عليه وايُّ ذوقٍ اضاعا
كم رأينا يراعك الحرَّ في كلِّ مجالٍ جرى يرومُ اتساعا
وسمعنا على المنابر من فيكَ الخطاب البليغ يشفي الصداعا
ورأيناك في الجدال اماماً ومن القرنِ فيه اطولَ باعا
وعرفناك في السياسةِ بالأو طانِ تخشى على الحقوق الضياعا
ما ذكرناكَ حقّ ذكرك في الاقوالِ فضلُ الاديبِ ذاعَ وشاعا
ان راينا سفينةً في بحارِ المجدِ تجري حُسِبتَ انتَ الشراعا
أو بسوق الاداب رمتَ اتجارًا كنتَ في القومِ من شرى ثم باعا
يا حبيباً صفا له الوقتُ في عمرٍ نضيرٍ وللترقي استطاعا
لكن الدهرُ لم يدع من سبيلٍ فيه تزدادُ عزةً وارتفاعا
هكذا الناسُ بين حرٍّ وغرٍّ قبل ذا قد مضوا تباعاً سراعا
وكذاك الباقون يمضون طرًّا بعد ذا للثرى ثلاثاً رباعا
فتصبرْ يا قلبُ فالموت عبدٌ منفذٌ للالهِ امرًا مطاعا

كفى وما كنت لأُمسك في الرثاء عن الزيادة لولا ان بعض السادة الفضلاء قد وفوا الفقيد حقهُ من الوصف في صدق البيان كما يرى القارئ اللبيب في باب اقوال الجرائد وقسم مراثي الشعراء الذين اولونا من فضلهم غنىً عن بقية الرثاء بما شهدت شهرة آدابهم لاديبنا المفقود مما لا يسع هذا المقام له ذكرًا

ولقد كان في النية على عهد الصديق الخالدة لهُ في الفواد آثار الاسف المبرّح عزيزنا المرحوم سليم النقاش ان نجمع شتات ما ترك الفقيد من اثار علمه وادبهِ منتخبةً

من فصوله ومقالاته ورسائله ورواياته واشعاره ومصنفاته وسائر مـا خطبه باللسان وخطهُ بالبنان مجرَّدًا مع ذلك من كل ما نشأ عن الحدة التي عرفتها بنزق الشباب في احدى ملاحظاتي الواردة في هذا الكتاب ساعين الى هذا القصد من طريق حفظ تلك لاثار التي لم تطبع في كتاب مخصوص ضنًا بها ان تبقى متفرقةً منثورة لا تجمعها صفحات جامعة ولا ترعاها بعد فقد الحبيب آذان سامعة وقد كانت للبلاغة مثالاً وللبراعة عنوانًا وعلى الذكاء والنباهة برهانًا وكانت ولا مراء خلاَّبة نهىً بدقة المعاني وسلافة رقةٍ في كؤوس الالفاظ

فتنفيذًا لهذا المشروع تحصَّل لنا بعض ما جلَّ من اقواله المنثورة وفصوله المنشورة في بعض صحف بيروت ولا سيما صحيفة التقدم التي تولى تحريرها في ازمنة مختلفة فاضفناها الى ما جمعناهُ من منشوراته الادبية والسياسية الآخذة باسباب الاعتدال المتجافية عن مواطن الجفاء مما هو مثبت في جرائد مصر والعصر الجديد والمحروسة والى المحفوظ من بقية نثره وشعره مما لم ينشر في الجرائد ولم تسمح له فسحة الاجل بطبعه

ولكن حالت دون المرام اذ ذاك فاجعة السليم فبقي المشروع في طي الخفاء الى ان سنحت الفرصة لهذا العاجز فانتهزتها مأذونًا من صاحب الحق في طبع هذه المنتخبات حضرة الصديق الوفي الاروع عوني افندي اسحق شقيق الفقيد بعد استشارة حضرة والده الجليل معتمدًا في تحقيق الامل بتعميم فوائدها على التهاب ارباب الذوق شوقًا اليها ورغبةً في اقتنائها مستندًا في جمعها بكتاب مخصوص من جريدة المحروسة حيث طبعت اقسامًا على فضل حكومتنا السنية وعناية رجالها العظام وموظفيها الكرام بنشر المعارف والآداب وترويج بضاعة الانشاء لطلاب القلم العربي في ظل اميرنا الوارف سيدنا السند صاحب النوائل والعوارف ايد الله سموه وعلاءه ورفع على هام الانام لواءه

وكنا قد عولنا على افتتاح المجموعة بترجمة حال الفقيد مأخوذًا بعضها عما نعلم العلم الشخصي و بعضها الآخر عن لسان شقيقه البارع مذكورًا بصحة الرواية وقد تم لنا ذلك فلبث محفوظًا في الذهن الى ان ظفر المشروع بالزمن المطلوب فاثبتنا الترجمة في مكانها من هذه المقدمة كما سيجيء

وتراكمت علينا مراثي الشعراء والادباء في ذلك الحين فكان منها ما يحكي السحر الحلال ومنها ما يزري بالدرر الغوال فاخترت من مجموعها ما ورد في قسم المراثي دلالة على مكانة الفقيد من البراعة والاجتهاد وحفظت منها لهذا المقام رثاءً بليغاً لحضرة صديقنا الكاتب اللوذعي اسكندر افندي العازار لعلاقته بترجمة الاديب ووصف شأنه فجعلته تمهيداً للترجمة وتوطئةً لما هو آتٍ في ايراد الحقائق من الكلام الصادق

قال .

ما طلعت على ادينا شمس الخميس ومــا عرف في صباحه وجه انيس استحكمت منه علة الصدر فما دفع الاطباء عنه مقدوراً وما محا الاحباء ما كان مسطوراً وما راقب الموت فيه اهلاً ولا عشيراً فتلاشى نفساً في نفَس وقبضت روحه عند الغلس فمات وعيناه البرقيتان منفتحتان ترسلان نوراً كانهما محدقتان الى فضاء الابدية

قضى في سفح لبنان حيث التمس العافية من الهواء والماء ومن اين للداء العياء دواء فاتصل نعي وفاته ببيروت الآسفة فلا تسل القلوب عما تمزّق ولا الصدور عما توقد ولا العيون عما جرى انك تكاد لا تجد الا رأساً قلقاً وصبراً مفترقاً ودمعاً مستبقاً وقلباً محترقاً فيا لله ما هذه البلية

كان رايتنا في علم اللسان وآيتنا في صناعة البيان وغايتنا في حب الانسان . كان والله فتىً ولا كالفتيان جريئاً في الحق ما اخذته فيهِ لومة وما رهب فيهِ وعيداً بل ما كان له شعاراً في هذه الحال او مثلها من الاحوال الأقول من قال

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموتَ جبانا

فعاش حرَّ الضمير فكراً وقولاً وفعلاً ومات حرَّ الضمير فكراً وقولاً وفعلاً يبكيه ضمير الاحرار وتندبه الحرية نشأ وطنياً خالصاً صحيحاً وعاش جندياً لأشرف الاصول واسمى الغايات وانفق في خدمتها من روحه مــا كان ينفخ في القلم من الروح وجاهد جهاداً جنسياً بنفسٍ كبيرة اعيت بدنه وقوضت اركانه فصحَّ فيه

واذا كانت النفوسُ كباراً تعبت في مرادها الاجسامُ

فمات شهيداً حميداً فقيداً وحق لاسمه ان يخلد الى الذرية

كان زهرة الادب في الشام وريحانة العرب في مصر فلا عجبَ اذا الفيت بنسيانه

احشاء الشآم شحاحا او لفقدانه امتلأت نواحي ارض مصر نواحا اي والانسانية كان للانسانية نصيرا ولاعدائها نذيرا و بالانسانية بشيرا فلتبكهِ الانسانية

و يا اخوان اديب المنتشرين في الارض مات اديب وأُدرج في كفنه واصابت الديدان مقيلا في بدنه واخرسه الموت في ترابه وحيل بيننا و بين خطابه فابكوا ما وجدتم في العيون دموعا ولا تسألوا قبلة الوداع فقد قبّلته عنكم جميعاً وقد

ودّعته و بودي لو يودعني   طيب الحياة واني لا اودعهُ

دفناه وتركناه ولو أقمنا ما نفعناه وهو من قبل قد نزعت اليكم روحه شوقاً فاوصاني بالقاء التحية

وانت يا شقيق الروح يا من اوحشت الدار ومن فيها وانست القبور وساكنيها يا مؤبن الامراء وراثي العلماء و باكي الادباء والكبراء والفقراء يا ايها الراقد بلا حراك ولا يجدر بتأبينك سواك يبكيك القلم يا اميره والحق يا اسيره يبكيك الاهل والاحباء فقد كنت ودوداً حبيباً و يبكيك الشعراء والكتاب والخطباء فقد كنت شاعراً وكاتباً وخطيباً . تبكيك المجالس يا خير جليس وتبكيك محاضر الانس يا خير انيس . تبكيك صحفٌ بعبراتها وترثيك صحفٌ بعباراتها ولا تسل عمن استرهن الامور باوفاتها فترجمة حالك ستفضح ما كان مستوراً تبكيك افاضل الكهنوت الحق انك كنت للافاضل عضداً كريماً . تبكيك الجمعيات الادبية . تبكيك بكاء اندروماك امك زهرة الآداب يا غصناً نضيراً وتسقيك الذكرى في كل عشية

واما الكئيب الكاسف البال رفيق صباك واعمالك واخوك في جهادك فاجثو بالذلة والاكتئاب عند ذلك التراب واستمطر دمع العين لهفا واستوقد نار الصدر أسفا وابكيك وارثيك ما بقي لي من الحياة بقية

واقسم بوحشتك آنسها الله و بغربتك رحمها الله اني مقيمٌ على ولائك محبٌ لاحبائك عدوٌ لاعدائك لا عزاء لقلبي الأسوان الا التأسي بان تجمعني واياك ظلمةٌ ابدية

فحسبي شجواً ان ارى الدار بلقعاً   خلاء واشلاء الحبيب ترابا (انتهى)

وهذه ترجمة الفقيد طاب ثراه :

ولد وا آسفاه عليه في دمشق الشام عام ١٨٥٦ فلم ينفطم عن الرضاع حتى ظهرت

عليه مخائل النجابة طفلاً تخترق ذهنه مؤثرات التربية لادقها اشارةً واقلها ظهوراً
ولما ترعرع ادخلهُ والده مدرسة الاباء العازريين فتلقى فيها مبادىء العربية
والفرنسوية بما كان يزيده في اوقات الامتحان تقدماً على اقرانه وكان استاذه في العربية
يقول لابيه « ان ابنك سيكون فوّالاً » اي شاعراً لان اكثر كلامه كان يرد مسجعاً
عفوَ القريحة وهو لا يعرف اذ ذاك شيئاً من قواعد اللغة ولما بلغ العاشرة اخذ ينظم
الشعر كلفاً به وفي الحادية عشرة دخل في خدمة الكمرك براتبٍ يسير واخذ يعول
عائلته اذ اصابها في ذلك العهد سوء حال وعطلة اعمال وما اتمّ الثانية عشرة من سنيه
الزاهرة حتى كان له عدة قصائد وموشحات ثم عرض لوالده ان سافر الى بيروت ودخل
في خدمة البوسطة العثمانية ففي الخامسة عشرة استدعاه اليه من دمشق ليكون معيناً
له في خدمته فجاءهـا وتعرّف ببعض ادباء بيروت وله مع اكثرهم كمصباح افندي
رمضان والشيخ فضل القصار و بولس افندي زين مطارحات ومراسلات شعرية وفي
السابعة عشرة نال وظيفة في ادارة كمرك بيروت فقضى فيها مدة يسيرة ثم نزعت به
نازعة العلى الى الاشتغال بفن الكتابة والانصباب على الانشاء فتولى تحرير جريدة
التقدم بعيد نشأتها الاولى زمناً طويلاً وله فيها فصول شائقة كما له قصائد كثيرة
في ديوان يوسف افندي الشلفون وكان يصرف اوقات فراغه في المطالعة ونظم الشعر
فألف كتاباً سماه (نزهة الاحداق في مصارع العشاق) لم نظفر بنسخة منه ثم دخل
جمعية زهرة الاداب وقام فيها عضواً مهماً يلقي على مسامع اقرانه الخطب البليغة
والقصائد الرائقة و يباحثهم في المواضيع الادبية و بعد ذلك كلفهُ حضرة صديقنا
الفاضل سليم افندي شحاده بمشاركته مع زميله المرحوم سليم الخوري في تحرير آثار
الادهار عام ١٨٧٥ وهو كتاب نفيس فاشتغل فيه مدةً وكان سنه دون العشرين
وله في ثلثة اجزاء منه فصول تدل على سعة اطلاعه وغزارة مادته ولبث على هذه الحال
الى ان جاء الاسكندرية باشارة فقيدنا السليم فساعده في تمثيل الروايات العربية
وكان قد عرّب في بيروت عن راسين الشاعر الفرنساوي المشهور رواية اندروماك وهو
في التاسعة عشرة من العمر اجابةً لطلب قنصل فرنسا فترجمها ونظم اشعارها وعلم
ادوارها في مدى ثلثين يوماً ودفعها الى حضرة القنصل فمثلت اسعافاً للبنات اليتامى
ثلاث مرات فجمعت خمسة وثلثين الف غرش فلما حضر الى الاسكندرية قلبها بطناً

لظهر ونظم فيها ابياتاً جديدة من الشعر الرائق فحصل لها وقع عظيم وهي مثبتة في هذه المجموعة مع رواية شارلمان التي ترجمها في الاسكندرية ونالت من استحسان القوم حظاً وفيراً

ثم قصد المحروسة عاصمة البلاد المصرية ولزم العلامة جمال الدين افندي الافغاني فقرأ عليه شيئاً من الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطق ورغب في اثناء ذلك في انشاء جريدة عربية فدان له الوطر بذلك فانشأها باسم مصر عام ١٨٧٧ وليس في جيبه اكثر من عشرين فرنكاً ولما رأى من اقبال الناس عليها ما يشد الازر نقل ادارة الجريدة الى الاسكندرية يشاركه في ادارتها وتحريرها فقيدنا الاخر (وكفانا الآن نسميه) فلقيا نجاحاً ليس باليسير ثم انشآ كلاهما جريدة التجارة فاصدراها يومية وابقيا « مصر » اسبوعية فحصل لهما جميعاً اقبال عظيم ثم الغيت الجريدتان لمقتضيات دعت الى الغائهما فابتعد الاديب عن مصر عام ١٨٨٠ مهاجراً الى باريس حيث انشأ جريدة « القاهرة » وكتب فيها فصولاً متناهية في البلاغة لا يعاب اكثرها الا بما كان فيها من آثار الحدة وكفى

وحصلت له في باريس حظوة موصوفة باقلام بعض كتاب الجرائد الباريسية وجريدة تركية منشأة في تلك العاصمة وتعرّف ببعض المتقدمين من رجال الدولة الفرنسوية وحضر في مجلس النواب جلسات كثيرة فزادته خطب البلغاء منهم اقداماً على الخطابة ودخل المكتبة الاهلية فطالع فيها عدة مؤلفات من المخاطيط العربية القديمة ونسخ عنها نتفاً كثيرة

وكانت صحته في الاسكندرية قد تعرّضت للمؤثرات فلما ذهب الى باريس اتفق ان بردها كان في منتهى الشدة فاصيب بعلة الصدر وتالم منها مدة الشتاء ثم عاد الى بيروت مصدوراً بعد ان قضى في باريس تسعة اشهر فعهد اليه صاحب « التقدم » بتحرير جريدته فتولّى تحريرها للمرة الثانية وقد آثرنا عنها مقالات كثيرة في هذا الكتاب واقام على ذلك نحواً من سنة فلما حصل انقلاب الوزارة المصرية اواخر عام ١٨٨١ عاد الى مصر مدعواً اليها فودعهُ اصحابهُ وخلانهُ بنفوس الآسفين على فراقه وكنت في جملة من انحدر لوداعه الى رصيف البحر فما رايت قلباً غير مائل الى اصطحابه واني لذاكر ما سمعت من احد وجهاء بيروت عزتلو حسن افندي بيهم قائلاً

له ساعة الوداع

انا نودعُ روحنا وفؤادَنا ومع الاديب نودع الآدابا

فاجابه بقوله « ليس ببقائك وداع للاداب » ثم سار واتى القاهرة فعين ناظراً لقلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف ورخصت له الحكومة في استئناف نشر جريدة مصر فاصدرها اولاً في شكل كراس ثم اعادها الى مظهرها الاول باربع صفحات ونال خلال ذلك الرتبة الثالثة وعين كاتباً ثانياً لمجلس النواب ولما طرات الحوادث العسكرية عاد الى بيروت فيمن هاجر الى القطر السوري و بعد ان حلّ الانكليز في الاسكندرية جاءها مرة اخرى في التماسْ شانهِ الاول فلم يحصل عليه فأُبعد الى بيروت حيث اقام متولياً تحرير جريدة التقدم للمرة الثالثة الى ان اشتد عليه الداء وهو السل الرئوي فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر مستفيداً من ملاءمة هوائها لصحته فالتمس الرخصة في العودة اليها بواسطة المغفور له سلطان باشا فاجابت الحكومة السنية التماسه كرماً واحساناً فاتاها ساعياً الى العفو لدى من لقي من شمائله عفو الكريم واهل به من عرفوا قدر ادبه فاقام في مصر اياماً قليلة ثم عاد الى الاسكندرية فصرف بضعة ايام في محلة الرمل التماسَ العافية ولكن ضاقت به سعة العمر فلم يرجو الاطباء له شفاء فاقنعوه بالعود الى اهله في ثغر بيروت فعاد اليها ولم يمضِ على عودته ثلثون يوماً حتى جاءنا خبر وفاته وكنت اذ ذاك مساعداً لفقيدنا السليم في تحرير جريدته المحروسة وكتاب « مصر للمصريين » فهالنا الخبر فبكينا الاديب بمقل الغمام وكان قد ملأ اسماعنا قبل رحيله من الاسكندرية كلمات آمال وايناس فاذكرتني بعد ورود الخبر قول القائل

هم اودعوا مسمعي يوم النوى درراً فردّها الدمعُ من عيني يواقيتا

اقوال الجرايد

قالت المحروسة بلسان فقيدنا المرحوم سليم النقاش بعنوان

« اديب »

كذا فليجلِّ الخطبُ وليفدح الامرُ   وليس لعينٍ لم يفض ماؤها عذرُ

أمن حدّ الاقلام ان تجري بعد فقد الاديب من المحابر · امن واجب الدموع ان تبقى بعد هذا المصاب مصونةً في المحاجر · امن العدل ان نعاف اليوم من اثواب الحداد · امن الغرابة ان نفقد بهذه الفاجعة المدى والرشاد · لا والاسف وحر نار اللهف فقد ثلّ عرشُ الفضل ودُكّ طودُ الذكاء والنبل وغاضَ معين البراعة وشوّه وجهُ البراعة و بدد شمل البلاغة واختل نظام الانشاء وكان لا ياخذ محاسنه العدّ والاحصاء وانقبضت الصدور واضطربت القلوب واندهلت البصائر وشخصت الابصار فعمت الاحزان واستولت الاكدار وحارت الافكار

وغاضت ينابيع المسرة وانقضت   ليالٍ بها كم كان للانس اوقاتُ

واصبحت الآداب تندب حظها   تقول مضى سعدي واهليَ فدماتوا

كيف لا

والدهر قد فوّق نحو العلى   سهماً وهذا السهم كان المصيب

تعساً لهذا الدهر من خائنٍ   لم ينجُ منهُ فاضلٌ او اديب

اجل لقد ارسلت المنية رسلها فاختطفت زهرة الفضل الزاهرة وفغرت الداهية الدهماء فاها فابتلعت درة الادب الباهرة

والموت نقادٌ على كفه   جواهرٌ يختار منها الغوال

ومن ذا الذي يسمع بافول بدر المعارف وغروب شمس اللطائف

ولم يسل من عينه ادمعاً   تساجل السحب وفيض البحار

ولم تروّع قلبه حسرةٌ   تلوّن الوجه بلون البهار

مضى الاديب الذي كان للعلم حرزًا وللبلاغة كنزًا وللفصاحة ركنًا وللسماحة حصنًا

هيهات ان ياتي الزمان بمثلهِ   ان الزمان بمثلهِ لبخيلُ

مضى فكان الهول هولاً صيّر بياض العيش سوادًا ورحل فكان الخطب خطبًا جعل نور الحياة ظلامًا

واني لابكيه واني لصادقٌ   عليه و بعض القائلين كذوبُ

مضيت واي مقلة ايها الاديب لا تذرف الدمع عليك صبيبًا واي امرىء من مفتوني ادبك لا يتفجع عليك بكاءً ونحيبًا فارقتنا ونايت وما اصعب نايك وفراقك ورحلت عنا ومضيت ففجعت برحيلك احبابك وعشاقك وقد اطمعتهم يوم وداعك بامل اللقاء ووطدت رجاء الاجتماع يوم لثموك في السفينة لثمة الاخاء فما كان العهد بهجرك ان يكون اليوم مزيل الصفاء مذهب الهناء لا صبر بعده ولا عزاء

ولو قسم الحزن على فقدك اعشارًا لاصاب عشرٌ منها والديك وآلك وعشرٌ اصدقاءك وخلانك والادباء الذين عرفوا قدرك وشانك وعشرٌ كل من سمع بك ورآك او علم برفعة مقامك واصابني انا السبعة الاعشار وما ارضاها قسمة ضئزى اكون بها اقل من الجميع حزنًا عليك لاسيما انك غبت عن العين ولم الثمك لثمة الوداع قبل ان تغمض وا اسفاه عينيك

ولو جمعت في رثاءك ما قيل في الدنيا من رثاء لما جاء وافيًا بجزء من الواجب وهيهات ان يوفيك حقك منه الا من هبطت عليه أسرار بلاغتك واُعطي منحة يراعتك وكان لك في البراعة قرينًا وفي سرعة الخاطر ندًّا ومثيلاً

ولقد شهدناك في ابان شبابك تاخذ بنصر المبادىء الحرة وتؤيد شان القواعد الصحيحة فدلنا ذلك على انك لست من ابناء هذا الجيل وليس اهله اقرانك بل انك سابق بمئات من السنين في الوجود اوانك وانه سياتي على الاعصار القادمة زمنٌ يذكرك اهلهُ بما نشات عليه في زمانك فينادونك قم ايها الاديب هذا عصرك الخليق بك فقد وجد فيه رجالك وهم بك حريون قم وانشر فيهم مبادئك وتعاليمك الديمقراطية فهم لك مصغون ولشانك معظمون

فقدناك يا فتى النهى بالغًا مبلغ الكهول من الحكمة ولم تبلغ الثلاثين من عمرك

ولكنك ابقيت لك ذكرًا يؤبد دهورًا واثرًا يخلد من بعدك اجيالاً فعلم بهما الفضلاء كيف يحيا الذكر و يبقى الاثر

و بمَ نذكرك تذكيرًا بادبك ابطلاقة لسانك وقد كنت واسطة عقد الخطباء ام بتوقد جنانك وقد كنت خيرة الالباء ونخبة الاذكياء

فكم رايناك على المنابر تجيل عينيك ملتفتاً نحو ملتقطي دررك يمنة وشمالاً فصيحاً بليغاً قوي التصور حاد الذهن حاضر الفكر سريع الخاطر متين الحجة صحيح البرهان ثابت الجنان

وكم عرفناك في مكاتب الصحف متقلباً بين فنون اليراعة بما هو بادي الاثار في جرائدنا شاهداً على سعة معارفك وطول باعك في السياسة والمباحث العلمية والمناقشات اللغوية والمنافسات الادبية والمدح والهجاء والتابين والرثاء وحسن الرواية واحكام طرق الاخبار والحكاية والتفنن في اساليب الجد والهزل والعذر والرجاء واللوم والعتاب والتنصل منهما بمناصحة الخلان والاحباب والمغازلة والمداعبة والحزن والطرب وسائر فنون الادب وكليات الامور وجزئياتها على اختلاف احوالها وصفاتها

و بمَ نستوفي ذكر محاسنك ونستجمع بقية اوصافك واحاسنك ابفنّ القريض وقد كنتَ ابن بجدته وقائد نجدته مقتبساً مبتكرًا مجيداً مؤثراً مرقصاً مطرباً محزناً مبكياً تلعب بالعقول بين الرقة والانسجام وتاخذ بالالباب على ابدع نظامٍ في نظم الكلام ام برقة جانبك في المعاشرة ولطف محاضرتك في المصاحبة ام بحسن وفائك وجميل ولائك و بشاشة وجهك وكرام طبعك

و بمَ نمثلك لدى العين في سجاياك ومناقبك ومزاياك ابالاداب وقد كنت صحيحها من غير تصنع ولا رياء ام باخلاقك وطباعك وقد كنت حاد الطبع سريع التاثر والانفعال غير حقود او جحود طيب القلب سليم النية عنبري الصيت مسكي السمعة مستقيم الشان رضي الخلق لا يتولاك الحسد ولا يتملكك الطمع ملتهباً غيرة على ابناء جنسك عزيز النفس ابيها طاهر السريرة نقيها انوفاً من غير كبرياء مقداماً جسوراً لا ياخذك العجب آن الفوز والخيلاء حكيماً ذكياً منبسط اليدين سخياً محسوداً على ما كان فيك من النباهة مشكوراً على ما كنت عليه من النزاهة

و بمَ نتخذ بعد ذلك من اثار حياتك سبباً للسلوان وموجباً للعزاء أخطبك

وافوالك التي ذكرنا او صفات كمالك التي عددنا . نعم هذه آثارك في الادهار تشهد على سعة علمك بغير بيان وهذه باريسيتك الحسناء تنطق بحسن بيانك بغير لسان وهذه رواية اندروماك التي لو علم واضعها بما لبنانك عليها من فضل التعريب لانبعث مطاطئاً في موقف الاجلال لمقام الكاتب الاديب وهذه جرائد مصر والتجارة والعصر الجديد والمحروسة والتقدم وغيرها ممــا جاء مطوقاً بقلائد فصاحتك السحبانية محلى بفرائد حكمتك اللقمانية وجاء معلناً انك لم تكن فيما اجدت به وابدعت الا اياسي الذكاء اخطلي الادب وهذه المؤلفات العديدة والمنشورات المفيدة التي شاركت اربابها في التاليف والتصنيف فكانت دليلاً على اجتهادك وسعيك في نفع بلادك. وهذه سورية تفتخر بكونهــا مسقط راسك ومطلع شمسك وهذه مصر تنافس بك الامصار وتفتخر بكونها مظهر فضلك ومجلى افكارك

وكيف يسلوك اهلها وقد كتبتَ اليَّ منذ سنةٍ في احدى رسائلك تقول . آه لو ارى مصر نظرةً اخرى في حياتي . وقد نلتَ اربك و بلغتَ مناك فجئتها ورايتها فاكرم امراؤها وفادتك ماهلين بك مرحبين ثم نايت عنها على امل العود اليها بعد الشفاء فحال واحسرتاه بينهــا و بينك الداء فكانوا عليك آسفين وبما ذكرناكَ بهِ ذاكرين

وكيف اسلوك يا رفيق الشباب وكنت ان نمت رايتك في منامي وناجيتك في احلامي، وان صحوت رايتك الى جانبي وامامي وان تكلمت كنتَ موضوع كلامي وان كتبت سبقتني الى ذكرك اقلامي

فمن اين لي بعد ذلك ان اصبر على عظم هذه المصيبة فيك ومن اين لي ان ارى بعدك مثل الدرر التي كانت تتناثر من فيك فوا اسفاه على اوقات تقضت بقربك ووا حسرتاه على زمنٍ كان بهِ قضاء نحبك الزمن الذي كان يتوقع فيهِ ابناء بلادك زيادة النفع باقدامك واجتهادك فثق وانت تحت الثرى اناديك حياً بذكرك اني لا اسال بعد هذا الخطب صبراً قليلاً كان او جزيلاً فقد رايته بعين الحقيقة امراً مستحيلاً ولكني اساله لوالديك واخويك وآلك وسائر محبيك وخلانك

وكفى لتعزيتي ان لا اجد على فقدك مَن

يظنُّ انَّ فؤادي غير ملتهبٍ … وانَّ دمع جفوني غير منسكبِ

ورد في جريدة الاهرام الغراء

بمزيد الاسف والشجن نعت لنا اخبار بيروت فقد الشاب الاديب اديب افندي اسحق توفاه الله يوم ١٢ الجاري في قرية الحدث من اعمال لبنان قرب بيروت اثر داءِ عياءِ المَّ بهِ من مدة طويلة فعالجهُ الاطباءُ بما وصل اليهِ جهدهم حتى تعاصى عليهم فمضى الفقيد في شرخ صباهُ مغادراً الاهل والخلان يرددون عليهِ زفرات النحيب والاسف ولا غرو فقد كان رحمهُ الله شاباً نبيهاً حاد الذهن وكاتباً بليغاً تشهد لهُ نفثات اقلامهِ التي اودعها الطروس وحفظتها الصحف دالةً على ما كان لهُ من الباع الاطول في فنون الادب وانها لتحفظ لهُ الذكر الجميل يرددهُ العالمون بفضل اولي الفضل و يعاودون الاسف على فقده قبل ان استوفى حق عمرهِ لانهُ توفي عن ٣٠ عاماً صرف جلها في الانكباب على المطالعة والاهتمام بالكتابة واندمج في سلك الخدمة المصرية ونال من لدنها الرتبة الثالثة ثم تجرد في بيروت لكتابة صحيفة التقدم ولما انهكه الداءُ انقطع عنها الى المعالجة حتى قبض فنسال الله ان يسقي ضريحه غيث الرحمة و يلهم اهلهُ وخلانهُ صبراً جميلاً و يكتب لهم بذلك اجراً جزيلاً

وجاء في الطبيب بقلم حضرة صديقنا العلامة اللغوي الشهير الشيخ ابرهيم اليازجي

رزءٌ وطنيٌّ

نعي الى الوطن وآلهِ والفضل ورجالهِ خطب يومٍ جفَّت فيه المحابر وسالت المحاجر وقامت نوادب الفصاحة ترثي موشي حبرها وانبرت خطباءُ البلاغة تؤبن خطيب منبرها نعني به الكاتب البارع النحرير والخطيب المفوَّه الشهير اديب بك اسحق صاحب النبل المعروف والذكاءِ الموصوف الذي غاضت مناهل الادب لغيض بحاره وراح واسان الحال ينشد في آثاره

استشعر الكتاب فقدك سالفاً وقضت بصحة ذلك الايام
فلذاك سوّدت الصحائف وجهها حزناً عليك وشقت الاقلام

وقد استاثرت به رحمة الله تعالى في صباح يوم الخميس الثاني عشر من هذا الشهر في مصيفه بحدث بيروت على اثر داءٍ في الصدر اعيا الاطباء علاجه وقدَر سدَّ على ذوي البصائر منهاجه ودُفن بها رطب الشباب غضّ الاهاب غير متجاوز تسعاً وعشرين سنة ملا فيها الاسماع والقلوب وطار ذكره في الآفاق بما لا تمحو اثره الخطوب وكان دفنهُ بمشهد سوادٍ من اوليائه واحبائه بعد ان قضوه سنة الوداع والتابين بما يقتضي حق آدابه رحمهُ الله رحمة واسعة وافرغ عليه سحائب رضوانه وثوابه

وقال لسان الحال

مات الاديب « قضى من كان في قومه للذكاء اوقد شعلة وللولاء اخلص طينة وللوطنية امضى بنيها عزيمة وللتحرير والتحبير امدّ باعاً ولآداب الجيل اوسع اطلاعاً اضعنا الرصيف وفقدنا الزميل · فيا للنازلة لا تدفع و يا للخطب لا يردّ · اضعنا اديب بك اسحاق عند غلس الخميس في الحدث احد ارباض المدينة · ثم نعي للبلد بلسان الرسل وما انتشرت مناعيه مسطورة الا بعيد عصارى النهار لما اصاب آله الفضلاء وخلانه من روع الخطب تتولاهم الحيرة بين ان يواروهُ سفح لبنان اجابةً لدعوة اهل المكان الذي قضى فيه و بين ان يسيروا به الى المدينة امتثالاً الى راي صحبهِ وسائر من قدر فضله · ثم غلب الراي الاول فدفن في مقبرة الحدث والعيون بالدمع شكرى والصدور بالاسف ملأى · واهل الادب بالنعش يحفون وذوو المكانة يؤبنون · واما من اصاب السنتهم عجمة الخطب وعقدة المصاب فقد كانوا بالدموع يتكلمون و بشهب الجوانح وعطفات الجوارح يرثون · وكان ارقّ من خطب (وانما برخيم صوت الكئيب ولوعة الشاكي ودمعة الباكي) جناب البارع الذكيّ الفواد اسكندر افندي العازار ثم تلاه جناب الالمعي الاديب ابراهيم افندي الحوراني · وكان في جملة من خطب واجاد الذكيان خليل افندي الخياط وسامي

افندي قسيري · على انه لما كانت الشمس توشك ان تغيب امسك كثيرون من الخطباء عن التأبين ثم تفرّق الحشد · الحدثيون الى منازلهم والبيروتيون الى بلدهم (ويلي ذلك ترجمة حال الفقيد فاضربنا عن نشرها لورودها في مقدمة الكتاب)

﴿ وقال الجنان ﴾

اختطفت المنون حلية شبان العصر الخطيب الفصيح الفاضل المرحوم اديب بك اسحق من كان لعين البلاغة قرّة وللوطن فرحةً ومسرة · قضى وهو في يانع الشباب غبسان لا يعوزه الاّ الصحة ولا يلزمه الا الشفاء اغتالته المنية وانشبت فيه اظفارها بعد ان طال به المرض وتمكن من جسمه فايبسه غصناً رطيبا في التاسعة والعشرين من العمر ولما سرى نعيه في الاقارب والاصدقاء تفطرت منهم القلوب وشقوا الجيوب وبكوا الاديب بكاء لا يزيده بكاء وحزنوا على فقده حزناً ولا حزن الخنساء فمن نادب سوء حظ الوالدين والاخ والشقيقة ومن نائح على الاديب اخًا حرمَ لذيذ خطابه ونافع الفاظه الفصيحة واعرابه ومن ذاكر للفقيد اقوالاً وحسن معنى وسحر سبك حباه به رشداً وهداية · ونحن في مقدمة الذين يحبون خسارة الفقيد النجيب نتقاسم الجميع حزنهم واسفهم وتابينهم ولو اردنا اظهار ما حاق بالقوم من الكآبة والالم لملأنا الصفحات والسطور ولم نات بجزء مما يختلج في الصدور قلنا ولما انتشر الخبر وذاع تسابقت كتائب القوم الى قرية الحدث حيث اقام الفقيد في هذه الايام يوءدون واجب التعزية للوالد وحزنه اشبه بحزن يعقوب والوالدة الثكلى الحزينة حتى اذا استكمل عدد الاصدقاء والاقارب صلى احد الاباء الاجلاء على الفقيد و بعد ان فرغ رفع النعش على الاكف وسير به الى المدفن وهناك استانف حضرة الاب الجليل الصلاة عن نفس الفقيد

ثم ابنهُ جناب خليل افندي خياط معدداً محامده وحسناته ثم خطب من بعده جناب اسكندر افندي العازار موءبناً الفقيد بخطبة موءثرة فان علائقه معه ومحبته له لاشهر من ان تذكرَ ثم ابنه جناب المعلم ابراهيم افندي الحوراني فاجاد واحسن ومن بعده لفظ جناب الدكتور بشاره افندي زلزل تابيناً جميلاً اعرب فيه عن

إحساسات الجمهور ذاكراً خدم الفقيد المتتالية واعماله الكثيرة الى ان تكلم جناب سامي افندي قصيري بعبارة رقيقة اثرت في القلوب عظيم تاثير ثم هالوا التراب على الفقيد وارفض القوم كل يكفكف دموعه و يشكو ما به من الم الحزن ولسان حالهم يقول

لا تاسفنَّ على ميتٍ له اثرٌ ما مات والله من ابقى له اثرا

وجاء في مجلة الانسان لصاحبها الفاضل حسن بك حسني
بعد قصيدة الرثاء التي ادرجناها في قسم المراثي

ورد الينا الرقيم الاليم بتاريخ ٣٠ حزيران ينعي اليَّ الصديق الحميم بل الخليل القديم ريحانة الادباء وغرة الالباء وكانت وفاته في صبيحة يوم الخميس « ولا كانت » الموافق ١٢ حزيران في قرية الحدث في جبل لبنان وانني لاخجل وحرمة الادب ان البس الصحيفة عليه ثياب الحداد كلاً فما يلبس الحداد الاَّ على من مات اما اديب فلم يمت ذكراً وان مات جسماً ولم يفقد اثراً وان فقد عيناً احسن الله عزاء المعارف والادب واجزل الصبر على اهله والاصحاب وابقى لنا شقيقه السالك طريقه الحائز صفات اخيه بما يضمن آمال المعالي فيه

وقد تلقينا الصحف العربية قاطبة ناعية نادبة شاكية باكية لفقده وهل تلام على بكاء ربّ اليراعة وصاحب البراعة غرة جبين زمانه والحسنة الماثورة من اوانه اديب بك اسحق فلا غرو ان تدمع على اثره العيون وتهيج الشجون وتنوح النوائح على مثله فلقد كان فاضلاً كاملاً واديباً اريباً ظهرت براعته وقهرت يراعته فكم تعطرت حدائق الصحف بطيب نشره وتقلدت اجياد المعارف بلألىء نظمه وشذور نثره كان نحرير التحرير ان كتب مقرر التقرير ان اعتمد نخطب مع كمال الفطن وجمال اللسن كان بدر الباب فاجئته هالة الاجل وكان كوكب آداب ما اشرق حتى افل

ونشرت مجلة الهلال الغرّاء في الجزء الثالث والعشرين لسنتها الثانية

اديب بك اسحق

(ولد سنة ١٨٥٦ وتوفي سنة ١٨٨٥ م)

كتب الينا جماعة من حضرات القراء ان ننشر رسم المرحوم اديب بك اسحق لان اقواله وكتاباته لا يزال صداها يرنُّ في الآذان في نواحي مصر والشام وهو من اركان النهضة اللغوية الاخيرة فعملاً باشارتهم وقياماً بواجب الخدمة العمومية قد صدَّرنا هذا العدد برسمه وهاك ملخص ترجمة حياته :

هو المنشئ البليغ والخطيب المصقع المرحوم اديب بك اسحق ولد في دمشق الشام سنة ١٨٥٦ م وظهرت على محياه ملامح الذكاء والنباهة منذ نعومة اظفاره وقرأ مبادىء اللغتين العربية والفرنسوية في مدرسة الآباء العازريين وكان استاذه يقول لابيه « ان ولدك سيكون قوّالاً » اي شاعرًا لان السجع كان يرد في كلامه عفوًا مع انه بدا بنظم الشعر في العاشرة من عمره واتفق ان عائلته اصيبت بضيق فدخل في خدمة الكمرك ثم دخل والده في خدمة البوسطة العثمانية ببيروت فبعث الى ولده ليكون عونًا له في خدمته وهو في الخامسة عشرة . فجاء وتعرَّف بجماعة من ادباء المدينة وكان سهل المعاشرة محبوبًا فاحبه اصدقاؤه واخلصوا له واعجبوا بذكائه وحدة ذهنه وكانوا يناشدونه الاشعار ويطارحونه المناظرات ويراسلونه نظماً ونثرًا

وفي السابعة عشرة من عمره دخل في خدمة كمرك بيروت . ولكنه ما لبث ان مال الى الكتابة وعكف على الانشاء فتولى تحرير جريدة التقدم بعيد نشاتها الاولى وكان لرغبته في العلم يقضي ساعات الفراغ في نظم الشعر والمطالعة فالف كتابًا سماه « نزهة الاحداق في مصارع العشاق» ثم انتظم في جمعية زهرة الآداب وما لبث ان نبغ بين اعضائها واصبح زهرة فيما بينهم واحبوه حبًا شديدًا واكثروا من التحدث في ذكائه ونباهته ثم انتدب للمساعدة في تأليف كتاب آثار الادهار سنة ١٨٧٥ وهو دون العشرين من العمر

وعرَّب في اثناء ذلك رواية اندروماك اجابة لطلب قنصل فرنسا ونظم اشعارها وعلم ادوارها في مدة ثلاثين يوماً ودفعها الى القنصل فمثلت ثلاث مرات جمع دخلها للفقراء

ثم اشار عليه المرحوم سليم افندي نقاش بالذهاب الى الاسكندرية فجاءها واشتغل معه في التمثيل العربي ونقح رواية اندروماك وزاد فيها

ثم جاء القاهرة وكان فيها العلاَّمة جمال الدين افندي الافغاني يلقي دروساً في الفلسفة الادبية والفلسفة العقلية والمنطق فلازمهُ مدة واخذ عنه شيئاً كثيراً وكانت مصر اذ ذاك زاهية بنخبة من شبانها النبهاء كانوا يترددون الى جمال الدين افندي للمطارحة والمذاكرة وسماع اقواله وشروحه فبثَّ فيهم روحاً عصرية فخرجوا ينشرون تعاليمه ويقولون بقوله وفي جملتهم جماعة من المنشئين والخطباء والكتاب

وفي سنة ١٨٧٧ انشأ جريدة « مصر » فلاقت اقبالاً عظيماً ثم نقلها الى الاسكندرية فعاونه بادارتها وتحريرها المرحوم سليم افندي النقاش ثم انشا جريدة « التجارة » يومية وبقيت مصر اسبوعية ثم اقتضت الحال الغاء الجريدتين ومهاجرة صاحب الترجمة الى باريس فانشأ فيها جريدة « القاهرة » وكان قبل سفره قد احسَّ بضعف فلما ذهب الى باريس اصيب بعلة الصدر فعاد الى بيروت مصدوراً فسألهُ صاحب «التقدم» تحرير جريدته فتولاها للمرة الثانية سنةً حتى انقلبت الوزارة المصرية سنة ١٨٨١ فعاد الى مصر وتولى فيها رئاسة قلم الانشاء والترجمة بديوان المعارف واعاد نشر جريدة مصر ونال الرتبة الثالثة ثم عين كاتباً في مجلس النوَّاب

ولما طرأت الحوادث العرابية عاد الى بيروت فتولى تحرير التقدُّم ثالثةً الى ان اشتدَّ عليه الداء وهوَ السلّ الرئوي فاشار عليه الاطباء بالذهاب الى مصر لملاءمة هوائها فقضى فيها مدَّةً ثمَّ عادَ الى بر الشام وقد ضاقت به سعة العمر وبعد وصوله اليها بثلاثين يوماً توفاه الله في ١٢ يونيو سنة ١٨٨٥ وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره وشيعت جنازته وبكاه الاصدقاء وابنهُ الكتَّاب ورثاه الشعراء وقد جمعت منتخبات اقواله في كتاب سموه الدُرَر كله دُرَر

وكانَ رحمه الله طويل القامة والعنق مع انحناء قليل عظيم الانف عريض الجبهة بارزها جهوريَّ الصوت لطيف الحديث ذكيًا نبيهًا حاد الذهن واشتهر خصوصاً

بالخطابة والانشاء فكان اذا خطب افصح واعرب واذا كتب سحر الالباب بحسن البيان مع السلاسة والبلاغة وكان قدوة المنشئين وعمدة الكتاب . وانما يؤخذ عليه رحمه الله تساهله في طرق معاشرته واطلاق هوى النفس فيما تسوق اليه الشبيبة حتى اثَّر ذلك في مزاجه وعجل منيته فقصف غصناً رطيباً لم يتم الثلاثين ربيعاً ولا ريب عندنا انه لو عمل بالقانون واصغى لنصيحة الشيخ الرئيس لعمَّر طويلاً وخدم الاوطان خدمات قلَّ ان يستطيع الناس مثلها ولله في عباده حكمة لا تدركها العقول

المراثي

قال جناب الشاعر البليغ الشيخ خليل اليازجي

اخلق بجسمك ان يبيتَ كليلا ... عن جهد نفسك او يموت عليلا
نهكته نفسك في المطالب والعلى ... حتى تمنى للفراق سبيلا
يا راحلاً ابكى عليه محابراً ... ومنابراً ومحاجراً وطلولا
ترثيك اقلامٌ يكون صريرها ... نوحاً عليك من الاسي وعويلا
تتذكر الكفَّ التي كانت بها ... اصواتها التغريد والترسيلا
وهي التي قد كنَّ بين بنانها ... قضباً وكان صريرهنَّ صليلا
كفٌّ يضاهيها لسانكَ خاطباً ... وهو الذي للسيف كان مثيلا
فوق المنابر لا يفلُّ غراره ... لكن يكون له المضاء فلولا
تحتاج منك الى خطيبٍ مصقعٍ ... يتلو ثناً لك في الانام جميلا
ولعلَّ مثلكَ ليس يوجد عندنا ... حتى نرى لك منك عنك بديلا
يروي مآثرَ عنك يقصرُ دونها ... صوغُ القوافي في ثناك طويلا
ويعدُّ ما احصيته في مدة ... قصرت ففات العرض منها الطولا
ان كان قلَّ مدى حياتك عندنا ... فقليل مثلك لا يعدُّ قليلا
فلقد ملأتَ به السماع جرائداً ... وقصائداً ورسائلاً وفصولا

ما بين شرقٍ في البلاد ومغربٍ ... لم تألُ فيه تغرُّبًا ورحيلا
مستصحبًا لك همةً نفاذةً ... وعزيمة مثل الحسام صقيلا
وقريحـــةً وقادةً وبصيرةً ... نقادةً تستوضح المجهولا
لا يبعدنكَ الله من ناءٍ مضت ... معه قلوبٌ لا تروم قفولا
ان كنت قد اوحشت بيروتًا فقد ... اوحشت باريسًا وشقت النيلا
فعلى ضفاف النيل منك مآثرٌ ... سالت فكانت ضفتاه مسيلا
انت الاديبُ كما سميت وحبذا ... اسمٌ عليك نراه قام دليلا
لك عندنا ذكرٌ يهبُّ نسيمهُ ... فيسيل من سحب الدموع سيولا
فاذا تذكرنا شبابك ذاويًا ... رطبًا ذكرنا للغصون ذبولا
واذا تذكرنا خلائقك التي ... لطفت تذكرنا النسيم بليلا
واذا تذكرنا حديثك فالطلا ... تسبي قلوبًا للملا وعقولا
واذا تذكرنا محاسنك التي ... غربت ذكرنا للبدور افولا
فعليك من لدن المهيمن رحمةٌ ... تسقي ضريحك بكرةً واصيلا

﴿ وقال جناب الشيخ سليمان الحداد شيخ طائفة الروم الكاثوليك في الاسكندرية ﴾

بكيت للبين بعد البين ازمانا ... فاحدث الدمع في الاجفان اجفانا
قد كنتُ ابخل في دمعي فامسكه ... واليوم ابذله درًا ومرجانا
على اديبٍ به ايامه غدرت ... فغادر اليوم في الاكباد احزانا
على اديبٍ اتى حسانَ آونةٍ ... سحائب الدمع تبكي منـه سحبانا
على اديبٍ له في كل جارحةٍ ... عينٌ ترى دمعهـا في الحي هتانا
على اديبٍ به ايامنا فقدت ... كنزا من الفضل والاداب ملآنا
على اديبٍ له ادابه شهدت ... في كل فنٍ فلا يحتاج تبيانا
وعن اديبٍ اسال الدمع من مقلٍ ... لم يسأل القلب بعد البين سلوانا

تقول اجداث قوم اذ يجاورها … لله من جدثٍ يسقى فاسقانا
ياحادث البين قد واريت في حدثٍ … من سفح لبنان بين الترب لبنانا
رمسٌ حوى طود علمٍ في جوانبه … قد صار للفضل والاداب اوطانا
يا ايها الرمس هل تدري مكانته … وفضله كان بين الناس كيوانا
الفاظه الخيل في مضمار خطبته … غرّ المعاني عليها كنّ فرسانا
ما غالت القوم في مضمار من سلفوا … اذ كان فضلك للباقين برهانا
هدمت هيكل جسم زانه ادبٌ … فيما به رمت للاداب عمرانا
غمدت كالنصل في ارض بنيت لها … فخرا وحزناك فيها قصر غمدانا
قد كنت للعرب قساً في منابرها … وللفصاحة فيما قلت حسانا
توقد الذهن فيه كان آفته … اذ كان افراطه للنفس عدوانا
قلنا به الصدق والايام كاذبةٌ … وليس ما اتبع الغاوون اغوانا
ما زال يجني الورى من لفظه عسلاً … حتى ارتدى قده العسال اكفانا
قد كان سامعه في قوله ثملا … واليوم اضحى بخمر الحزن نشوانا
قد لازم اللحد والاقدار قادرةٌ … على شجاع وان لم يرضَ اقرانا
يا شارباً من كؤوس البين نهلته … ابقيت كلاً الى لقياك عطشانا
اعداك داء عدوّ الفضل تحسبه … فليت فضلك قبل البين اعدانا
آيات حق لنا كانت رسائله … فكلما قلته ما كان بهتانا
تبكي البصائر والابصار آسفةً … من كان منه لعين الفضل انسانا
يدعى اديباً وهذا الوصف منتشرٌ … فكل من ذكر الاداب ابكانا

وقال جناب الالمعي وديع افندي الخوري

شقتْ عليك قلوبها الاخوانُ … ما بعدها ستر العزاء يصانُ
وبكتكَ اقلام الرثاء بكفها … تجرى لفقدك دمعها الهتان
دمعٌ يسوِّد طرسها بمداده … كالكحل تجلو حسنه الاجفان
تخشى الطروس لهيبه فكانه … نار المصاب تثيرها الاشجان

مدَّ الدجى ليلاً على ليل الاسى ودجا فايهما له الرجحانُ
قد مرتَ من دار الغرور الى بها دارٍ يفاض بهـا لكَ الاحسان
فهناك لا غدرٌ ولا شرٌ ولا ضرٌ ولا كدرٌ ولا احزان
يبدو هناكَ الامنُ ثم الخيرُ ثم البشر ثم اللطف والرضوان
لوكانت الاصحاب تكتم ما بها من حرقةٍ لاذاعه الكتمان
اوكان صرف الدهر يترك فاضلاً جزعَ الغرور اليه والبهتان
ولَى الذي لم تبدُ درّة نطقهِ الا غدَت تتنازع الاذهان
اني لاعجب كيف خرَّ من الذكا جبلٌ احل بقلبه لبنان
يا قبر اكرم وفد ضيفٍ قـد اتى فبكلِّ قطرٍ تكرم الضيفان
اني اعزّيـ والدًا بنحيبه يشجو الفضا ويجيبه الاخدان
قصفت يد الحدثان غصن حياته بغياً فلا صبرٌ ولا سلوان
واخٌ ووالدةٌ وصحبٌ قـد رثى شعرٌ لحرٌ مصابهم وبنان
صحبٌ اذا بغت العزاء قلوبهم لعبت بها من ذكركَ النيران
ثارت على الايام حرب امى فقد جاءت بها الافلام وهي عوان
ماتَ الذي احيا البلاغة بعد ما مرّت عليها للفنا ازمان
لطفُ الملاكِ بثغره لكن مذ ولى علمنا انه انسان
ويراعه ثملٌ وما بمداده راحٌ وما بسطوره ريحان
عهدي بصحب اديب لسناً كلهم وهنا نظرتهم وهم خرسان
حصر المصاب بيانهم فجرت لهم للفصح عنه مقلةٌ وجنان
ذكرٌ للطفك في صميم قلوبهم حيٌ فليس يميته نسيان
ضربات يأسٍ في ضلوعهم لقد وقرت بها الاسماع والاذان
بكت النهى جزع الحجى فلق الذكا شكت الرفاق وناحت الخلاّن
شقت جيوباً للمصاب وانبعت تلك الجيوب بشقها الاخوان
لو دامَ قلبٌ لم يشقَّ رايته دمعاً عليك تسيله الاجفان
عزّوا المحابر والمنابر قـد مضى قس الزمان وفـد مضى سحبان
نفثات صدرك مذبدت تهدي السنى شامت بهـا عقد البهاء حسان

تبدي لنا ثمر الحجى كرماً ومـا ظهرت لنا بطروسهـا اغصانُ
حفظت لك الاداب ذكرا زهرةً يبدو وانت لعامهـا نيسانُ
شمتُ الزمان وقد عرفت شؤونه اعمى يحل بكفه الميزان
يهوي به من كان ملءُ طباعه فضلٌ ويعلو من به نقصان
يبكي عليكَ الصحب لكن كلهم بكَ لاحقون متى يحين اوان
فهمُ نعـاجٌ والحياة حظيرةٌ والموت ذئبٌ خاطفٌ غرثان

وقال جناب الكاتب البارع ميخائيل افندي جورج عورا
في جريدة البيان

وفدت علينا صحف بيروت ناعيةً لنا فقد الكاتب النحرير رب البراعة والتحرير وقدوة اهل التحبير اديب بك اسحق فلما شاع الخبر في القاهرة ثارت لواعج الاحزان وتولت القلوب الاشجان وملكت الرعدة الخواطر وفاض الدمع في المحاجر وشاهت الوجوه وخشعت الابصار وحارت الافكار فيا رحمة الله على رجل الادب وطود العلم ونجم الفضل الآفل ورفيق المجد الراحل وكوكب الاوطان وتاج هذا الزمان

بربك ما هذا الذي دكدك القوى تزلزل رضوى او ممات اديبِ

اديب وما ادرى الورى بقدره هو بديع زمانه وسحبان دهره قضى الادب بمماته نحبه واسال السكون على مشرق ذكائه غربه أَجل فقد ذهبت الحكمة والوقار وشحبت الدراية والاختبار وتفككت اوصال اللطائف وانهمرت ذوارف المعارف فيا راحلا عنا وقد سجل على القلوب بالاسى وضيق على النفوس رحب الزمان حتى لا تجد الصباح امثل من المساء باي لسانٍ نوفي حقوق رثاك وكيف يجمل التصبر على طول نواك

الصبر ليس على فراقك يحسنُ ولمثل هذا الخطب تبكي الاعينُ
يا من تحركت النفوس تاسفاً لفراقه هيهـات بعدك تسكن
فلئن تمكن منك سلطان الردى لنفوسنا فيها الاسى متمكن

يا عين جودي بالبكا وتكلمي	بمدامع ان المدامع السن
هل ثمَّ عين لم تجد بدموعها	لهفاً عليك ومقلةٌ لا تحزن
او ثمَّ قلبٌ لم يمزقه الاسى	او هل هنالك قوة لا توهن
تالله ما الدنيا بدارٍ يبتغى	فيها الثوا ويطيب فيها المسكن
كلاَّ ولا للدهر عهدٌ يرتجى	منه الوثوق وليس منه مامن
والارض يورثها الاله عباده	وهمو مسيء نفسه او محسن
كاس الممات على البرية شربه	حتم ومنه ليس ينجو ممكن
كيف النجاة من الممات وهذه	جند المنية بالاسنة تطعن
ام كيف يطمع في الصفاء فتى له	بالطين والماء المهين تكوُّنُ
والمرء مرمى الموت فهو اذا نجا	منه النهار ففي غدٍ لا يمكن
لاينفع الاسف النفوس ولاالاسى	الكف اولى والتصبر احسن

وقد وردت الينا المراثي الكثيرة في تأبين الفقيد رحمه الله وغفر له في دنياه واخراه فنحن ندرجها عند سنوح الفرص واولها رسالة لحضرة البارع عزيز افندي الزند من منوف نقتضب منها شيئاً من نثرها الصادغ ولفظها الرائع ومطلعها

ردد النوح صباحاً ومسا	وتجلد لتباريح الاسى

وابكِ بكاء الخنساء وارسل زفرة الباسا والتعساء واذرف الدمع واخشع لهذا الفجع فقد اغتالت المنية اديب الدهر وسحبان هذا العصر

الى ان قال متوجعاً اهاً اهاً عليك ووا حسرتاه كيف تركت ايها الاديب اخوانا لك يصلون نار فجعتك بعد ان برَّح بهم اسى فرقتك ان الصحائف لتبكيك وان الاقلام لترثيك ولتندبك العلوم والمعارف واللطائف والعوارف انا لله وانا اليه راجعون

وقال حضرة الفاضل عزتلو حسن بك حسني
صاحب مجلة الانسان

اعوني اليوم جدد لي نحيبي	وقم نبكي على ذاك الحبيبِ
اعوني كيف لا تجري شوءونٌ	على شانٍ قضى نحب القلوب

اعوني دمت خبرني لماذا   تبدلت المسرة بالخطوب
امن حدث الى جدث تولى   اديب العصر ذو الخلق الاريب
ام الشمس المنيرة قد توارت   ولم يك ثمّ من وقت المغيب
ام الغصن الرطيب ذوى وكانت   حدائقه رياحين اللبيب
اسفت نعم اسفت على صديقي   بكيت نعم بكيت على اديب
فقل للزهر غاب البدر فابكي   وقل للارض فزتِ به فطيبي
وعزِّ اليوم ابكار المعاني   فقد فجعت بمنطيقٍ خطيب
وشوه وجنة الاوراق حزناً   لتبدي وجه مذلولٍ كئيب
ونادِ القول والتحرير جمعاً   لتندب فوق قوالٍ كتوب
وسل عنه القلوب علام شقت   على اثر السرائر والجيوب
وكيف يموت من احيا الليالي   وكيف يصاب ذو الرأي المصيب
فتى قد كان للاوطان عبداً   له من شانها اوفى نصيب
فتى افنى الشباب نهىً وفكراً   وادرك حلم ذي الراس الخضيب
به ازدهت اليراعة واستنارت   براعة روضها الزاهي الخصيب
فيا لهفي على خلٍ وفيٍّ   عليه خان دهري بالكروب
ويا ولهي على ثاوٍ وحيدٍ   بعيد الوصل في فصل قريب
بكيتُ فقالت الاداب ارِّخ   اقمت وفا على مثوى اديب

سنة ١٣٠١

منتخبات اشعاره

﴿ نظمه سنة ٧١ وهو في الخامسة عشرة من سنيه ﴾

ذر عنك تشبيباً بحبّ عذارى وانظر بعين المستهام عذارا
يا حسنهُ لمّا بدا في وجنةٍ كالخمر منها المقلتان سُكارى
آيات حسنٍ في طروس الورد قد نقشت بريحان الهوى ازهارا
ربّ الجمال على بلاد العشق في افق الملاحةِ اطلعَ الاقمارا
نبل الجفون حمى حِمى الالحاظ فاكتسبَ الغزاةَ الى الربوع أُسارى
عرش الجمال على الجبين مستّرٌ بدجى الكمال ليكتمَ الاسرارا
طفل البهاء بمهدهِ في الوجه يرضعُ ضرعَ انفاس الهوى ان ثارا
نادى منادي الوصل نحو الصبّ بالروح اللقا فاستهون الاسعارا
هذا الهوى لا ما يقال بحقّهِ ذاك الهوى في قول قومٍ سارا
يا منشدي ذكر الديار وساكناً تلك الربوع اعدْ بهم تذكارا
يا ساكني تلك الديار وحبهم لم يُبقِ في دار الهوى ديّارا
ما راقني بعد الفراق العيش لو لم استمع عن حيّهم اخبارا
لولا رسالات الكحيل وحقكم لخلعت في ستر الغرام عذارا
مولًى قد استغنى عن التعريف مذ حسّادهُ لم تستطع انكارا
قرّ الحسود له بدون العين اذ ابدى لنا في كتبهِ الآثارا
خذها اعبدالله بكرًا كلّما كررتَها تستعذب التكرارا

تنسيك قول الاقدمين برقةٍ قد اخضعت لسموّ ها الاشعارا

ومن نظمه عام ٧١ وهو بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة من العمر

اعددتُ للحسناء قلبيَ منبرا فبري فؤادي يا لقومي مَنْ برا
كَمُلتْ محاسنها وتمَّ جمالُها فانظر وسبّح يا خليلي من برا
الصدُّ منها قلبَ حبِّ مرمرا فحكت سيولُ الدمع منه مرمرا
للّه قــد اصبحتُ عبداً للشرا وانا الذي تخشاهُ آسادُ الشرا
لا تعذلوني في هوى مَن حسنُها لو شامَه البدرُ التمامُ تحيّرا
ما رامها واللّه عاذل حبّها الاّ وعاد مهلّلاً ومكبّرا
بابي ليالٍ قد مضت في قربنا واجلّها عن ان تقالَ وتُذكرا
ارعى بها بدري واملك مالكي متسهداً سهداً الذّ من الكرى
واضمُّ منها سمهرياً لدنهُ ان هزَّ ردَّ من الحواسد عسكرا
سمحَ الزمانُ بفرقتي عنهـا فيا زمن التباعد مـا اعقّ واكفرا
واللّهِ ما كسرالفؤادَ سوى النوى ورقيب وصلٍ قال قولاً فافترى
خبري شهيرٌ مبتداه ندامتي هذه البداءَة مـا النهاية ياترى
ياصاح ان جزتَ الشآمَ فعُج على ربعٍ به كل البهاء تصوّرا
واقرَ السلام على الحبيب تكرّماً واذكر لهُ من بعدهِ ما قد جرى
واذا وقفتَ بباب ذي مجدٍ فقلْ اني بُعثتُ من الاديب مذكّرا

فهوالجليلُ الماجدُ الشهمُ الذي اهدى لنا منهُ الصحاحَ وجوهرا
مولاي قد وردَ الكتابُ وانهُ اضنى فؤادي بالذي قد اخبرا
افتشتكي المَا وانتَ دواؤه او هل روي ان الصفاءَ تكدَّرا
فوقاكَ ربُّكَ كلَّ ما تخشاهُ ما صرَّحتْ في ذكراك ما بين الورى

ومن نظمه في سنة ٧٢

سقامٌ في لحاظكَ ام سهامُ ودرٌّ من كلامكَ ام نظامُ
وبردٌ في رضابكَ ام رحيقٌ وورد في خدودكَ ام مدامُ
وذا بدرٌ تبدَّى ام جبينٌ وذا شعرٌ تجعَّد ام ظلامُ
وذا سقمٌ بجسمي ام بعادٌ اذا ما طالَ أَنهكني السقامُ
ربيتُ بمهد عشقٍ مستهامًا وفي عشقي يلذُّ ليَ الهيامُ
رضعتُ لبانهُ في المهد طفلاً تَرعرَعَ قبلَ أن حانَ الفِطامُ
يجلُّ بمسمعي ذكرى حبيبي ويحلو كلما مرَّ الغرامُ
قنوعٌ من حبيبي في خيالٍ فيكفيني ولو قصرَ المنامُ
كفاني حبهُ شرفًا باني ثباتي لا يُغيّره الملامُ
وفي مدحي له عزٌّ واني بمدحتهِ لساني لا يلامُ
فذا من نال في الدنيا سموًّا ومَنْ في مدحهِ ضاق الكلامُ
بعبدالله يعلو كلُّ مدحٍ وفي ذكراهُ ينتظمُ النظامُ
فريدٌ بالمحاسن ربّ علمٍ وربُّ نهى وللشعر الامامُ

اتتني منه ترنو ذات حسنٍ تهيمُ بهـا اذا رنتِ الانامُ
هي ابنة فكرهِ الحسناء من في ربى كلماتهـا أرِجَ الخزامُ
اتيهُ بقولها عجباً بحقٍ لان القول مـا قالت حزامُ
صبا في حب منشئها فؤادي كما يصبو الى الورق الحمامُ
تذكرني رسالتهُ حبيباً ويطربني ولو بَعُدَ السلامُ
صبوتُ لقربهِ مذ زاد شوقي بابعادٍ كما العزّالُ راموا
فرفقاً سيدي بفتىً اذا ما جفوتَ يصيدهُ الموتُ الزؤامُ
ودم في رغد عيشٍ مع هناءٍ لك الدهرُ العظيمُ به غلامُ
وعش مادامت الافلاكُ تجري وما يحلو بذكراكَ الختامُ

ومن نظمه في سنة ٧٢

على مسرحِ الارام قمْ نفدُ صاحبي صباحاً ودَعْ عذلاً ودَعْ قولَ راقبٍ
دناوقتُ صيدَ الريمِ بين السباسبِ طراداً فحاذرْ يا خليلي وجانبِ
غزالاً اذا ما رمتَ تصطادهُ صادا

غزالٌ اذا ما صال في رمحِ قدّهِ سجدتُ لأني لم ازل عبدَ عبدهِ
دعاني قتيلاً بالتجنّي وصدهِ تناثر وردُ الوصلِ من صحنِ خدّهِ
واجفانهُ بالرمس تغزل اوعادا

لحى الله دهراً بالفراق لقد حكمْ وصبراً على ما خطّهُ في الهوى القلم
فوالله ما أفضى بجسمي الى العدمْ سوى فرقةِ الاحبابِ مع عشرة (البجم)
وبعدِ حبيبٍ باللطافة قد سادا

مجيدٌ جليلٌ قصَّرتْ عند ذكرهِ قصائد اشعارٍ ولوبنت فكرهِ
انثني على رغمِ الحسودِ لقهرهِ بمعنًى صحيحٍ قد لهوتُ ببكرهِ
وربَّ صحيحٍ مدنفاً زار او عادا

تُشيدُ في قلبي له صرحُ ودّهِ فلا يتداعى بالعذول وجدّهِ
ولو طال في حكم الهوى وقت بُعدهِ فؤادي صبورٌ لا يضرُّ بجهدهِ
ولو انَّ دهري حاول اليوم ابعادا

من قصيدةٍ لم نظفر بغير هذه الابيات منها

لساني لثاني الفرقدين كليمُ وقلبي بصدر الرقمتينِ كليمُ
هداني لضالِ الخيف بان طويلع وطيب عرارٍ مرَّ فيه نسيمُ
اذا ماحدا الحادي نخفَّتْ ركائبي املتُ له سمعي فآبَ يلومُ
وهذا جزائي اذ اطعتُ صبابتي فغيّر مني منطقٌ ورسومُ
اهيمُ وقلبي بالعقيق مخيّمٌ يئنُّ وشوقي بالأراك مقيمُ
غرامي بسلمى والهيام بزينبٍ وقوسُ غرامي بالرباب كتومُ
فلا انا ممَّن يُطفىءُ الوصلُ نارَهم ولا انا راجٍ ان يدومَ نعيمُ
ففي القرب أُلفى ذائباً في حرارتي وفي البعد تطفى عبرتي فاعومُ
يسرُّكِ سلمى انَّ غصنكِ مثمرٌ وغصنُ رجائي من جناهُ عقيمُ
دعي لي لساناً واعدمي الجسم كلهُ ففيه خطيبٌ للورى وحكيمُ
يعزُّ على الافكارِ ان تعدمَ النهى اذا اعدم الجسمَ العظيمَ غريمُ

ذكت زفرتي تحت الضلوع فاحرقت · فؤادي فكنّي جمرة وحميمُ
الى الله اشكو ما اكابدُ من عنا · ووجدٍ به جسمي الصحيح سقيمُ

ومن نظمه

سعة العيش عند كل انوفٍ · في ظلال العلاء لا في الريفِ
لا يسام العلى بلفظٍ ولكن · دون نيل العلاء خوض الحتوفِ
فالى مَ السكون والعمر ماضٍ · يا لقومي بالذلّ والتعنيفِ
كيف يرضى بخطة الذّل قومٌ · و يقولون نحن شمُّ الانوفِ
ينقضي العمرُ بين شهرٍ وعامٍ · لالوفٍ تسيرُ بعد الوفِ
لا تسرُّ الخدودُ باللثمِ حتّى · تشتكي قبح عهدها المندوفِ
قد تبيّنتُ حالتي وانا في · ربقةِ الاسرِ تحت رقّ العريفِ
فحسدتُ البهائمَ العجمَ لمّا · لحنَ للعين في ظلالِ الكهوفِ
كيف يصفو عيشُ الفتى في ديار · ساد فيها الغبيُّ كلّ ثقيفِ
وتولّى فيها الخواطرُ وهمٌ · شأن اهل الرضا برأيٍ ضعيفِ
فبدا الجهلُ والحقيقةُ امست · وهي ذات السنا وراء السجوفِ
نكبةٌ ضعضعت من الفضل ركناً · ورمت بالبلاء كلّ حصيفِ
ومصابٌ اصاب قوماً فاضوى · منهمُ كل اروعٍ غطريفِ

ومنها

يا زماناً مضى بعزٍّ وعدلٍ · غير قلبي عليكَ غير اسيفِ

كانَ فيكَ المعروفُ يزهو فاضحى   فاقد الذكر ليس بالمعروفِ
يا خليليَّ عرّضا لي بذكر الفضلِ   واستغنيا عن التعريفِ
واذكراهُ وخلّياني من الدهـرِ   وما فيهِ من صنوف الصروفِ
نحن نرجوهُ حفظ مالٍ تليدٍ   وهو يأبى ابقآءَ مالٍ طريفِ

وقال مرتجلاً مودعاً صديقه المرحوم سليم النقاش حين سيره الى مصر في جماعة المشخصين

يا من تعدّى بالنوى   ما زال ودُّك لازماً
سر بالسلامة آمناً   وارجع سليماً غانماً

***

وقال

من لصبٍّ ديونهُ يتقاضى   من اليفٍ عن الوفا يتغاضى
يا لظبيٍ ظُبى لواحظهِ اسـتلَّ لقتلي وهُنَّ كنَّ مِراضا
ورأى مدمعي الهتون فابدى   من ثناياهُ برقها ايماضا
ساقَ لي راحَ حبهِ وهو قاسٍ   من خدودٍ بقينَ فيه بضاضا
يتلاهى عنّي ولستُ بشيءٍ   عنهُ الهو ولم اكن معتاضا
ضنَّ بالوصلِ ثم قال اناسٌ   انهُ كان في الورى فيّاضا
عرضةً للبلا غدوتُ وانّي   ملتقٍ منهُ في الهوى إعراضا

مثل إعراض صاحبي عن جوابي ولقد كانَ للوفا نهّاضا
حالَ عندي دون القريض جريضٌ واعتبار القريض لاقى انقراضا
لك عرّضتهُ فاعرضتَ عنهُ يا خليلي فهل رأيتَ اعتراضا
مَن ترى ناقداً لينقض حسناً فيهِ والحسن يطرد النقّاضا
ان يكُنْ عاذلٌ فلا اختشيهِ ومتى تختشي السباعُ عضاضا
او تكن عبةهُ وحاشاكَ لكنْ مدحهُ ليس يختشي الدحّاضا
قد حوى مدحُك الصحيح وفيهِ ليلةٌ قد هجرت فيها الغماضا
ناظماً بالبديع آياتِ حسنٍ ان تجلّت دعَت لها الانتهاضا
هاك عتبي بسطتهُ حين اضحى املُ الانبساطِ عندي انقباضا
لا تقُلْ انَّ ذا صغيرٌ رقيقٌ سترى دونهُ الضخامَ العراضا
اتقاضى منكَ الجوابَ وعندي انَّك اليوم عنهُ لا تتغاضى

وقال

حقيقةُ الحال تنبي انَّني رجلُ من فرط بلواي قد ضاقت بيَ الحيلُ
ليتَ الذين سبوا قلبي وما رحموا ردّوه فهو بنار الحبِّ مشتعلُ
يا اعين الغادراتِ اللاء قد فتكت في مهجتي هل جراح الحبّ تندملُ
لله يومٌ مضى في الروض حيثُ به نادى الغرامُ بنا واستاقني الاملُ
والعينُ غزّالةٌ والقلبُ غازلها حتّى لبسنا غراماً حاكهُ الغزلُ
ملّكتُ قلبي لمَنْ أَهوى على صغرٍ ظبيٌ تأيّد فيه الميل والمللُ
كم ضمّني ورضابي باتَ مرتشفاً وقد جرى من لماهُ في فمي العسلُ

وإنْ يكُنْ منكرًا قولي فهاكَ فمي وها يدي فبها من خصرهِ جُمَلُ

وقال لواقعة حال جرت

عام ١٨٧٢

ان كيدَ النسآء كان عظيماً كم سليمٍ غدا بهنّ سقيما
ان أرينَ المحبَّ لينَ كلامٍ فبهذا الكلامِ يغدو كليما
هنّ أهلُ الوفآء بالعهدِ ما دمـتَ جليلاً قبلَ المشيب كريما
وإذا مـا رأينَ طالب حسنٍ صرت بعد الجديدِ غمرًا ذميما
كل يومٍ يطلبنَ عهدًا جديدًا ويصير الجديدُ يومًا قديما
قد تحكّمنَ بالقلوب فلا تخضع اذا كنتَ باسلاً وحكيما
ومداواتهنّ داءٌ عضال يلتقي المرءُ منهُ ضرًّا اليما
كيدُهنّ العياذُ باللهِ منهُ انّهُ كان بالعبادِ رحيما

قال لواقعة حال جرت

عام ١٨٧٣

في حبِ بانتنا لا بانة العلمِ بديع نظمي اضحى ايّ منتظمِ
نخلّ سلعًا وسلْ عن حال عاشقها فتلك نار الغضا لاحتْ بذي سلمِ
يا بارق الليل ان جزتَ الجزيرة قف فثمّ اوّل عهد الوجدِ والالم
ويا نسيماً سرى من روضنا سحرًا تحمّلَنْ وجد صبٍّ فاقدِ النسم

وان مررتَ بغربيِّ الديار على | معاهدِ الحب والاشواقِ فانعدمِ
فثمّ انفاس من اهواه مغنيةٌ | عن كل ما في رياضِ الارض من نسمِ
هناك هلّت براعاتُ الغرام لنا | ومنهُ هلّت دموعُ العين كالديم
وركّب الحبُّ في قلبي قوالبهُ | قسرًا فهان دمي فيهِ وها ندمي
حبٌّ اصاب شغاف القلب اسهمهُ | فبات مغرى متى يعذلْ بهِ يهمِ
لم انسَ أُنس نهارٍ بالرياض مضى | مجانساً لنعيم الصفو والنعم
دارت بهِ الراح من كفِّ الحبيب ولم | نحفل بعودٍ يزيل الغمّ بالنغم
وهيّأَ الراحُ اسبابَ الغرام لنا | والجمر ان تأْتهِ الارواح يضطّرمِ
حتى اذا تمّ ما ابدتهُ اعينها | من الجوى منذراتٍ فيه بالسقم
روَت لعاشقها معنى الهوى فسَلا | حديث قومٍ قديمٌ عهد حبّهمِ

وقال

بأبي افدي لحاظاً وفماً | اوردتني منهُ سلمى كوثرا
لا تلوموني أُصيحابي فمَنْ | لامَ لا يدري ومن ذاقَ درى
يا لهُ ثغراً لطيفاً قد اذا — | قَ لسيعَ الصدغ ترياقَ الشفا ٥
قد صفا حتى نفى عني الأذى | يا خليليَّ فبالله صفا ٥
يا مهاةَ الخدر لي قلبٌ اذا | ما غزاهُ الغدرُ يحميهِ وفا ٥
ايّدَ الايمان في الحبِّ وسنّ | سنّةَ العشاق ما بينَ الورى
وعيونٌ قد ابت وصل الوسنْ | فهيَ لا تعتبهُ ان هجرا

دور

بأبي أفدي التي قالتْ سلُوا   هل رأى العشاق مثلي في الملا   ل
ان يكونوا رسلَ الحاظي سلوا   فبخدّي للّذي يهوى بلا   ل
سحرتهم لحظاتي فابتلوا   بهواها يا لهُ سحرًا حلا   ل
وجمالي كلَّ ذي قلبٍ فتنْ   ولارباب النُهى قد قمرا
وسلوا في الحبِّ شيخًا وفتىً   يرعيانِ الليل فيَّ القمرا

وقال

بروحيَ هيفاءٌ اذا ما تمايلت   تقول نسيمٌ مرَّ في دوحة العطرِ
اقول لها عيناكِ شفعًا اصابتا   فؤادي وهذا القدّ بالطعنة الوترِ
فيابانةً بانتْ فبان سرورُنا   وبانت فبانَ البان في الحللِ الخضرِ
نصبتِ شباك الحبّ واصطدتني فلِمْ   جزمت بان يُبنى فؤادي على الكسر
وعهد الهوى وعدٌ ووصل مؤملٌ   وعهدك وعدٌ مطله طائل العمرِ

وقال وفيه سلامة الاختراع

مدحتكَ لا املاً في النوالِ   وان كنتَ ممن يُنيل الأملْ
ولكن رأيتكَ فذًّا بارضٍ   همى كلُّ فضلٍ بها للهمل
تقولُ وتفعل ما قلتهُ   وما كل من قالَ قولاً فعل
وشمت القريض كثير الكذابِ   ونجمُ الحقيقة عنهُ أفل
فجئت بمدحكَ اصدق فيهِ   ارادةَ اصلاح هذا الخلل

وقال في رواية عن لسان ذي فتوّة

كلَّت افئــدةَ الرجالِ بصارمٍ تقوى به الدعوى وإنْ لم ينطقِ
راعَ المقاتلَ هزُّهُ ومضــاؤُهُ حتى تمنّى أنّهُ لم يُخلقِ

وقال في مثل ذلك

ضياءُ الشجاع ظلامُ الوغى بسمرِ الرماحِ وبيض الظبّى
وبرقُ الحسام غداة الصدامِ لغيث الحمامِ نعيم الغنى
ومجدُ الشجاعِ الذي لا يراعُ بيوم القراع اختطاف اللّوا
إذا قدّر اللهُ موت الفتى فما مِنْ مردٍّ لذاك القَضا
وانّا لقومٌ نعدُّ الحياةَ مع الذُّل دونَ البلى والفنى
نبيدُ الجموعَ ونشقي الربوع ونجري دموعَ العيونِ دما
فانْ لم نبارزْ فمَنْ للنزالِ وان لم تناجِزْ فمَنْ للوغى

وقال في جواب ورد اليه من عبدالله افندي كحيل
نزيل دمشق عام ١٨٧٣ ايضاً

حمّلِ الريحَ سلامًا واملاءِ الارض غراما
واجعلِ الأشواق كأساً واشربِ الدمع مداما
واصحبِ الذكر نديمًا انْ تكنْ ترعى الذماما
وخذِ النجم سميرًا وامنعِ العين مناما

هجرَ الحبُّ فصار النـــومُ والأُنس حرامـــا
ملّني مذ بتُّ فيهِ مُستهاناً مستهاما
ايها الظّبيُ الى ما الـــبعدُ عني وعلا ما
قد نسيتَ العهد والو دَّ وغادرت الوئاما
أنْ تكُنْ تؤثر بعدي يا أخا الحسن سآما
فانا يا مالكي عبــدٌ على العهدِ اقاما
زادني البعدُ على مـــا فيَّ وجداً وهياما
كلما هبَّ نسيمٌ أسكبِ الدمع سجاما
أسهرُ الليلَ كئيباً وارى الناسَ نياما
وانا راضٍ بما تقضي فلا تخشَ الملاما
قد سلبتَ البدر والغصنَ محياً وقِواما
وتخذتَ الراح والبر قَ رضاباً وابتساما
وجعلت الفرق والفر عَ صباحاً وظلاما
فلِذا تهدي وتغوي بمعانيكَ الأناما
ايهـــا العاذلُ لا تســـتمطر الغيمَ الجهاما
لُمْ وفنّد واملإِ الدنيا ملاماً واتهاما
لا ارى عنهُ عدولاً فليذبْ مَنْ فيهِ لاما
سائقَ الاظعانِ يطوي الـــبيدَ جدّاً والتزاما
كرماً بلّغ مهاةَ الحيِّ عن ميتٍ سلاما

واختصر في شرحِ حالي والثُمِ الأرضَ احتشاما
يا لَقومي إنْ وجدي أتلفَ الجسمَ وداما
نزعَتْ نفسي الى حيٍّ بهِ الظبيُ اقاما
مَن مجيري من غرامٍ أوهنَ الجسمَ سقاما
في سبيل اللهِ نفسٌ فقدت آماً وعاما
ترتجي في الحب خلاً لا يرى فيهِ اصطراما
ذاك عبد اللهِ من قد تخذ الودَّ وساما
لسنٌ قد باتَ للفضلِ مقاماً وقواما
جاءني منهُ كتابٌ شامهُ الطرفُ فهاما
اخجل الدرَّ ابتداءً وازدرى المسك ختاما
يا كثيرَ الفضل قد ذلّتَ للشعرِ الكلاما
فرأينا لك شعرًا علَّم السجعَ الحماما
كان لي منهُ سميرٌ ومدامٌ وندامى
بأبي أنت فقد اصبحتَ في القومِ إماما
يا صديقي والليالي تلبس الرأس الثغاما
كيف ترجو النظمَ ممَّنْ زوَّد العشقَ سلاما
وتناسى عهدَ ظبيٍ سلبَ الرشدَ الاناما
سدل السترَ فقالوا ألتحف البدر الغماما
فغدا يبسم حتّى فتق البرقُ الظلاما

قد مضى عهدُ غرامٍ   كان في القلب ضراما
وهجرت الشعرَ لمَّا اهــــتضمَ العمرَ اهتضاما
وعجيبٌ شأنُ طفلٍ   رام في المهدِ الفطاما
فاعفُ عني وتقبَّلْ   يا أخا الودِّ السلاما
متعَّ اللهُ بكَ العلــمَ واعلاك مقاما
واراناً منكَ بدرًا   في سما المجدِ تماما

ومن نظمه ايضاً

عام ١٨٧٣

أَلا ناصرٌ من اعينٍ سدنَ بالكسرِ   فهنَّ اثرنَ العشقَ من حيث لا أدري
عيونٌ وقى اللهُ القلوبَ سهامها   فكم نفذت في القلب من داخل الصَّدر
غيونٌ هي السوداء إنْ جنّ عاشقٌ   اوِ البيضُ هزَّتها قدودٌ من السَّمرِ
حمتْ في المحيَّا الثغرَ وهي فواترٌ   وكم قد شفى من غلةٍ باردُ الثغر
فللهِ من ثغرٍ بدا في عقيقه   عقودٌ اذا اقللتُ قلتُ من الدرّ
يطارحني منهُ التَّبسم لؤلؤًا   فألقيهِ من دمعي واجلوهُ من شعري
وما الشّعرُ في حكمِ القياس نتيجةٌ   لأهلِ الهوى الاَّ مقدَّمةُ الفكر
يحاولُ فكري نظمهُ عفوَ خاطري   وتدفعهُ عنهُ معارضةُ الدَّهر
ويأبى بهِ الاَّ التَّغزلَ عفَّةً   فان رحت اشكو لم الاقِ سوى الشُّكر
ويبدو عليه حينَ ينشد كلفةٌ   اذا ضُمِّنَ الشكوى من الضرِّ والعُسر

وكنت متى اقصده يسهل فصرت إن ... أشا نظمه لاقيت أعسر من يسري
ولولاك لم ينقد الى الانس نافر ... ولا شيد بالايمان ما هد بالكفر
ولولاك لم يسبق الى الشعر خاطري ... على جريها الاقلام مع انملي العشر
ولم تنتسق في نظمه من سليقتي ... معان حكين العقد في عنق البكر
ويا رب يوم همت فيه تفكرا ... فرحت طروبا بالتفكر والذكر
جنحت الى روض كأن غصونه ... قدود لها ميل السكارى بلا سكر
وكان هدوء الصبح يحكي متيما ... خلا قلبه من لوعة الصد والهجر
فمرت بنا شكوى الجوى في نسيمه ... فرحنا نبث العذر في عشقه العذري
وخلنا الدجى والصبح يفتق جنبه ... فؤاد عدو يظهر الود عن مكر
فكان جمال الكون في جنب قبحه ... وفاء مداج قد تبطن بالغدر
ولاح لنا الانسان جيشا مقاتلا ... تلاطم كالأمواج في لجة البحر
فعفنا الغواني في المعاني عرائسا ... تجلين كالأقمار في حلل خضر
ولذنا بذيل اليأس من كل لذة ... سوى العلم ان اللذة الصرف للغر
فيا من غدا مستعبدا بوداده ... اخلاء صدق من رقيق ومن حر
تكلفني هذا القريض وليس بي ... من الوجد ما يدعو القريحة للشعر
ولكنني لما ذكرتك هاجني ... اليه اشتياقي وانثنى نحوه فكري
فدونك بكرا ان تبدت لراهب ... جرى خلفها جري المطهمة الضمر
تزينها هذي السطور عن الحلى ... وقد سكنت هذه الطروس عن الخدر

وقال

انا ما بين مطربٍ ونديمٍ ومدامٍ صافٍ وناي ٍوعودِ
وسرورٍ وافٍ فوافي حمانا وعن الصدِّ يا مليحة عودي

وقال

هجرتَ وما ذنبي لديك لتهجرا فما عفتُ معروفاً ولا جئتُ منكرا
جرحتَ فؤادي بالصدود وها دمي بخدِّك مسفوكاً فلا تكُ منكرا
وبتُّ وما للقلب من راحةٍ ولا لعينيَّ انجنَّ الدجى فيه من كرى
وشاهدُ وجدي سقمُ جسمي ومدمعي فان رمتَ تحقيقَ الشهادة منك را
تبرأتُ من ذنبي وهجركَ قد برى عظامي وعذَّالي يقولون مَن برى
وجرتَ بقدٍّ عادلٍ كلما انثنى اقول للوّامي تبارك مَن برا
فما ضرَّ لو كلّمتِ قلباً مكلَّماً وانت ترى فيه لذاتكَ منبرا

وقال على لسان بعضهم برسم امير افرنجي قدم بيروت عام ١٨٧٤

ضاءَت بك الدنيا واشرق نورُها وبدَت لك العليا وانت اميرُها
فتلألأَت زهرُ الكواكب وانجلت بمطارفِ الاعجاب منك بدورها
وزهت رياضُ الأنس في احيائِنا فترنَّمت فوق الغصون طيورُها
فالوقتُ صافٍ والكؤوس يديرها من راحتيهِ ووجنتيهِ مديرها
قمرٌ على غصنٍ يطوف بانجمٍ تخفى الشموسُ اذا تبدَّى نورها

فاليكَ منا انفساً مسرورةً ناجاك منها بالهناء ضميرها
علمتْ بانك في المعالي مفردٌ لك سرُّها دون الملا وسريرها
ورأَتك بيروت البهيَّة وافدًا فتبسَّمت لك بالسرور ثغورُها
ولو السحائبُ أُخبرت بكَ اقبلت واتاك منها بالثناء مطيرها
يا ابن الاولى كرموا وعزَّ نظيرهم بمآثرٍ في النّاس عزَّ نظيرها
حملتكَ اجنحةُ البخار وربما عرفتكَ فاهتزَّت لديكَ بحورُها
وسريت في اقطارنا متنقّلاً وكذاك تفعل في السمآء بدورُها
فاتيت ارضاً معظمُ التاريخ من اخبارها قدماً وانت خبيرُها
تلقاك صيدونُ القديم بهاوءها ويراك من صور العظيمة سورُها
والشيخ لبنانُ الذي ما هالهُ فيما علمتَ من العصور كرورها
وتريك بيروتُ السرور بثغرها ويريك ابهج ما رأَيت سرورها
وترى القوافي الباساتِ قوادماً هذا القصيدُ الى علاك سفيرُها

وقال في حلّ لغزٍ ورد في الجنان سنة ١٨٧٤ بكلمة صبا وملغزًا في بحر

ابديتَ لغزًا لهُ قلبُ الاديب صبا يحكي برقّةِ معناهُ نسيمَ صبا
قدحلَّ عندي مقام الحبِّ من كبدي لمن تغنَّى بذكر العارفين صبا
ومذ قطعتُ لهُ ذيلاً يتيهُ بهِ رأيتهُ نعتَ صبٍّ للحسان صبا
فهو الصبا وبهِ غنَّى صبا وصبا مَن في زمان الصّبا يشكو بهِ وصبا

وبعد فاكشفْ لنا يا مَن شمائله ... راقت عن اسمٍ لهُ في العالمين نبا
وافصحْ عن اسمٍ ثلاثيّ تحيَّر في ... معناهُ فكري وأبدى كنههُ عجبا
قلّبْهُ تلقَ معانيهِ بدتْ ولقد ... رأى اللبيبَ لهُ من قلبهِ لقبا
وان تقلَّب فهو الويلُ حيث بهِ ... نادت جيوشٌ من الاهوال واحربا
وان تقلّب كلٌّ يبتغيهِ وانْ ... قلّبتهُ فيهِ ذا اللغز قد كُتبا
وان سلبتَ حشاهُ قال ناظمهُ ... البرُّ بالبحر بادٍ وانثني طربا

وقال حلاًّ للغزٍ في مصباح والغازًا في بان

يا هلالاً بسما الاصلاحِ لاحْ ... ما لهُ في قولهِ ان لاحَ لاحْ
وهماماً همّهُ نيل العلا ... لغزكَ الباهرُ بالمصباحِ باح
قد أجبنا فأجبنا ما اسمُ شيءٍ عليه طائر الافصاحِ صاح
راق لي اللغزُ بهِ حين انثنى ... رمحَ قدٍّ اثر الارماحِ ماح
وهو فعلٌ صحّ فيهِ معنيا ... نِ فقل لاحَ وان شئتَ فراح
قلبهُ شبّهتهُ بالدرِّ اذ ... حلّ في وادي عقيقٍ وسط راح
وتراهُ دون قلبٍ ان بدا ... دمهُ الاسودُ للشرب مباحْ
ثلثهُ وهو الثلاثيُّ غدا ... للمحاجي سمكاً يا ذا الصلاح
واقلبِ الباقي تجد من حقّهُ ... منك اكرامٌ مساءً وصباح
ومع المحذوف تلقَ من عليهِ حقوق البرِّ فانظر فيه صاح
وهو للايضاح بالامر يشيدُ نجد بالحلِّ وانعم بالسماح

وقال يرثي فقيد الادب والاجتهاد سليم افندي الخوري احد صاحبي آثار الادهار عام ١٨٧٥

جار دمعي فمدمعي منه جارِ ... واصطباري ما إن يواري أواري
أيُّ ندبٍ وجيبنا فيهِ فرضٌ ... فجعتنا بهِ يدُ الاقدارِ
عهدنا في ديارهِ يأنسُ الانْ ... سُ وتشدو على الغصون القماري
ونوى الان وحشة الحزنِ فيها ... بنواح الحمامِ في الاسحار
يا هلالاً في القبر ما كان قبرٌ ... قبل ذا من منازلِ الاقمار
لم تغِب عن بصائرِ النّاس لكن ... غيّبتكَ العليا عن الابصارِ
فبكتك العيونُ وهي عيونٌ ... فائضاتٌ عن واسعات المجاري
بل بكتك الطروسُ نظماً ونثرًا ... فهي للثاكلاتِ فيكَ تُجاري
ورثاكَ التاريخ فينا فأبقى ... في القلوب الآثار للادهارِ
نحنُ نبكيك والمعارف ترثيـ ... ـكَ على إِثرنا مدى الاعصارِ
طابَ فيك الثناءُ نشرًا ففاحت ... نفحاتٌ من ذكرك المعطار
وتولّى لسانُ حالك عنا ... ذكرَ قولٍ يفيد للتذكار
انّ آثارنا تدلُّ علينا ... فانظروا بعدنا الى الآثار
فهو سفرٌ انشأتهُ بعد طول الـ ... ـبحث والجهدِ فيهِ والاسفار
وقضى الموتُ ان قضيتَ ولم تنجـ ... ـزهُ والموت حاكمٌ ذو اقتدار
ياصديقي سقَتْ ثراكَ الغوادي ... او عيوني فانهنّ جوارِ
بنت عنا فما خلا قلبُ خلٍّ ... في حمانا من حرقةٍ واوار

كلنا مذ دهاهُ خطبك باكٍ ‌‌ نائح طول ليلهِ والنهارِ
وبكَ الآلُ والرفاق استووا في ـ الحزن جودًا بدمعٍ مدرار
لبسوا بعدك السوادَ ولاحت ‌‌ بحدادٍ حديقةُ الاخبار
ولئن اكثروا البكاءَ وناحوا ‌‌ وهم لم يلمهمُ ذو اختبار
فعلى مثل مَن أضاعوهُ يُبكى ‌‌ لا على درهمٍ ولا دينارِ

وقال تاريخًا له

يا بني الخوري على كلِّ الورى ‌‌ حكمُ هذا الموت جارٍ فاصبروا
يؤجَرُ الصابرُ في المحنة ان ‌‌ ارّخوهُ او بفوزٍ يظفر (١٨٧٥)
قصفَت ريحُ الوبا من دوحكم ‌‌ غصنًا فيهِ المعالي تزهر
فتلونا فيهِ بالتاريخ إنْ ‌‌ قصفَ الغصنَ هواءٌ اصفرُ ١٨٧٥

وقال مؤرخًا لحكاية حال

لما تجدَّد عهدُ ودّكَ بيننا ‌‌ من بعد ما في اللّيل طلّقت السنة
أصبحتُ في تاريخهِ بك ناشدًا ‌‌ عهد المحبّة تمّ في راسِ السّنة

وقال يرثي منويل فيليبيدس

لهذا الخطبِ تُدخَرُ الدموعُ ‌‌ وينفرُ عن نواظرنا الهجوعُ

فيا لمصابِ اهل العلم لمّا … دهاهم ذلك الويلُ الذريعُ
قضى منويلُ فانفجرت عيونٌ … واذرفَ وبلهُ الطرفُ الهموعُ
فتىً قد كان للآدابِ ركناً … فقُوِّض ذلك الركنُ المنيعُ
أخا الافضال كيف نأيت عنا … فهل يرجى لنا بعدُ الرجوعُ
أَخا الآداب كيف تركتَ قوماً … لهم فيك التولهُ والولوعُ
وانّى لا تجيبَ لمن ينادي … وانتَ لِمَنْ يناديك السميعُ
ويا مَن ما عصى للهِ امراً … وكان لحكمهِ ابداً يطيعُ
دهاكَ منَ المنيّةِ ما دُهينا … بهِ ورماكَ قاصدها السريعُ
فوا لهفاهُ جسمكَ كيف يفنى … وفكرُكَ فيه جوهرهُ البديعُ
ستبكيك العيونُ وما عليها … اذا فاضت على التربِ الدموعُ
وترثيكَ المعارفُ والمعالي … وتبكيك المحافل والجموعُ
وتندبك الفضائِلُ باكياتٍ … ويبكيكَ الذّكا وهو الصريعُ
تركتَ بزهرة الآدابِ ذكراً … معطّرهُ يضوعُ ولا يضيعُ
وكنتَ لها من الاعضاء رأساً … فكيف بهم ورأسهمُ الصريعُ
الست تراهمُ وهمُ وقوفٌ … وكلٌّ منهمُ حزنٌ صديعُ
الستَ ترى لديك اخاً شفيقاً … دهاهُ بخطبكَ الرزءُ الذريعُ
ينادي يا أخيّ بلا وداعٍ … تفارقنا وانت اخٌ وديعُ
اخيّ أَما لهذا الخطبِ ردٌّ … وهلاً يوقف الحكمُ الشفيعُ
فوَا لهفي لوالدةٍ تغادي … شراكَ ودمعها هامٍ هموعُ

إذا ندبَتْ صباك بلا فتورٍ تجاوبها مع النّاس الربوعُ
لغيرك مذ مضى شقّت جيوبٌ وانتَ عليك قد شُقّتْ ضلوعُ

وقال فيه ايضاً

صاحِ نادى الموتُ في الصّحبِ وصاحْ ما منَ الموتِ مناصٌ او براحْ
ودهانا خطبهُ عند الصباح فأرانا الويلَ فيما قد فعلْ

***

دهمَتنا يا أَخا الرّشد المنون فارتنا ويلُها كيف يكونْ
وأَذاقتنا بلايا وشجونْ ورمت بالعقلِ في وادي الخبلْ

***

لم يعُدْ واللهِ في النّاس احدْ دون حزنٍ او شجونٍ في الاحد
جرّد الموتُ لنا سيفاً أَحَدّ ليقدّ الجسم منّا والعضل

***

منويلٌ بعد أَوجاعٍ قضى تابعاً احكام ربٍّ قد قضى
هكذا قد تمّ في النّاس القضا رام منهم اجلاً قالوا اجلْ

***

أَترى بعد مقاساةِ الأَلمْ وبلايا مرضٍ فيهِ أَلمّ
شبحُ الموت فوا ويلي أَلم يشفقُ الموت على شخصٍ كملْ

***

يا رفيقاً كان بالنّاس رفيقْ وصديقاً كان بالقولِ صديق

شقّ والله علينا يا شقيقْ   أن نرى في رزءِك الرزءَ الجلَلْ

***

اسفاً عمرُكَ ما بين الدروسْ   قد تقضّى وكذا بين الطروسْ
وكذا آلام اضلاعٍ وسوسْ   مرضٌ من حبّك العلم حصلْ

***

يا غصيناً بهوا الموتِ هوى   وقضيباً في ربى القبرِ ذوى
يا هلالاً خُسفَ اليوم فوَا   عجبي وهو هلالٌ ما اكتملْ

***

كم شكا الجوهرُ آلام المرضْ   ولسهمِ الموت قد اضحى غرضْ
فمتى الجوهرُ افناهُ العرض   يا لقومي ذا مصابٌ قد نزلْ

***

زهرةُ الآداب اضحت بعد منْ   بذلَ الجهد بها من غير منَّ
وعليها جادَ بالفضل ومن   تشتكي الضرَّ منَ الخطب الجلّلْ

***

يا لبدرٍ صابهُ نقصُ الخسوفْ   ولشمسٍ قد أُصيبَتْ بالكسوف
ولشهمٍ ذَلَّ والشّهم انوفْ   ولنجمٍ بعد لألآءِ أفلْ

***

منويلٌ غبتَ عنا اسفا   منويلٌ قد أُصبنا تلفا
منويلُ مَن يذقه عرفا   المَ البعد عن الحبِّ الاجلْ

وقال فيه ايضاً

على القلب ماءُ العين ينهلُّ ساجمُهْ ... وما برحَت نارُ المصاب تلازمُهْ
تعزّيه احوال الزمان فيلتقي ... جيوشاً منَ الاهوال منهُ تصادمُهْ
يرى انّ في الدنيا زحاماً فيرتجي ... مكاناً بهِ لا يلتقي مَنْ يزاحمُهْ
يرى حيواناً يأكلُ النبتَ رابضاً ... عليهِ ومنهُ النبتُ صارَت مطاعمُهْ
ويلفي نباتاً نامياً متغذّياً ... بجثّة حيوانٍ مضى وهوَ لاقمُهْ
وذاك هو الدورُ العجيبُ نظامهُ ... وجوداً وحفظاً جلّ مَنْ هو ناظمُهْ
فما حزَن الانسانُ الاّ بحادثٍ ... منَ الطبعِ قد لا يستطيعُ يقاومُهْ
وما هو الاّ الفةٌ مدنيّةٌ ... وحبُّ اجتماعٍ كيف مال يلازمُهْ
وما اجتمع الانسانُ الاّ ليتقي ... جموعاً من الوحشِ النفور تهاجمُهْ
فكان عيالاً ثم صار قبائلاً ... يردّ وحوشاً في الفلاة تقاومُهْ
وزاد ائتلافاً صار فيهِ كواحدٍ ... فمنهُ لهُ خيرٌ ومنهُ ماآثِمُهْ
وعاش على حبِّ الاخاء مرجياً ... دواماً لِما لا يُرتجى معَهُ دائمُهْ

ومنها

ومَن خبِر الدنيا رأى انّ عسرَها ... يسيرٌ اذا مـا فات تنسى جرائِمُهْ
بكيتُ ومـا كان البكاءُ لاشتفي ... وتُطفأَ من قلبي الكليم ضرائمُهْ
ولكنْ قلبي ذاب حزناً وقد جرى ... منَ العين دمعٌ في الخدود علائمُهْ
فيامَن نأى عنا فديناكَ مَن ترى ... بلحدك غيرَ الدود الفا تنادمُهْ
عهدناك ذا قلبٍ رقيقٍ فكيف قدْ ... نأيتَ ولم ترفقْ بمَنْ انت ظالمُهْ

ستبكيكَ ما ناحَ الحمامُ معارفٌ　　ويبدو على التاريخ حزنٌ يلازمهُ
عليكَ سلامُ اللهِ ما هبَّتِ الصبا　　وناحَت على غصن الرياضِ حمائمُهْ

وقال راثياً بعضهم
عام ١٨٧٥ ايضاً

جرَّدَ الموت حساماً ماضياً　　كان بالظلم علينا قاضياً
حاضراً مستقبلاً او ماضياً　　ما احتيالُ الناس في هذا القضا

***

قد قضى مَن كان ما بين العبادْ　　خيرَ قاضٍ برشادٍ وسدادْ
لبس الفضلُ لهُ ثوب الحدادْ　　وعنِ الناس نراهُ معرضا

***

خطبهُ في الناسِ تاريخٌ اليمْ　　فعليه رحمة الله الكريم
سار عنّا ناحياً نحو النعيمْ　　ولنا افئِدةٌ فوق الغضا

***

اينَ من كان امام المعرفَهْ　　ان يكن انصفهُ مَن وصفَهْ
قُلْ لمن عرَّفهُ ان عرفَهْ　　إنَّ ذا الجوهرَ اضحى عرضا

***

بل هو الجوهرُ لكنَّ المماتْ　　حاكمٌ فينا بتغييرِ الصفاتْ

هكذا الانسان قديسي نبات　　فوق قبرٍ حلّهُ فيما مضى

***

فذرِ الدنيا اذا رمتَ الهنا　　فارتضاءُ المرءِ في الدنيا غنى
كلّما نحسبهُ فيها لنا　　سوفَ نبقيهِ على غير رضى

***

دأبنا جمعُ ثراءٍ وحطام　　واكتسابٌ من حلالٍ وحرام
نبدأ الامرَ ولا ندري الختام　　ليتَنا نبدأُ امرًا مرتضى

قال في كتاب ارسله من بيروت الى صديقه المرحوم سليم نقاش في الاسكندرية عام ١٨٧٧

ما كان صبُّك يا مليحُ يبوحُ　　بهواك لولا دمعهُ المسفوحُ
يا راكبًا فرسَ الدلالِ مطوّحًا　　امسِك عنانك في الطّريق طريحُ
هذا طريحُ جفاك اسكرَهُ الهوى　　فهوى وقد أودى به التبريحُ
يهواك امّا الجسمُ منهُ فمتلفٌ　　سقمًا وامّا ودّه فصحيحُ
وهواك لولا إن تعلّلهُ المنى　　برضاك كادَ من السقام يطوحُ
مَرحى اصبت بسهم طرفك مهجةً　　جرحى فجاورت الجروحَ جروحُ
يا من بذلتُ مدامعي في حبّهِ　　ورضـاهُ وهو بما اروم شحيحُ
ابكي وتبسم مازحًا متجنيًا　　انّ التجنّي يا مليحُ قبيحُ
قد عاضني عنك الوفا برسـالةٍ　　غرًّا لها عندي عليك رجوحُ

طرسٌ عليه من الصداقة رونقٌ ما نال رائع زهره التصديحُ
سجعت بلابلهُ على غصن الوفا فصبا لها التسجيع والتوشيحُ
يا من غنيتُ بوصفهِ عن ذكرهِ انخرْ فمالك في الوفاء كفيحُ
نصبو الى مصرٍ حللتَ بارضهِ فلنا الى مصرٍ لذاك جنوحُ
قطرٌ يطيب به المقام وينجلي فيه السرور ويبعد التتريحُ
حيث الرياض تزينها اغصانها وينمُّ فيها بالغرام الشيحُ
وغديرها ينساب كالافعى لها عند الصباح تبوّعٌ وفحيحُ
قد لامستهُ غصونها لمّا صفا وجفتهُ لما جعّدتهُ الريحُ
وتخلّلتهُ ظلالها حتى غدا كالآل يخفى تارةً ويلوحُ
يا من تأيّد ودُّهُ بوفائهِ اقسمتُ مالي عن ثناك نزوحُ
لا زلت مرتفع المكانة سالماً تبنى لودِّك في القلوب صروحُ
واسلم على رغمِ الزّمان معزّزاً ولك المهيمن ما اردت يتيحُ
واقرأ على خلٍّ قد استرعيتهُ ودّي سلاماً مازجتهُ الروحُ
ثم السلامِ لسائر الصحبِ الأُولى اغدو على شوقي لهم واروحُ
دمتم جميعاً في المسرّة والهنا ما صاح طيرٌ في الرّياض صدوحُ

وقال في اوائل صباه من قصيدةٍ في الحبّ

اصاب الهوى قلبي والهبهُ الجوى فواحسرتي هل عاد بحسن لي حالُ
اذا رحتُ اشكو العشق تأباهُ شيمتي وخلفي وقدّامي وشاةٌ وعذّالُ

وتسكب اجفاني الدموعَ كانما   همي من سما عيني فوق الثرى خالُ
وفي جفن من اهواهُ سيفٌ مهنّدٌ   وفي اعيني غيثٌ هتونٌ وهطّال
فيا للهوى من لي بهيفاء غادةٍ   يرى القتل عدلاً طرفها وهو فصّال
شكوت لها حالي وشوقي فاعرضت   وميلها عني ملالٌ واميالُ
وذي حالة الايّام لا تستقرّ بل   تحول امورٌ ثم تأتيك احوال
فيومٌ لبؤسٍ ثم يوم لنعمةٍ   ويومٌ به يسرٌ وبالامس اقلالُ
يرى المرء حيناً لابساً ثوب نعمةٍ   وحيناً له من اقبح الفقر سربال
وللعصر احكامٌ وللدهر حكمةٌ   وللبعض اقوالٌ وللبعض افعالُ
يقولون دَعْ طرق الغرام فانها   تنيلك ذلاً قلت يا بئسَ ما قالوا
هو الحبُّ لولا الدين صرّحت انهُ   الهي ومعبودي وما فيه اشكالُ
ساتبعهُ حتى يرى الناس انّني   وفيٌّ بعهدي والحوادث تغتال
واشرب كاس الذلِّ عزًّا بحبِّ من   غدا بلباس التيهِ والصدِّ يختالُ
اهيفاءُ اني ثابتٌ بالغرام لا   تزعزعني عن مركز الحبِّ اقوال
اهيفاءُ انّي لا احولُ عن الهوى   ولو قُطّعت مني على الطرق اوصالُ
ولولا الهوى ما سال دمعي ولا جرى   ولا صاب قلبي والمفاصلَ زلزال
ولا ارخصت عيناي دمعاً سفكتهُ   ولا حلّ في بالي من الحبِّ بلبالُ
عشقتك في العشرين ثمّ اصابني   بحبّك عشرٌ لا يوافقها البال
سقامٌ وذلٌّ حسرةٌ حرقةٌ جوىً   بكاً وبلاً نوحٌ وسهد واذلالُ
يقابلها من بعض حسنك ستةٌ   يموت بها صبٌّ ويعشقها الخالُ

جبينٌ محيًّا ثمَّ ثغرٌ وناظرٌ   وكشحٌ وقدٌّ في ربى الحبِّ ميَّالُ
هلالٌ وبدرٌ كوثرٌ ثمَّ نرجسٌ   كثيبٌ وغصنٌ وهو ان شئت عسّال

﴿ وقال في جمعية زهرة الاحسان ﴾

عام ١٨٨٠

ما كان للمسكين من تأساءِ   في الفقر كالاحسان من حسناء
يجلو سواد زمانهِ منها يدٌ   بيضاء تشكر من يدٍ بيضاء

« وقال »

الى مَ الدلالُ وفي مَ الملالُ   نخلّي المطالَ وعودي عن الصدّ
لقد كفّرت ادمعي الهاطلات   ذنوباً جناها حسامي المهنّد
وان كانِ ذنبي عظيماً فهذا   حساب الذنوب بدمعي مسدّد
هجرتُ المنامَ لفرط الغرامِ   وسامرتُ في الليل بدرا وفرقد
فؤادي عشيقٌ وفيه خفوقٌ   ودمعي طليق وقلبي مقيّد
وما زلتُ عبدًا ولا خنتُ ودًّا   ولا سمتُ صدًّا وعهدي موءيّد

« وقال قدّا »

جور دهرٍ لا يبالي   بتلافي ووبالي
بات جسمي منهُ بالي   وهو بالاوجالِ جال
قد جاربي دهري   لخرتُ في امري
وما من الدهرِ مجير

(دور) يا لدهرٍ من اذاهُ طابَ للجسم بلاهُ
كيف انجو من بلاهُ وهو بالفصَّال صالْ
يا خالق الكون كنْ في البلا عوني
فانت لي خير نصيرْ

« وقال »

الآن انت كما ترضى العلى رجلُ يلقى الصروف بقلبٍ ما بهِ وجلُ
قد نلت نصرًا على نصرٍ وخيرهما نصرٌ غريمكَ فيه الاعينُ النُجلُ

وقال

في سما الانس لدينا قمرُ الاصلاحِ لاحْ
وبما اهدى الينا طائرُ الافصاحِ صاحْ
قد نأى شرُّ العناء واذى الاتراح راحْ
فسكرنا بالهناء انَّما الافراح راحْ

وقال عاقدًا بتشطير بيت للمتنبي

نالتْ مزيدَ الهناء انفسُنا من بعد ما كاد يُقطع الاملُ
فدمت يا بدر يا غمامة يا ـ عالي الذرى يا همام يا بطلُ
يا شهم يا سهم يا مهنّد يا ـ ليث الشرى يا حمام يا رجلُ

وقال وهي مما كتب في البحر عند العودة من باريس الى بيروت عام ٨٠ ايضاً اثر الداء

غبنا وكانت اليك اوبتنا ... يا وطناً لم يغبْ عن الفكرِ
ما برحتْ نفسنا على ولهٍ ... تغالب الشوق فيك بالصبرِ
يهمدها اذ تكاد تهمدهُ ... حتى بدت منه علَّة الصدرِ
فاحتملتنا اليك جاريةٌ ... كانهـا بالذي بنا تدري
يكادُ ماء العباب يغرقها ... وقلبها مثلنـا على جمرِ
وتنبري كالسحاب نحسبها ... تسري اليها الربى ولا تسري
كالارض تجري ونحن نبصرها ساكنةً كالعقول في مصرِ (١)

« وقال »

أصبرٌ وقد ذاب الفؤاد من الوجدِ ... ونومٌ وعين الصبّ وقفٌ على السهدِ
وكيف اصطباري والغرام محاربي ... بسيف الجوى والشوق في الهجر والصدِّ
فيا زمن اللذّات هل انت عائدٌ ... ويا مالكي هل انت باقٍ على العهدِ
أاحبابنا لم يبقِ لي هجركم سوى ... حشاشة قلبٍ من هواكم على وقدِ
الفتُ سقامي بعدكم فاذا نأى ... اسفتُ وقد عوّضت بالغيّ من رشدي
فهل عندكم انّي على العهد ثابتٌ ... وهل عندكم من غصّة الشوق ما عندي
وذا شرح حالي في الصبابة بعدكم ... فبالله قولوا كيف حالكمُ بعدي

---

(١) وفي هذا البيت اشار الى ارتباك الاحوال في مصر اذ ذاك لا الى عقول المصريين من حيث هي فقد كان رحمه الله من اشد خلق الله كلفاً بهم

قنعتُ لما شاءَ الزمان بذكركم ويا ليت هذا الذكر يغني عن الوجدِ
وشحّذت سيف الصبر والوجد قاتلي فاصبحت شحّاذًا واقبلت استجدي
وهمتُ بكم في القرب والبعد وحدكم على انني ما همتُ في حبكم وحدي
وفي الحبّ ذو شانٍ وفيه مقلدٌ وشتّان ما بين الثعالب والاسدِ

وقال في مشكلةٍ سياسية وقعت بايطاليا من جراء خلافٍ جرى بين بعض السياسيين في احدى المراقص

فيارُبَّ حتّى في المراقص عندهمْ مشاكلُ فيها للانام شرورُ
يدورون بالغيد الحسان رواقصاً على نغمٍ والدائراتُ تدورُ

« وقال مخمساً »

غرامي غريمي والهوى باعث الجوى وقلبي بنار الوجد فيه قد اكتوى
على انّني والقلب تتلفهُ النوى كتمت الهوى حتّى اضرّبيَ الهوى
وباحت دموعي بالغرام وما بحتُ

« وقال »

يا قلب صبرًا فانّ الصبر محمودُ وان عدمت المنى فالاجر موجودُ
قد بتُّ احسد من ذاق الكرى وانا في ظاهر الحال عند الناس محسودُ
رُشدي وقلبيَ مما قد منيتُ بهِ دون الامانيَ مفقودٌ ومفؤودُ
والصدر والقهر في ضيقٍ وفي سعةٍ والضرُّ والصبرُ موجودٌ ومفقودُ

والطرفُ والشوقُ في ماءٍ وفي لهبٍ ... واليأسُ والانسُ مقبولٌ ومردود
لا التقي طرباً لو راح ينشدني ... لحنَ الزبور على الاوتار داوودُ
كيف السرور لقلب أُنسهُ ابدًا ... بالهمِّ والغمِّ معقولٌ ومعقودُ

⁂ وقال في اوائل صباه بديهاً في مليحةٍ دعيت الى المخاصرة في احدى المراقص ⁂

وهيفاء تعدو الى الحرب رقصاً ... على نغمِ العود ثمَّ الكمنجةَ
بقدٍّ كرمحٍ ولحظٍ كسهمٍ ... وجفنٍ كسيفٍ ونهدٍ «طبنجةْ»

« وقال »

رفقاً بمهجة صبٍّ ... اضناهُ هجرٌ وصدُّ
ثلاثةٌ تيَّمتهُ ... شوقٌ ووجدٌ وبعدُ
ثلاثةٌ هيَّمتهُ ... نوح وذكر وسهدُ
يهوى وما لهواهُ ... ولا لمن ودَّ ندُّ
فقدُّهُ الغصن فيهِ ... طير المحاسن تشدو
ووجههُ البدر منهُ ... نور الملاحة يبدو
وشاهد الحسن فيهِ ... ريقٌ لمن ذاق شهدُ
ابدى لنا الروض منهُ ... قدٌّ وثغرٌ وخدُّ
واين في الروض منها ... غصنٌ اقاحٌ وورد

« وقال »

ايها السامي الى اعلى العلى ... مِلكٌ انت عظيم ام ملَكْ

همامٌ اذا لاذ الضعيف ببابهِ تحامته فيهِ الحادثات الدواغرُ
ولو رامهُ الثبت القويُّ بنظرةٍ لردَّ اليهِ طرفهُ وهو حاسرُ
غمامٌ اذا اعطى حمامٌ اذا سطا فمنهُ يباح العرف والعرض وافرُ
له همةٌ من دونها السيف ماضياً مضارعهُ في الدهر ناهٍ وآمرُ
ورأيٌ هدى اهل السرى بضيائهِ كما ارشدت ركب السفين المنائرُ
وما شئت من فضل نظيمٍ وسؤددٍ عظيمٍ عليهِ من تقاه شعائرُ
وجدٌ مباري مجدهِ فيهِ خاسئٌ ومجد مجاري جدّهِ فيهِ خاسرُ
وعزمٌ مداني نصفهِ عنه خائرٌ وحزمٌ معاني وصفهِ منهُ حائرُ
اقام على تلك المحاسن حجةً من الفعل اعيا ردّها من يكابرُ
فسل عنهُ نوّاباً رأَوا نور رأيهِ فضاءَت بهِ ابصارهم والبصائرُ
وسل عنه اهل البغيِ اذ ردَّ كيدهم وقد غرّهم جيشٌ لهم متكاثرُ
ولم يألهم نصحاً ولكن اضلّهم ادلاء في ليل الغرور عواثرُ
فآبوا بخسرانٍ وباؤوا بحسرةٍ وكسر قلوبٍ ما له الدهر جابرُ
ويا يوم وافوا لاجبين كانّما قد انحلّ نطق البحر والبحر زاخرُ
عليهم من اليأس المبين علائمٌ تعلِّم كيفَ الهول من لا يحاذرُ
وجوهٌ عليها صفرة الغيظ مثلما تفتح عن اهل القبور المقابرُ
فالفوه طوداً لا يبالي بعاصفٍ وليثاً هصوراً لم ترعهُ المخاطرُ
وقوماً باسرار السريرة ظاهراً وحرّاً باضمار الضمير يجاهرُ
ومستهلكاً في اللهِ لا يرهب الردى اذا رهبتهُ في النزال العساكرُ

فعادوا سكارى لا بخمرٍ سوى التي ادارت عليهم في الديار المحاجرُ
ولولاهُ ما هلَّت بدمعٍ عيونهم سوى ما اعدَّت يوم تأتي البشائرُ

« الى هنا ما نظم قبل السجن وما يليه منظوم فيه »

أمولايَ هذا نظم حرٍّ وتلوهُ كلام سجينٍ اوثقته المآثرُ
اتوهُ بنكرٍ وهو للعرف مرتجٍ وجازوهُ بالخذلان وهو مناصرُ
وما وجدوا ذنباً له غير انهم أثاروا عليهِ الدهرَ والدهر جائِرُ
أيُبعد ذو فضلٍ ويُدنى منافقٌ ويُسجن وافٍ حين يُطلق غادرُ
ويُكرم جاسوسٌ عن الصدق حائدٌ ويظلم همَّامٌ على الحقِّ سائرُ
ويُرفع نمَّامٌ عن الريب كاشفٌ ويخفض كتَّامٌ على العيب ساترُ
بذا قضت الايَّام ما بين اهلها معائب قومٍ عند قومٍ مفاخرُ
على انني والشين تأباهُ همَّتي لراضٍ بعقبى ما وفيت وصابرُ
فان لم تفدني للوفاء اوائلٌ عقدت رجائي ان تفيد الاواخرُ
وما ارتجي فيهِ من الناس نائلاً ولكنني للبرِّ والعرف ذاكرُ
فيا مَنْ تولاَّني فنلتُ بقربهِ اماني عنها جهد غيريَ قاصرُ
مقام اخي فضلٍ وشهرة كاملٍ وصيتاً لهُ نشرٌ من الطيب عاطرُ
وصحبة ساداتٍ كرامٍ بمثلهم اذا كثر الاعداء بتُّ اكاثرُ
ساشكو زماني شاكراً ما حبوتني فها انا طول الدهر شاكٍ وشاكرُ
وما صغرت نفسي لامرٍ يريبها ولا انا ممَّا نابها متصاغرُ
كفاني من الدنيا وجودك سالماً وحسبي من الايَّام انك ظافرُ

وقال في السجن بالاسكندرية عام ٨٢ ايضاً

لئن حبست بلا ذنب ولا حرجٍ فما يراعي الى غير الهُدى انطلقا
ولي فؤاد امينٍ ان صفا ووفا ولي لسان بمحضِ الحقّ قد نطقا
ما للمؤذّن لم يسجن بارضكمُ ان كان يسجن فيها كلُّ من صدقا

« وقال »

وارخص دمعي للضعيف اذا شكا ودمعي لنفسي في النوازل غالِ
علوت بذمّ السافلين كما بدا بمظهر طعن الناقصين كمالي

وقال وقد سماها القصيدة الحربية

تُردّدُ يوم الحرب احزانها الثكلى ويسأم محزونٌ غدا فاقداً عقلا
فيا للبلايا للانام ويا لها خطوباً اذا حلّت يحلُّ البلا حلاً
يحلُّ بها قتل النفوس تعمُّداً ويحرم منها العدل من بعد ما حلاً
فذا هاربٌ خوفاً وذا غاربٌ نهوى وذا فائت سلباً وذا مائت قتلا
وذا رافع رأساً وذا ناصب لوًا وذا قائل قولاً وذا جازم فعلا
ولا صاحب يرعى الوداد ولا اخٌ يراعي اخاً والخلُّ لا يعرف الخلاّ
هنالك لا يبدو سوى برق مرهفٍ وغيث رصاصٍ هاطل في الملاوبلا
ويدفع فيه المدفع الموت في فمٍ تلظّى به البارود غيظاً على القتلى
فلا تلتقي الا رؤوساً تطايرت وابطال عزٍّ تشتكي الضيمَ والذلاّ

وتزعم ان العزَّ والفضل في الوغى — فأقبحْ بهِ عزًّا وأَقبحْ بهِ فضلا
وفتيان قومٍ يشتكون مصائبًا — وما منهمُ من يرتجي ان يُرى كهلا
فذا قائل ويلاه هل من مبلّغٍ — اهيليَ كم اشقى وكم التقي نكلا
وهذا ينادي مَنْ يسيرُ الى ابي — ويخبرهُ عنّي وعمَّا بهِ أُبلى
وهذا قضاءَ الموت يقبل طائعاً — بودّعِ ذي الدنيا ومهجته تُصلَى
تدوس به الجردالسلاهب في الوغى — فتسلبهُ روحًا وتودعهُ الرملا
مَنِ الواقع المطعون في باحة البلى — يشلُّ باسيافٍ محدَّبة شلَّا
يموت وما من يستقيهِ من الورى — ويصرخ لكن لا يرى شافيًا غلَّا
فذي آفة الدنيا وذي الويل والبلا — فقبحًا لها حالاً بها الحزن قد حلَّا
فما فرَّحت قلبًا ولا بردَّت لظى — ولا انعشت لبًّا ولا روَّضت عقلا
هيَ الحسرة الكبرى هيَ الحزن والاسى — هيَ الفتنة العظمى هيَ النقمةَ الجُلَّى
رمانا بها اهل التسلُّط عنوةً — شفاءَ نفوسٍ تبتغي الظلمَ لا العدلا
فاين المنادي بالعباد تنبهوا — فذي كبرياء السيد المدَّعي الاصلا

وقال في وداع نواب مصر عام ٨٢

ودَّعتهم وبنفسي من مآثرهمْ — آثار حمدٍ اقامتْ بعد ما رحلوا
اكارمٌ ان همُ عن ناظري انفصلوا — فذكرهم ابدًا بالفكر متَّصلُ
لهم منازل حبٍّ في القلوب فهمْ — بها مقيمونَ إن ساروا وإن نزلوا
فحبَّذا همُ من قومٍ اماثل في — امثالهم بالمعالي يُضرب المَثلُ

وحبَّذا القول ما قالوهُ عن رشَدٍ   وحبَّذا الفعل في الاصلاحِ ما فعلوا
ضنُّوا باوطانهم وهيَ التي بذلوا   في حبِّها النفس نعم الجود والبَخلُ

« وقال »

لعينيك ما اخفى المحبُّ وما ابدى   من الحبِّ ان الحبَّ صيَّرهُ عبدا
وما هو الاَّ ناظرٌ غير عامدٍ   وما الحبُّ الا نظرة تبعثُ الوجدا
فلا عرفتهُ مهجةٌ تنكر الاسى   ولا علمتهُ مقلةٌ تجهل السهدا
اطارحهُ الحبَّ المقيم باضلعي   فيجذبني هزلاً ويدفعني جدًّا
فدا حسنه من ليس يعشق حسنهُ   وان رمت ما لا استطيع لهُ وجدا
ولو قلت يفديه المحبُّون خفتُ ان   يصدَّ فلا يبقى لهُ مَنْ بهِ يفدى

« وقال »

لو رأى الاهيفُ سقمي لسعَى   ووفى بعد اجتنابٍ وجفَا
ساترًا عقرب صدغٍ لسعَا   قلب صبٍّ ان رآهُ وجفَا

دور

بأبي افديهِ بدرًا بسَما   وجههُ الزاهر بالاشراقِ راقْ
ومليحًا مذ رآني بسَما   عن لآلٍ حسنها العشَّاق شاقْ
ساءَ اهل الحسن قدرًا وسَما   وعلى حاليَ بالاشفاقِ فاقْ
اذ وفى بعد جفاءٍ ورعى   عهد صبٍّ دمعهُ قد وكفا
واذا سامر نجماً ورعى   لم يقلْ حسبيَ دمعي وكفى

دور

مذهبي في الحبِّ هجرٌ ووصالْ ولكلٍّ في هواهُ مذهبُ
اعشق المعجب ما صالَ وصالْ واذا مالَ فمالي مذهبُ
وهو في القلبِ على الحالين صالْ نار وجدٍ باصطباري تذهبُ
وبهِ روض غرامي امرعَا فائقًا وصف معانٍ وصفا
فهو روحي صدَّ عني ام رعَى وجفاني ام وفى لي وصفا

وقال بعنوان
« رثاء ورجاء »

« وهي قصيدةٌ طويلة نظمها بعد حوادث عام ٨٢ في وصف تلك الحوادث »
« ثمَّ رفعها الى دولتلو شريف باشا معرّضًا فيها بذكر بعض احوال خصوصية »
« وقد اثبتت في الجزء الخامس من تاريخ مصر للمصريين بعد حذف »
« ما لا يلائم منها مقام التاريخ »

عجْ بي على تلك الطلولِ ونادِ انَّى تحمّل اهلُ هذا النادي
هل صادهم شركُ الردَى فابادهم صرفٌ اناخ على ثمود وعادِ
ام غادروا الاوطارَ في اوطانهم مذ حاذروا غدرَ الزمانِ العادي
وسلِ الرسوم وان عفت عنهم وما فعلوا قُبيل رحيلهِم بفؤادي
خلَّفتهُ في حيِّهم ميتًا فهل احياهُ ام حيّاهُ اهلُ ودادي
ام حمّلوه رديف صبري والمنى وتجلُّدي وتعلُّلي ورقادي
ام غادروهُ رفيق وجدي والضنى وتلهُّفي وتذلُّلي وسهادي

يا وارد الاسكندرية طامعاً بمنافع الاصدارِ والايرادِ
أَقصورها خفيت عن الانظار ام آثار لقصر في القفار بواد
ام تدمرٌ قد دمِرت وعمورةٌ ما عمِرت ام دار ذي الاوتادِ
هذه عروسُ الشرق ماتتْ فاكتسى حزناً عليها الغربُ ثوبَ حداد
بالامسِ كانت والبياض دثارها واليوم صارت ارسماً بسوادِ
كانت ملاذ الخائفين فأَصبحت والخوف منها مبعد القصَّاد
كانت موارد للظماء وقد غدتْ ما ان بها من موردٍ للصَّادي
كانت مراتع نعمةٍ فغدت وما فيها سوى البأساء للمرتادِ
كانت وكان الدهر يُسعدُ اهلَها فاصابها بالاهلِ والاسعاد
كانت وكنَّا لا ينام حسودنا صارت وصرنا راحة الحسَّادِ
كانت وما تخشى بوادر ضدّها فغدت ترجّي رحمة الاضداد
قامت على اقوى العمادِ تزينُ ما تحت التي رُفعت بغير عمادِ
فأَبادها جهلٌ خفيٌّ ما بدا مثلٌ لهُ من حاضرٍ او باد
جهلُ الذي رام الاماني وهي َفي قممِ الجبالِ وكان دون الوادي
وعدا وما لقيَ الثعالبَ عمرهُ يبغي اقتحام عرائنِ الآسادِ
وسعَى الى الشورى ولكنْ خالهاَ لمَّا تهتَّك برقع استبداد
وعلى المساواة ابتنى هدم الهنا لمَّا تساوى حزبه بفسادِ
وقد ادَّعى في عسفهِ حريةً يامن رأَى حريَّة استعباد
والى الاخاء دعا فنالَ بفعلهِ من قومهِ ما لم ينلهُ العادي

شقيتْ بزلَّتهِ الجموع وطالما اشقتْ جموعًا زلَّةُ الافرادِ
وتلاهُ في سُبلِ الغواية معشرٌ زلُّوا وضلّوا حيث ضلّ الهادي
غرسوا الجناية في الجنونِ وماجنوا ممَّا جنوهُ غير شوكٍ قتادِ
وسعوا فسادًا في البلاد كأَنهم والحادثات أَتوا على ميعاد
خلعوا الشعارَ المستعارَ من الحيا فتقمَّصوا عارًا الى الآبادِ
وتخيَّلوا انَّ الطريقَ خلتْ لهم فسعوا فكان العدلُ بالمرصاد
فاتاهمُ رعد المدافعِ مبرقًا فنبوا عن الابراقِ والارعادِ
وسطوا على المستأمنين خيانةً لم تشفِ منهم غلَّة الاحقاد
ورموا بنارِهم الديارَ وبدَّدوا ما استجمعتْ من طارفٍ وتلادِ
نكرٌ عرفنا منهُ ان لبعضهم بزَّ اللصوص وبزَّة الاجناد
ونقيصةٌ يسعى بها ابناؤهم لمقابر الآباء والاجدادِ
اسفًا على تلكَ القصورِ فانها كانت مُنى الورَّادِ والروَّاد
اسفًا على مَنْ قادهُ استئمانهُ للفاتكين ولم يجدْ من فادِ
اسفًا على قومٍ اتاهم فجأَةً صوت المنادي بالبلاء ينادي
فتسارعوا اطلب النجاة من الرَّدى بنفوسهم والاهلِ والاولادِ
يا هولها من ساعةٍ مرَّت بما زهقت به الارواح في الاجساد
كم حاملٍ خرجت بها محمولة فوق الكواهل او على الاعوادِ
ومصونةٍ نفسا تقول لصحبها يا ليتني قد متُّ قبل ولادي
لطخت بآثار الولادِ وما درتْ جسدًا تضمَّخ قبلهُ بجسادِ

ومَبَأْبِىءِ يدميهِ لمس حريرهِ طفلٍ قريب العهد بالميلاد
ومعمّرٍ لم يبقَ في الدنيا لهُ غير السكينةِ من منىً ومرادِ
ومريض قومٍ غاب عنهُ طبيبهُ وجفاهُ أُنس الاهل والعوّاد
خرجوا وهمْ لا يهتدون سبيلَهم والنائباتُ روائحٌ وغوادِ
ودموعهم والنارُ في احشائهم حلّت محلّ مزادهم والزاد
فكانهم ابلٌ بدوٍّ نالها أَلمُ السُّغوب وحادعنها الحادي
تعلو وتهبط جانحاتٍ لا ترى من بلغةٍ في النجدِ ووهادِ
او انهم قصدوا الصبوحَ فجاءهم في غُبْأَةٍ منهم طريد طراد
شهدَ الوبالَ ولم يجدْ من منجدٍ فأغذّ في الاتهامِ والانجادِ
فتفرقوا والهول ملءُ قلوبهم يقتادهم زمرًا بغير قيادِ
او أَنهم اهل القبور تيقَّظوا سحرًا بنفخ الصورِ بعد رقاد
نُشروا عراةً واجفين فيومهم يوم المعادِ اتى بلا ميعادِ
والنار موقدةٌ سرَتْ من خلفهم فكأَنها حيّات بطنِ الوادي
والجند شرّدهم قتال عدوّهم فرقًا فلم يتجلّدوا لجلاد
ونضوا على اهل السبيلِ بواترًا في الحرب ما نضيت من الاغمادِ
قد حدّدت شفراتها لكنّها كانت على الاعداءِ غير حداد
ولربَّ عادٍ منهمُ في رعدةٍ ما ان تلمّ بصائد الرعّادِ
سكنتْ فرائصهُ على نهب الحمى من قبل تسكنُ رعدةُ الصيّاد
ومرأسٍ حثّ الجواد وخلفهُ ممّا حباهُ النهبُ حمل جوادِ

عدمَ الرباط فشدَّه بنجادهِ　　　واتى معسكرهُ بغير نجادِ
فهم اللصوصُ وان هم قد اوهموا　　　أن ليس ما ارتكبوهُ غير جهاد
وبلادهم قد نالها من عارِهم　　　ما لم يحقْ في عهدنا ببلادِ
عيبتْ فلولا السابقونَ ومجدهم　　　وبقاءُ مَنْ ولدوا مِنَ الامجاد
ومؤيدٌ ملكٌ اميرٌ عادلٌ　　　أربَى بمفردهِ على الاعدادِ
وعصابةٌ كانت قلائد فضلهِم　　　أبهى من الاطواقِ في الاجياد
لم نلقَ في مصرٍ ومصرُ عزيزةٌ　　　من قائلٍ هذه البلاد بلادي
امّا وقد وليَ الشريفُ امورَها　　　فلها بحول الله خير معادِ
مولىً لهُ في النفع رغبة طامعٍ　　　وعن المضرّة عفّة الزهّاد
وهوِ الذي يخبا ليوم كريهةٍ　　　وسداد ثغرٍ من طريق سدادِ
واذا بدا في ليل خطبٍ رأيهُ　　　أزرى بنورِ الكوكبِ الوقّاد
يا حائز المجدِ الرفيع وجامع الـفضل الصديع وواحدَ الآحادِ
يا جامع النعم العظام ودافع الـنقم الجسامِ ومؤيلَ القصّادِ
حاشاكَ أنْ تبقى على اغلوطةٍ　　　يسعى اليك بزورها حسّادي
فلأنتَ من دون البرية موئلي　　　ولأنتَ من دونِ الانامِ عتادي
ما خلت انّك قاطعي بسعايةٍ　　　للكاذبينَ ضعيفةِ الاسنادِ
حتّى رايتك معرضاً متغاضياً　　　عني وانت ذخيرتي وعمادي
أقدحت للساعين فيّ زنادهم　　　فاستأسدوا ورجوا خبوّ زنادي
فاذا رأوني في جنابك أصلدوا　　　وامنت فيهِ خجلة الاصلادِ

يَّضت بالنعماء ايَّامي وما حالتْ فاصبغ عرفها بسوادِ
وبلوتني فرأَيتَ منّي صادقًا ما شاب ورد صلاحهِ بفساد
وحميتني والنائبات ملمَّةٌ ونصرتَ ضعفي والزمانُ معادِ
وظهرتُ فيكَ بكلّ مدح صادقٍ صرْفٍ وما جمري كمين رمادِ
لا تقبل الحسنات سحتًا همَّتي وسوايَ ياكلهنّ اكل جراد
وقد اعتذرت وما وراء تنصّلي في القلبِ غير امانةٍ ووِدادِ
فاذا اصفوتَ فذاكَ غاية مقصدي واذا رضيتَ فذاكَ كلّ مرادي
يا صبح كلّ مؤملٍ يانجح كلّ (م) توسلٍ يا مورد الامداد
لولاك ما احييتُ ليلي ضاربًا في الشعرِ بالاسبابِ والاوتادِ
وصفًا لما يجري الدموع اقلَّهُ ويقلُّ فيهِ تفتت الاكباد
فلقد هجرتُ الشعرَ لمَّا ان رمَى ضعف السليقة سوقهُ بكسادِ
واستامهُ مَنْ ليس يفرقُ بين ما يفنى ومـا يبقى على الانشاد
لكن رأَيتُكَ يا نصيري جامعًا نقد البصيرِ ودقَّة النقادِ
فنظمتهُ نظمَ الفرائدِ مثلما نُظمتْ اليكَ قلائد الاوفاد
ورأَيتُ حسّادي عليك قدافترُوا في جانبي ما لم يكنْ من عادي
زعموا بانَّ سريرتي قد كدِّرت فلمَنْ يصافي بالجميل تصادي
فبعثتُ صافي الشعر يثبتُ صفوَها ولو استطعتُ جعلتُ فيهِ فؤادي

﴿ وقال رحمه الله ﴾

« في تهنئة صاحب الدولة شريف باشا بالنشان العثماني المرصع من الرتبة الاولى »
« وقد ورد اليه من جانب نعم الحضرة السلطانية فقال في فصل راسل به »
« جريدة المحروسة من القاهرة »

ان هذا الوسام الكريم عظيم الشان كبير المقدار مخصوص بالملوك والامراء ومن كان عليّ الهمة صادق الخدمة

تتوق اليهِ صدورُ صدورِ البريّة   من عجمها والعرب
وما نالهُ غير كلّ عظيمٍ   وكل همامٍ لهُ منتخب
ولا غروَ ان زان صدرَ الشريفِ   ولو لم ينلهُ لكان العجب
فمجلى المعالي ومولى الكما   لِ أولى الانامِ بأُولى الرتب

﴿ وقال في تاريخ المرحوم اسعد كرم وقد توفي ببعلبك ﴾

صبراً بني كرمٍ لِما حكم القضا   لا تهلكوا فيهِ اسىً وتجلّدوا
وذروا القبور على تواريخٍ لها   فضريحُ اسعدَ في القلوب مشيَّدُ
(١٨٨٢)

وعد الحبيب حبيبكم بزيارةٍ   وبمعهد السعداء كان الموعدُ
فمضى اليهِ وليس بدعاً ارّخوا   ان لاح في ارضِ السعادةِ اسعده

﴿ وقال تاريخاً آخر لهُ ﴾

يا قبر اسعد راقٍ من بني كرمٍ   ما انت روضٌ ولا افقٌ لمن نظرا
فكيف اخفاهُ فيك الدهر عن مقلٍ   رأتهُ يطلع فيك الزّهر والزُّهرا

وكيفَ وارَى بك العليا مؤرخةً بل كيف اودع فيكَ الغصنَ والقمرا

(١٨٨٢)

وقال في قصيدة يمدح فيها حضرة الاديب جورج افندي مرزا
وكان وقتئذٍ في دمشق

كريمٌ متى امدحهُ اسبقْ بفكرتي على جريها الاقلام مع انملي العشر
تهيّأُ لي في مدحهِ قبل نظمهِ معاني حكينَ العقد في عُنقِ البكرِ
ويرغب عنها في المعالي لعلمهِ بأن العلى للمرءِ مجلبة الفخرِ
لهُ بين قومي شهرةٌ عنبريَّةٌ يفوحُ لهُ ما بينها طيّب النشرِ

الى ان قال

وكرَّت سنونٌ قائلات لشخصهِ بقيتَ ابا الافضال حتى انقضا الدهرِ

وقال وفيه نوع الاكتفا والتورية

وبي رشأٌ عاتبتهُ وهوَ معرضٌ وقلتُ لهُ قد ذبتُ مذ بتَّ معرضا
الا زُرْ مشوقاً قد اضرَّ بهِ الظما لريقكَ وانعم بعد سخطِكَ بالرِضا (ب)

وقال ايضاً في مثل ذلك

ذكرت الصبا حتّى اذا هبَّت الصبا ووافوا صباحاً زال همِّيَ بالصبا (ح)
فقالوا أتصبو للصبا بعد ان بدت وجوهٌ صباحٌ قلتُ مالي وللصبا (ح)

ومن قوله ايضاً في هذا المعنى

يقولون لي ما شبهُ رقّة طبعهِ ... واطف ثناياهُ فقلتُ لهم صبا (ح)
وقالوا اباحَ الرشفَ من راح ثغرهِ ... لصادي هواهُ ام أبى قلتُ قد أبى (ح)

واهدى الى صديقهِ سليم افندي الشلفون رسمهُ وكتب فوقهُ هذين البيتين ارتجالاً

يا مَن اذا غاب عنّي ... اقولُ للروحِ روحي
اهديكَ رسمي كأنّي ... الحقتُ جسمي بروحي

وقال وقد انشدها بحضرة جمعية زهرة الآداب عقيب خطاب تلاه فيها

العلمُ عادَ لقطرِنا رغم العدى ... يا علم سُدْ قد عاد عودكَ أحمدا
ها قد زهت هذي الرياض وأزهرت ... اغصانها وبدت بتيجان الندى
فالعلم شخّص علمهُ وفنونهُ ... والنقل قد تبع السبيل الى الهدى
ووفى الزمان لاهلهِ بعد الجفا ... فابيت الاّ ان يعزّ ويُحمدا
ما السّعد الاّ بالعلوم فان بدتْ ... كان الزمان لطالبيها اسعدا
عَجباً لِمن يرضى مقالَ مفنّدٍ ... ويسرّ مبتهجاً باقوالِ العدى
يا معشر الاعراب بل يا مجمع الـ ... آداب هـا علم العلوم لكم بدا
نادت بكم آثاركم هيّا اقتفوا ... والعلم قام بكم نذيراً مُرشدا
وابيضّ وجهُ زمانكم من بعد ما ... قد كانَ في حينِ التظلّم أسودا

ها زهرةُ الشرفْ التي ما شانها شين ونالتْ بالمعالمِ سوددا
جدّوا بحفظِ نظامِها كيما ترى انوارها وجمالها لِمن اهتدى
فبجيدِها انتظمتْ حلى افكاركم وبدتْ بنحرِ العصرِ عقداً نضِدا
فلكم مع الشكر الثناء مكرّرًا ما صاح طيرٌ بالرياض مغرِّدا

« وقال »

خلّياني ومهجتي وهواها يا خليليّ فالغرامُ دعاها
ودعاها فقد قضت من صدودٍ انما قبل تركها ودّعاها
قد سبتها عيون هيفاء قدٍ تمّ الله نصرها ووقاها
دون ذنبٍ اذا رأتْ عاشقيها أقرنت قوس فتكها حاجباها
كلّ شيءٍ من الوصالِ حرامٌ عندها والدلال أشهى مناها
وانكساري اذا شكوتُ اليها جرّدت سيف نصرها مقلتاها
يا عيون العيونِ اهلا وعيني في هوى العين للعيون فداها
فاتكاتٌ فواترٌ فاتناتٌ قد حمتها ممّن يروم حماها
قتلتنا العيونُ شفعاً ووترًا رحمةَ اللهِ وازري قتلاها
داميات بكفها مسحتها لخضابُ البنان بعض دماها
قاتلاتٌ كواسرٌ ناعساتٌ أحرمتْ عين كلّ صبٍّ كراها
غادراتٌ فواتنٌ ظالماتٌ عزّ بالحبِّ عدلها ووفاها
انّ قلبي للقتل غادٍ وساعٍ برضاهُ ان كانَ فيهِ رضاها
يا رعى الله يوم انسٍ تقضى في رياضٍ بزهرها تتباهى

حيث مجلى السرور زاهٍ وباهٍ   يتجلى بزهرها ورباها
وغصونٌ تحكي القدود طوالٌ   يذهل الفكرَ والنُهَى مرآها
ان هذي هي الحياة ولكن   مدح ذاك اللبيبِ عقد رجاها
ربُّ فكرٍ وفكرةٍ وصفاتٍ   لاح في الكون نورها وسناها
عن ابيهِ الذكاء والرُّشد يروى   وامورٌ تشينه قد أباها
يا خليلي اليكَ غادة فكرٍ   جللتها ستائرٌ من حياها
ان هذي هديَّة الفكر وافت   وعلى قَدْرِ مغرمٍ اهداها

« وقال »

ايا لائماً قلباً تقطَّع حسرةً   بحقّك دعه فالملام يروّعهُ
فوالله قلبي ليس يعلم ما الهوى   ولكن قضاء اللهِ لا شيء يدفعهُ
ومُذْ راح منصبًّا على الحزم والتقى   وراح صحيح الحال لا شيء يوجعهُ
عيوني بمغناطيسها جذبت لهُ   سيوفاً من الاجفان فهي تقطّعهُ

« وقال »

قسماً بخمرة ثغرهِ ورضابهِ   لا ارتضي الاَّ بما يرضى بهِ
قسماً بفيهِ لا اذوق مدامةً   تشفي عليل الشَّوق من أوصابهِ
الاَّ اذا كان الحبيبُ يديرُها   وانا مطيعٌ كلَّما اوصى بهِ

« وقال »

وقد كتب بها الى صديقهِ مصباح افندي رمضان

طغتنا القدود وهيَ رماحُ   وغزتنا العيون يا مصباحُ

فافتنا في نواظرٍ قاتلاتٍ هل عليهنّ بالجراح جناحُ

وقال في مثل ذلك

أَفتِنا هل يحلُّ للغيد شرعًا قتل صبٍّ من ذنبهِ قد تبرَّا
بعيونٍ تميت عمدًا وزورًا تدَّعي حال صحوها صاح سكرا

« وقال »

اصلُ الغرام لواحظٌ وجفونُ وبليّتي يا لائمين عيونُ
انّي لاصبرُ في الغرام على الاسى حتّى تسيلَ من العيونِ عيونُ
وبأَعيني أُخفي الغرام وسرّهُ فتذيعه وكذا العيونُ عيونُ

« وقال »

إِي والذي ولأَكِ قلب متيّمٍ لا يرتضي الأّك من كلِّ البشرْ
فلأَكتم السرَّ المصون بمهجتي حتى اموتَ فينطوي ذاك الخبرْ

« وقال »

من للوداد فانهُ يتظلَّمُ هل في البريَّة عادلٌ لا يظلمُ
من لم يكن يرعى الوداد وعهدهُ فوجودهُ كلزومِ ما لا يلزمُ
الدّهر افصح عن غوامض سرّهِ فغدوتُ اعلم منهُ ما لا اعلمُ
ابدى القياس فجاءَنا بنتيجةٍ كبرى بها كنهُ الحقائق يرسمُ
كم من جهولٍ في البريَّة قد غدا مستسمنًا بالعينِ وهوَ مورَّمُ
ان اظهرت ايدي الخطوب عيوبهُ يومًا فيخفي ما يلوح الدرهمُ

لله من دهرٍ نقيمُ بظلّهِ ... خرس الفصيحُ بهِ وقال الابكمُ
وسطا اللئيمُ على الكريم بهِ وقد ... عزّ الجبان به وذلّ الضيغمُ
سيّان قربٌ وابتعادٌ عنده ... والمستغيب اخو كذابٍ ألأمُ
ولقد خبرتُ بني زماني طالباً ... مَنْ يرتجى فاخترتُ زيداً منهمُ
الصادق الاقوال غير مخادعٍ ... والكامل الافعال والمتكرّمُ
حسد النسيم طباعهُ فاذا سرى ... خجلاً بازهارِ الربى يتلثمُ
ان جادَ تهمي السحبُ من راحاتهِ ... او قالَ فالافعالُ عنهُ تترجمُ
رضع الوداد وشبّ وهو رضيعهُ ... ولذاكَ عن ضرعِ الوفا لا يفطمُ
فهوَ الذي يُعزى لانجب والدٍ ... نسباً الى القوم الذين همُ همُ
فسماتُهم تغني محاول وصفهم ... وصفاتُهم تُلي عليهِ فينظمُ
لي منهمُ بدرٌ اذا يمّمتهُ ... تلقى السنا والفضل حيثُ تيمّمُ
لي بالثناء عليهِ نطقٌ شائقٌ ... وبكلِّ جارحةٍ لمدحتهِ فمُ
يا مَنْ لهُ عمّا يشين تاخرٌ ... ولهُ الى حيث العلاء تقدّمُ
قلّ الوفيّ فلا تثقْ بمداهنٍ ... يخفي الشرور وباللِّقا يتبسّمُ
تلقاهُ ان يلقاكَ ليّن جانبٍ ... هيناً رقيق القلب وهوَ الارقمُ
ومخادعٍ يبدي الوداد لبغيةٍ ... ويكلِّم الاحشاءَ حين يكلِّمُ
ولقد غدا طاهي الفساد وانّهُ ... من طبخهِ لا شكّ يوماً يطعمُ
ولقد توهّم انّهُ نقض الولا ... جهلاً ولكن ساءَ ما يتوهّمُ
بيني وبينك يا صديق مودةٌ ... عظمى عراها لا تفكّ وتُفصمُ

إنّي أعيذك من سماعِ كلامهِ أوِ الاقتناعِ بما يقولُ ويتهمُ
لبَّيك انّي خير وافٍ صادقٍ يرعى الوداد ولو لحاهُ اللُّوَّمُ
لبَّيك ثانيةً ولستُ مشاركاً بك ثالثاً اولا فانّي مجرمُ
واليك بكرًا نقدها حسن الرضا تثني عليكَ بما يقال وتعلمُ
اني لاختمُ عن سواك قريحتي وعلى ودادِكَ في فؤادي اختمُ

وقال وقد كتب بها الى مَن هجره لوشاية بعضهم

هوَ العذر لكنْ حيثُ ليس قبائحُ عن الودِّ يبدو والكريم مسامحُ
سعى بيننا الواشي وافسدَ وافترى ليهدمَ ركن الحقِّ والحقُّ واضحُ
أما والذي يجزي الظلوم بظلمهِ ويخزيهِ ما الظلّامُ يا قوم ناجحُ
وما ناقلٌ كذباً وواشٍ على رضىً سوى ظالمٍ تبدو لديهِ المطامحُ
فيا مَنْ بهِ قد صغتُ قبلاً مدائحاً لكَ الله لم تعكس عليكَ المدائحُ
أُحاشيك من تصديق قولِ الوشاة ان دعتهم الى بثِّ الفسادِ مصالحُ
فايُّ سبيلٍ للهجاء ارومهُ ومدحيَ غادٍ فيك دوماً ورائحُ
وكيف اُجازي الفضلَ بالغدرِ والهجا واني طولَ الدهرِ مثنٍ ومادحُ
تعاقبني بالهجرِ من دونَ زلّةٍ تحققها والودُّ عندكَ راجحُ
هجرتُ بك الخلّان علماً بانّني لفضلكَ دون الناسِ مبدٍ وشارحُ
ولكنّما الدهرُ الخؤونُ محاربي وقد عادَ عني وهو بالحربِ راجحُ
فعدتُ وغدرُ الدهرِ اثخنَ مهجتي جراحاً بسيف المكرِ والصبر جامحُ

وانت بحالي دون غيرك عالمٌ ... فانَّ ثباتي في ودادك لائحُ
وتعلم انّي في ودادي َ مخلصٌ ... صدوقٌ وانّي دون غيريَ ناصحُ
فواتح ودّي لستَ تنكرها وقد ... تدلُّ على حسن الختام الفواتحُ
وان كلاماً للوشاة حسبتهُ ... مليحاً سيبدو فاسداً وهو مالحُ
ترى أأعادي من ظللت بظلّهِ ... وما انا عن هذه الاماكن نازحُ
وكيف بدالي منك تصديق ماافترى ... عليَّ بهِ الواشي فهل انتَ مازحُ
فديتك ما اقوالهُ غير فريةٍ ... فهل قال حين الكذب هذي نصائحُ
وهل تهجرنّي بعد طول مودةٍ ... فماالكذب مصداقٌ ولاالافك ناجحُ
وما ليَ ذنبٌ والذي ابدع الورى ... لاطلب عنهُ الصفحَ فيما اطارحُ
وَهَبني اخا ذنبٍ فأَنتَ لمن أتى ... يكفّرِ بالاعذار عنهُ مسامحُ

وقال وقد كتب بها الى من اغتابهُ ووشى بهِ
الى بعض الاصحاب ثم عتبه لهجرهِ

ارعى الذمام مع العهود فتفسخُ ... واخطُّ آياتِ الوداد فتنسخُ
واعفُّ عن فضلٍ فتخبث عن دها ... واذلُّ عن شأنٍ يجلُّ فتشمخُ
يا قاتل الله الزمان فانَّهُ ... شرسٌ جموحٌ لا يلين ويرضخُ
ذُلَّ الكريمُ بهِ وساد لئيمهُ ... اهلَ المكارم وهو نحيٌ ينفخُ
قدْكَ اجتراءً يازمان على الأُلى ... لهُمُ بعين العدل شأنٌ ابذخُ
لا اختشيكَ وان تكن ذا صولةٍ ... فتصبّري ابداً ازاءك يرسخُ

ولربَّ مرقالٍ علوت سنامها | سيَّان باعٌ عندها والفرسخُ
ما ان يثبِّط خفها فاذا جرت | وخدًا تُهزُّ الراسيات وتشدخُ
ما زلت اهمزها وقد طال السرى | نحو العلى والارض قفرٌ سربخُ
حتَّى شكت طول المسير واوشكتْ | ممَّا المَّ بها تصيحُ وتصرخُ
ولقد عرفتُ من الحوادث كنهها | وانا لاكناف البلاد ادوّخُ
يا من يلوم ولا سواهُ مذنبٌ | عجبًا لجاني السيّآت يوبّخُ
أحسبتَ اني مثل فعلكَ فاعلٌ | بيني وبينك بالمبادئ برزخُ
ولقد فصمت عرى الوداد جهالةً | وغدوت من بعد الجهالة تُزلخُ
لمّا رويت الافك كنت كناسخٍ | يبدو لهُ وجهُ الصواب فيمسخُ
اربت عليك من الغرور وقاحةٌ | فغدوت عن جهل تتيهُ وتجفخُ
وزعمت انَّك نائلٌ ما لم ينلْ | مقدارهُ الندب الرفيعُ الابذخُ
قذكَ ادعآءٌ يا لئيمُ فانت في | عهدي تبيض بهِ ولست تفرّخُ
ومن العجائِب سالبٌ من منطقي | درًّا ويزعم انَّ درّيَ أوسخُ
ان صحَّ زعمك وهو باسمك شائعٌ | فبعيبهِ وشنارهِ تتلطَّخُ
قتل الذكا يا قوم وانثال الهدى | والرشد يذبحهُ الفساد ويسلخُ
هبُّوا الى زجر القلاص وغادروا | دار الدها واذا بعدتم فارسخوا
فلقد أرتني الحادثات صروفها | وقرأت نصًّا فوقها لا ينسخُ
لا يحصد الانسان الاَّ زرعهُ | والمرءُ حتمًا آكلٌ ما يطبخُ
نفسي تحدّثني باني ناصحٌ | لكن أراني في رمادٍ انفخُ

وقد وجدت هذه الابيات منها بخطهِ و بعضها بخطٍ آخر
« فاثبتناها دون القطع بنسبتها اليه رحمه الله »

بشّر بخيلَ القوم بالصفوِ قدْ اهدت لهُ ايَّامهُ ما قصدْ
وقُلْ لسؤّال البلاد اتَّقوا وليرضَ كلٌّ منكمُ ما وجدْ
فالعيش أمسى موجباً للردى والكلُّ في معنى المعاش اقتصدْ
وضاقتْ الارض بسكَّانها واصبحت مغلولةً كلّ يدْ
حتّى اقتضى التوفير ما بيننا قتلَ الكلاب اليوم من غير حدْ
وها همُ يسعون في قتلها لم يرعَ فيها والدٌ أَو ولدْ
والجوع اضحى قائلاً ارّخوا بالقسم قد ماتت كلاب البلدْ

***

عجبوا لمقتلة الكلاب ولا أرى عجباً لمن لم يدرِ معنى بخسهِ
فاجبتهم لا تعجبوا ممَّا جرى فلكلّ شيءٍ آفةٌ من جنسهِ

***

قالوا لقد قتل الكلا ــ بُ وذاك امرٌ غير سارْ
فاجبتهم خلّوا الكلا ــ مَ فليس في الدنيا قرارْ
والكلُّ فانٍ هالكٌ لكن يعجّل بالخيارْ

***

قالوا لقد قتلوا الكلا ــ بَ ولا ملامَ ولا عتابْ
فاجبتهم لا خيرَ في هذا ولا داعي ارتيابْ

مــا ثمَّ امرٌ غير ان عدَتِ الكلابُ على الكلابْ

***

فضائحُ تمّت لخزي الفلَكْ فهوّ ن وشدِّ دْ فما الامر لَكْ
اظنُّ الزمان رأى في الكلابِ معاني الوفا بعدمن قد هلَكْ
اجارهمُ من بني دهرهِ بكلابٍ تعدّى وذئبٍ فتَكْ
نقول لمقتلِ يوم الكلابِ عفا اللهُ عمّن عفا اذ ملَكْ
وقُلْ للذي رام تأريخهُ بنارك ماتتْ كلابُ السكَكْ

وقال عن لسان بعض الاصدقاء في زفاف الخواجا خليل والخواجا عبد الله ابوشقره

رياضُ انسٍ فُتِّحتْ ازهارُها وشدتْ على اغصانها اطيارُها
حيّا الربيع بنَوره ارجاءها فتوقّدت من نورهِ انوارُها
وغدا يطارحها الهوى متستّرًا فبدت بالسنة الهوا اسرارُها
ام جنّة ولدانها قد غافلتْ رضوانها غلساً وجدّ فرارُها
فسعت الينا حورها في اثرهمْ اذ عزّ من بعد البعاد قرارُها
وبه ضياء وجودها في دارنا ليلاً كما كانت تضيء ديارُها
أم نحنُ في افقٍ وهذي انجمٌ قد ضلّ في جنح الدجى غرّارُها
هنئتمُ فلقد اصبت حقيقةً هذي السماء وانتمُ اقمارُها
دُمْ يا خليل مهنئاً بعفيفةٍ مَنْ للربيع بما يضمُّ إزارُها

واهنأ بايميلي اعبد الله ما وافاك من سُحب الدعا مدرارها

« وقال »

فدتكَ نفسي تثبّتْ في مقاطعتي ان التثبُّت منجاةٌ من الخطلِ
ولا تدعني وليل الريب اسهرهُ مقلَّب القلب بين اليأس والاملِ
وكُنْ كما شئْت في الحالين ممتدحاً فالشمس رأد الضحى كالشمس في الحملِ

وقال لواقعة حال

دردحةٌ شوهاء لا تسمع في بغائِها عذلاً ولا ملاما
هذا وفي الدار فتىً ذو نعمةٍ فكيف لو كانتْ من الأيامى

وقال في معاهدةٍ عقدت على

« منع بيع الرقيق »

ابرموا العهد ايمّا ابرامِ وجلوهُ موثّق الاحكامِ
نقشوهُ باحرفٍ لامعاتٍ في سطورٍ تحكي عقودَ نظامِ
وتلوا منهُ للبشارة حكماً : لا يباع الانام كالانعامِ
انَّما الناس في الوجود سواءٌ من بني يافث وسامٍ وحامِ
كلّهم من ابٍ وحيدٍ دعوهُ باسم أدما او آدمٍ او أدامِ
وحدّوهُ كما رأيت بياناً للمساواة بين كلّ الانامِ

اوهمُ في اعتقادمن سوف يجزو — ن بنار الجحيم ذات الضرامِ
حيوانٌ قد ركَّبتهُ الهيولى كُتَلاً من مفاصلٍ وعظامِ
وتداعى الى التوالد يبغي لذَّةً او شفاً من الآلامِ
فتأدَّى الى التكاثر ممّا قذفتهُ مجامع الارحامِ
وهو قولٌ ادنى الى الفهم لكنْ عين هذا الدنوِّ أوضح ذامِ
ودليلي قول الكلاميِّ انَّ الـــدين ما كان فائق الافهامِ
حكمةٌ فاقت العقول سموًّا فدعوها لاهل علم الكلامِ
وَلنعُدْ للرقيق في السوق فالنخّـــاس بين الاحجام والاقدامِ
حظروا متجر الرقيق عليهِ وهو حظرٌ يعاد في كلّ عامِ
امروهُ ان لا يبيع جهاراً ودعوهُ بهمسهم للسوامِ
ومن الذنب افرغوا العذر درعاً ليردّوا بها سهام الملامِ
حيثُ قالوا ان لم يكن مَنْ يطيع الـ امرَ طوع النعال للاقدامِ
فانبئونا من للحجابِ وللبـــابِ ونقل الصحاف وقت الطعامِ
ولبسط الفراش والكبس والجـــت وما بعدهُ وحسو المدامِ
كلُّ هذا من قبلنا حرص الغر — س عليه في سالف الايامِ
فهووا منهُ للحضيض فكانت غاية الرغد اوَّل الاعدامِ
عادةٌ بئسَ ما جنتهُ علينا من هبوطٍ بعد ارتفاع المقامِ
رسخت في القلوب منّا وسالتْ في مجاري الدماء قبل الفطامِ
فاذا ما سمعتنا نذكرُ الرغبـــةَ عنها فالفعل غير الكلامِ

ذا يقيني ابديته لك عفوًا   فاتى ساذجاً كهذا النظامِ
لم ازينهُ بالجناس ولكن   زانه الصدق وهو جلّ مرامي
فاعتقدْ ما اقوله عن يقينٍ   انّما القول ما تقول حذامِ

وكتب الى المغفور له محمد سلطان باشا يهنئه بعيد الاضحى بعد انقضاء الفتنة العرابية عام ١٢٩٩ وقد جاء في مطلع رسالة يأتي اثباتها في كتاب رسائله

ما العيدُ الاّ ان تكونَ سعيدا   فيعيد مجدك كلّ يومٍ عيدا
لبيت للنفس الكريمة داعياً   لا الوعد رام ولا استهال وعيدا
فجعلت بُعد منى السعادة دانياً   وجعلت قرب اذى الفساد بعيدا
حتى اذا صنت المقام من الاذى   ووقفت فيهِ الطائفين شهودا
اضحى على عرفات عزمك كلّ من   ضحّى لفضلك مبدياً ومعيدا

وقال وارسلها الى سليم افندي شحاده

سدل الظبي حين لحتَ لثامهْ   فبدا البدر ظلّلته الغمامهْ
وتثنّى كالغصن فوق كثيبٍ   تفتدي ميل قدّهِ كلّ قامهْ
لست اشكو صدوده او جفاه   يا عذولاً يقول عني سلامهْ
بأبي افتديهِ ظبياً غريرًا   منهُ ارضى كلامهُ او سلامهْ

متُّ وجداً في حبهِ ما احتيالي ما لاهل الغرام منهُ سلامهْ
مرَّ حلواً لا شيء املح منهُ رافعاً من جمالهِ اعلامهْ
وراٰني اسوم نحت القوافي فلحاني فقلت خلِّ الملامهْ
انَّ ودَّ السليم عهدٌ فما لي لا افيهِ حقوقهُ والتزامهْ
ظنَّ قومٌ ان القريض دهانٌ عند من سامهُ لِمَا منهُ رامهْ
كذبتهم ظنونهم فهوَ عندي آية الصدق في كتاب الشهامهْ
وأبى اللهُ ان اداهن فيهِ لستُ ممن يبيح كلاًّ كلامهْ
قلت انَّ السليم سالم خلقٍ وسم الفضل ذاتهُ بعلامهْ
شبَّ في الحلم وهوَ في العلم شيخٌ نال من رتبة الكمال وسامهْ
ايها اليلمعُ النجيب ويا مَنْ ردَّ في ودِّهِ الوفاء الندامهْ
انَّ آثارك التي قد رأينا ما رأتها عيونُ اهل الامامهْ
لو تبدَّت لابن الاثير لنادى كم تركنا لمن غدونا امامهْ
او رآها الورديُّ وهو امامٌ قال ذا العيسويّ ابدى كرامهْ
اقبل العام بالسرور فلا زلـــتَ بخير مستقبلاً انعامهْ
وحباك الالهُ عمراً مديداً شهرهُ بالهناء تقضي وعامهْ
ما تثنى غصنٌ وازهر روضٌ نقَّط المزن وردهُ وبشامهْ
واديبٌ اسير ودِّك نادى كلّ عامٍ وانتمُ في سلامهْ

« وقال »

اضوى الغرام فؤاداً غاب عاذرهُ واتلف الشوق جسماً عزَّ ناصرهُ

الحبُّ مصداق قول العارفين بهِ　　السقمُ اوّله والموت آخرهُ

« وقال »

أَصبرٌ وما للصبر عندي وسائلُ　　وكتمٌ ودمع العين هامٍ وسائلُ
امال الهوى عنّي الحبيب فملَّني　　وقلبي لحفظ الودّ راجٍ وسائلُ
أُسائلُ عنهُ كلّما لاح بارقٌ　　فمَن لي بان القاهُ عني يسائلُ

« وقال »

تداهمني الاهوالُ من كلّ جانبٍ　　فمَن منقذي من داهماتِ النوائبِ
الى كمْ الاقي نكبةً بعد نكبةٍ　　وحتّى متى يا دهر انتَ محاربي

« وقال »

اذا رمتُ وِردًا عن ظمى ينضب النهرُ
وان رمت نورًا في الدُجى يكسف البدرُ
وان راق لي في الصيف حرُّ هجيرهِ
ارى السحبَ تتلوهُ فينهمر القطرُ
سعيت وان السعيَ فرضٌ على الفتى
وليس عليهِ ان يساعده الدهرُ

« وقال مضمنًا »

أَيا اهل ودّي قد نكثتمْ عهودنا　　فكيف جرى هذا وانتمُ انتمُ
احاول سلوانَ الغرام وحبُّكم　　تولّى فؤادي وهوَ فيهِ محكَّمُ
وان كان خصمي في المحبّة حاكمي　　لمن اشتكيهِ او لمن اتظلمُ

وقال من مقالةٍ وطنية بعد نثر ٍينتهي : « يا لثارات الاوطان »
وهما من احسن ما نظم في معناهما

هوَ الثارُ حتّى يحجب الشمسَ عثيرٌ تساوى به العين الصحيحة والرمدا
فلا وقفتْ اقدامنا عن طلابهِ اذا لم تقمْ اشلاؤ كم دونها سدّا

« وقال »

نصحتُك لا ترحمْ مِنَ الناس ظالماً فمَنْ يرحم الظلاَّم لا شكّ يظلمُ
وما العدل الاَّ في ثوابٍ لمحسنٍ يرى وعقابٍ للذي راح يجرمُ
وقد كان حكم اللهِ للمرءِ انهُ يرى سعيهُ واللّهُ أعلى وأعلمُ

« وقال »

هجم الضياء على الظلام بعسكرٍ من فجرهِ فغدا يجدُّ رحيلا
واشابهُ خوفاً لذاك نجومهُ هجرتهُ طالبةً سواهُ خليلا

« وقال »

يا نعمةً ما حييتُ اذكرها ومنةً للزمان أشكرُها
جاءَ فلم يبقِ للفؤاد سوى بقيةً للوفاء اذخرُها
ومذوفي استحكمتْ على نسقٍ دوائرِ الأُنسِ وهوَ محورُها

« وقال »

يقول حرُّ الكلام منتحلٌ وقد رآهُ عليه ممتنعا
ومثل ذا قالهُ ثعالةُ في العنقودِ لمّا الفاهُ مرتفعا

فليهذُ ما شآء في جهالتهِ　　للحرِ اذنٌ لا تسمع القذعا
وليبقَ كالداء في المريضِ الى　　أَنْ يُذهِبَ اللهُ عنهما الوجعا

« وقال »

راَني اصوغ الكلامَ عقودًا　　فقال سرقتَ وما كان صادقْ
فقلت خمولك صانك فاهنأْ　　فليس يظنُّ بانّك سارقْ

« وقال »

طلبت هذا الذي القيتُ من ادَبٍ　　بلا دليلٍ على جسرٍ من التعبِ
فان اصبتُ فما لي من يقاسمني　　صفوي ولاً كدري ان كنت لم أُصبِ

﴿ وله رحمهُ الله من المواليات قولهُ ﴾

في طرفهِ يا لقومي تكمن اَلاجالْ　　وان دنا او تثنّى او رنا او جالْ
حلّت باهل الهوى من فتكهِ اوجالْ　　ياظبي واصلْ فقد اضنى الهوى جسدي
وارحم واعجلْ نخير البرِّ في الإِعجالْ

« وقال »

ما نلتُ في حبّهِ من وصلهِ اوطارْ　　ولست اعدل عنهُ ان عدا او طارْ
لاقيتُ من جفنهِ لمَّا رنا اخطارْ　　فجالَ من طرفهِ بالابيض الماضي
وصالَ من قدّه بالاسمر الخطَّارْ

« وقال »

ظبيٌ من الترك جافاني بلا تركٍ ذو ناظرٍ ناظرَ الصمصام بالفتكِ
وقامةٍ جرحت قلبي بلا شكٍ ووجنةٍ وردها قد عمَّ فيهـا الخالْ
بدت فدان لها في الحبِّ اهلُ الخالْ واشغلت بالهوى مفتونهُ والخالْ
فكيفَ استرُ فيها بالجوى هتكي

« وقال »

حلو اللمى مرَّبي مستملح الاعطافْ فقلتُ لمَّا انثنى يا مفرد الالطافْ
زمزمْ لحول مقامِ الراحِ قلبي طافْ فصدَّ واستلَّ لي من لحظهِ خنجرْ
والشيء بالشيء في امثالنا يذكرْ فقلت يا قدَّهُ الطعَّان يا اسمرْ
أَعد ضعيف الجوى من طرفهِ السيَّافْ

﴿ وقال لواقعة حال ﴾

قلتُ اسقني قالَ هاكَ الماء في العينِ فقلتُ واصلْ فقال العين بالعينِ
فقلت والحبُّ عندي راجح العينِ مالي وروحي ايا روحي فدا عينكْ
خذ ما تروم فنادى هاتِ من عينكْ فقلتُ يحميكَ ربي قال من عينكْ
فقلت خذْ واعطِ وصلاً قال من عيني

﴿ وقال من بحر السلسلة ﴾

في خدِّكِ خالٌ يسبي المتيَّم والخالْ والخصر يسيلُ بين تيهك والخالْ
يا عاذل ذُرْ عنكَ الملامة والخالْ عوِّذه وقل أَللهُ اكبر من خالْ
كم حبَّة قلب مغرمٍ قد سرقا

قد متُّ ظماً وما لثغرك وِردُ　　بل متُّ جوىً وما لحسنك ندُّ
من طرفك نرجسٌ وخدّك وَردُ　　ولذاك يفوح ان بدوت الندُّ
فانطق ليقال بدر تمٍّ نطقا

﴾ وقال مداعباً احد الاصدقاء وقد التحى وفيهِ تضمين المثل السائر ﴿

جرى الماءُ ماءُ الحسن في روض وجههِ　　ليسقي نضيرَ الوردِ في صفحة الخدِّ
فنال معَ الورد العذارُ نصيبهُ　　كذلك يسقى الشوك في حجّة الوردِ

« وقال »

قلت للماء وهوَ في ثغر حبِّي　　منك ارجو باللهِ يا ماءُ وِردي
قال ان كنت ذا ضنىً هاك خدّي　　يا معنًّى فماؤه ماءُ وردِ

﴾ ومثله ﴿

قلت للثغرِ قد ظمئتُ اشتياقاً　　فاشفِ قلبي فمنك يا ماءُ وردي
قال ذي خمرةٌ فان رمت وردا　　هاك خدي فماؤه ماءُ وردِ

﴾ وقال في سفر مليحةٍ لقبوها بام العيون ﴿

فطمتِ عيوننا من غير صبر　　فسالَ الدمع منها كالعيونِ
بكتْ كالطفل سارتْ عنهُ امٌّ　　فما اقساكِ يا امّ العيونِ

﴾ موشح ﴿

غرّد البلبل في روض الحما　　فوق بانٍ تحت جنح الغلس

عندمـا اقبلَ معسول اللِما يتثنّى في رياضِ السندسِ

دور

بأبي ظبياً علينا شفقا معرباً عن مبسمٍ كالشفقِ
وأتى نحوي فلماً رمقا لم يدعْ للصبِّ غير الرمقِ
ذا جبينٍ كهلالٍ اشرقا فهدى بالنورِ اهل المشرقِ
ولحاظٍ كنبالٍ حيثما رشقتْ كانت نذير التعسِ
وخدودٍ بعد سقياها الدما غرستْ بالورد ابهى مغرسِ

دور

قُمْ بنا يا صاحبي نحو الغديرْ نغنم اللذَّة من قلب القدحْ
لذّةً تهزم اشجان الضميرْ فاطّرح مَنْ لام فيهـا وقدحْ
ولنا ساقٍ اذا قامَ يديرْ كأسهُ ابدتْ لنا قوس قزحْ
اغيدٌ لاح كبدرٍ بسما ضاءَ فانشقّ فؤاد الحندسِ
قلتُ لمّا عن لآلٍ بسما هوذا الثغر الشهيّ اللعسِ

دور

وعلى طرف البها لمّا استوى رَمَتِ الأسياف ابطال المقلْ
يا خليلي كلّ مَنْ لامَ غوى في هوى الأهيف مَنْ افنى الحيلْ
لا تسلْ عن شرح حالي في الهوى في الهوى عن شرح حالي لا تسلْ
نصب الحسن لديهِ علَما حولهُ العشّاق مثل الحرسِ
فارتدـى بالعجب لمّا علما انّهُ سلطان تلكَ الانفسِ

وله قطعة من موشحةٍ مفقودة

رسول وجدي وانتَ قصدي
ان رحتَ تشدو في الحيِّ ليلا
بلّغ سلاماً لِمَنْ سلا مَنْ
روى الهوى عَنْ مجنونِ ليلى

وله قطعة من قصيدة

نزع المشوق لمربع الفيحاء وصبا لروضة حسنه الغنّاء
وتمثّل الريم النفور مغازلاً بالأنس فيهِ غزالة الاحياء
هيفاء قد عذر العذول محبها لمَّا بدتْ كالبدر في الظلماء
جليتْ لنا بدقائقِ الاعطاف تحـــت رقائقِ الاوصاف تحت قباء
كالورد بين شقائقِ النعمان تحـ ـت سرادقِ النعمان تحت لواء
بيضاء امَّا خدُّهـا فمضرَّجٌ بلحاظِ اهل العشقِ والرقباء
رقَّت لنا فتأثرَّت في خدّها وعلته منهم حمرة استحياء
وبخدّها في الحالتينِ نضارةٌ تحكي شعاع الشمس فوق الماء

وقال وقد اقترحت بعضهنَّ عليهِ ان يصفها وصديقةً لها مرتجلاً

واذا القريض اردتُ وصفكما بهِ لم يدرِ ايّكما بحسنٍ تفضلُ
ما فيكما عيبٌ يشينُ وانَّما كلٌّ باعينِ عاشقيهِ اجملُ

وقال واصفاً امواج البحر من ابيات كثيرة

تدحرجتِ الامواج تترى كأنَّها   جيوش تُسعت للفتك والقائد الريحُ
تصادمُ ابطال الصخور وتنثني   وقد نابها منها عناءٌ وتبريحُ
تلوح اذا هاج الرغاء دروعها   لها زَرَدٌ بيضٌ تحاذرها الروحُ

وقال مخمساً

هوَ الغرامُ وفيهِ الصبر قد فرضاَ   فكن لهُ غرضاً ان رمتهُ غرضاَ
وقلْ لِمَنْ سامني فيما مضى وقضَى   للعاشقين باحكامِ الغرامِ رضاَ
فلا تكن يا فتى بالعذلِ معترضاَ

ان مسّني كل يومٍ في الهوى مضضُ   ونالني حرقٌ من دونهُ الرمضُ
أقلْ وليس لقلبي منهمُ عوضُ   روحي الفداء لاحبابي وان نقضوا
عهد المحبِّ الذي للعهد ما نقضاَ

يا مَنْ يلومُ بهم قد قلّت الحيلُ   الغصن مثلهمُ من شأنهُ الميَلُ
فان تكنْ جاهلاً للحبِّ يا رجلُ   قفْ واستمع سيرة الصبِّ الذي قتلوا
فراح في حبهم لم يبلغِ الغرضاَ

روى له الناسُ عنهم بعض ما سمعوا   فراح يسأل لقياهم فما منعوا
حتى اذا زاد في افكارهِ الطمعُ   رأى فخبَّ فرامَ الوصلَ فامتنعوا
فسام صبرا فاعيا نيلهُ فقضى

﴿ وقال مشطرًا ﴾

قومٌ حفظتُ لهم عهدي فما حفظوا ... ودّي ودينار حبي عنهمُ صرفوا
أنجزت وعدي لهم لكنّهم نكثوا ... عهدي وما أنصفوني مثلما انتصفوا
آنستُهم نفروا اوفيتهم عذروا ... سالمتهم اسروا ادنيتهم صرفوا
امنتهم حذِروا اوردتهم صدروا ... قلتُ اعطفوا هجروا ارمتُ اللقا انصرفوا

﴿ وقال من قصيدة ﴾

صادت فؤادي بلحظٍ نالهُ الكللُ ... غزالةٌ في سواها يحرم الغزلُ
رنت غزالاً وماست بانةً وبدتْ ... شمساً بنور سناها تُبهرَ المقلُ
يا قاطع البيد يطويها على عجلٍ ... الى حماهـا لقصدٍ دونهُ الاجلُ
حاذرْ ففي الحيِّ من آرامهِ نفرٌ ... تحوي المنيَّة منهم اعينٌ نجُلُ
وثمَّ ابطال حسنٍ من قبيلتهم ... تخشى الاسودُ فتاهم قبل ينفصلُ
كالبدرِ ان سفروا والغصن ان خطروا ... والظبي ان نفروا والليث ان حملوا
حموا حماهم فلو ارسلتُ من شغفي ... معَ النسيم كتاب الشوق لا يصلُ
وبي من الوجد داءٌ لا دواءَ لهُ ... فليس ينفعني كتبٌ ولا رُسُلُ

« وقال »

هوَ العلمُ حتّى يدرك المرءُ غامضا ... ولا يختشي فيما يقول معارضا
وما الشعر الّا شاغلٌ عن منالهِ ... فهذا قريضٌ بات للعلم قارضا
نسوِّد قرطاساً بوصف وصيفةٍ ... ونعلقُ ذا حسنٍ ونعشق عارضا

وقد صرفتْ افكارنا نحو صرفنا ... وفي النحوِ بات الوقت والذهن غائِصا
فذا ناصبٌ منّا يخالف رافعاً ... وذا جازمٌ منّا يغاير خافضا
سفاسف اقوالٍ تقادم عهدها ... ولم تبدِ مستورًا ولم تجلُ غامضا
ملأْنا بها الاوراق وهيَ فوارغٌ ... من النفع الاَّ بارقٌ مرَّ وامضا
كما قبض الدينار في النوم حالمٌ ... واصبحَ لم يلقَ الذي كان قابضا

وقال ناظماً هذه الاغلوطة السفسطائية

تركّبُ الجسم سطوحٌ وهي من ... تألّف الخطوط من غير شططْ
والخطُّ منها ركّبتهُ نقطٌ ... فالسطح اخطاطٌ وهذه من نقطْ
وعندنا النقطةُ لا شكل لها ... وهميَّة لا تدخل التعيين قطْ
كذلك الوهميُّ يبدي مثلهُ ... فالخطُّ والسطح على هذا النمطْ
وهكذا جسومنا إضافةً ... موجودةٌ في عالم الوهم فقطْ

وقال طيب الله ثراه

لزمتِ الصدودَ فاين الوعودُ ... واين عهود الليالي الأُوَلْ
وعقدُ اليمينِ لعقدِ اليمينِ ... بحفظ الوداد ورفض البدلْ
حنثتِ واخلفتِ هذا وذاك ... ـ وملت وطبع الغصون الميَلْ
وخلّفتِ قلبي اسيفاً عسيفاً ... قويّ العناء ضعيف الاملْ
فان متُّ فيكِ فلست اقول ... ـ خذوا قودي من اسير الكللْ

فحسب القتيل من العاشقين ـ بسهم الغرام رضا مَنْ قتلْ

« وقال »

يخاطبنا الزمانُ بلا لسانٍ ... ولا كذبٌ لديهِ ولا مراءُ
يقول اذا الَمَّ بكم بلائي ... فلا يبقى الودادُ ولا الاخاءُ
وما الدنيا سوى اضغاث حلمٍ ... فانْ جادتْ وانْ بخلتْ سواءُ
دفعتُ عناءها باليأس حتَّى ... تساوى البؤسُ عندي والهناءُ

« وقال »

اتنكر حبّي والمدامع تبديهِ ... وينشرهُ سقمي وصبريَ يطويهِ
اتيتكَ والآمالُ ملءُ خواطري ... وقلبيَ صافٍ والزمان مصافيهِ
ووافى بانواع الوفاء الهوى وما ... فهمتُ بَواديهِ فهمتُ بواديهِ
فبات الجوى نحو الجوانح جانحاً ... فحلَّ بنادي القلب وهوَ يناديهِ
وما زال قلبي وافياً في شقائهِ ... متى انت تشفيهِ وحتّىمَ تشقيهِ

« وقال »

مذ تردّى الافق ثوباً ... من رقيق الغيم لاذْ
وكسا الروض قباءً ... لؤلؤيًّا من رَذاذْ
قلتُ للحبِّ وقلبي ... من اذى الحبِّ جذاذْ
خافكَ البدرُ لهذا ... بذيولِ السحب لاذْ

وقال طيب الله ثراه

« ومعنى البيتين الاولين مستمدٌّ من كلام فيكتور هيكو »

قتل امرئٍ في غابةٍ جريمةٌ لا تغتفَرْ
وقتل شعبٍ آمنٍ مسألةٌ فيها نظرْ
والحقُّ للقوَّة لا يعطاهُ الاَّ مَنْ ظفرْ
ذي حالة الدنيا فكنْ من شرِّها على حذرْ

وقال معارضاً بيتي ابي تمام المشهورين وهما قوله

اعوام وصلٍ كان ينسي طولها ذكر النوى فكأنها ايّامُ
ثمَّ انبرتْ ايَّام هجرٍ اردفتْ قلبي أسىً فكأنها اعوامُ

فقال

لا عامنا في وصلكم يومٌ ولا ايَّامنا في هجركم اعوامُ
فالعمر في الحالين برقٌ وامضٌ اعوامهُ في طولها ايّامُ

وقال وهي ابيات ذكرت في قصة البار يسية الحسناء

« التي عرَّبها عن الافرنسية »

حسب المرأة قومٌ آفةً مَنْ يدانيها من الناس هلَكْ
ورآها غيرهم امنيَّةً ملكَ النعمة فيها مَنْ ملكْ

فتمنَّى معشرٌ لو نُبذت وظلام الليل مشتدُّ الحلَكْ
وتمنَّى غيرهم لو جُعلت في جبين الليث او قلب الفلكْ
وصواب القول لا يجهله حاكمٌ في مسلك الحقِّ سلكْ
انَّما المرأة مرآةٌ بها كلَّ ما تنظره منك ولكْ
فهيَ شيطانٌ اذا افسدتَها واذا اصلحتها فهيَ ملكْ

« وقال »

عجبًا لهُ والجمرُ في احشائهِ منّي يحاولُ بالخديعةِ سترهُ
يغتابني فاصونهُ ويريدُ بي شرًّا فادفع بالصنيعة شرَّهُ
ويحارُ في امري فينفد صبرهُ ويعينني صبري فاكشف امرهُ
ويرومُ ضرّي غير منتفعٍ بهِ واردّ عنّي بالمنافع ضرَّهُ
فيسوءُهُ ما سرّني من امرنا ابدًا وليس يسوءُني ما سرَّهُ

﴿ وقال تاريخًا لمولودٍ دعي باسم توفيق واسم أبيه شاكر ﴾

لك الهناء بمولودٍ اتاك وذا من جود ربّك فضلٌ انت شاكرُهُ
الأُنس كلّلهُ والسعد ظلّلهُ والله ارّخت بالتوفيق غامرُهُ

﴿ وقال في ذيل كتابٍ ارسلهُ لاحد السادة الفضلاء ﴾

يا ايّها السيّد الاجلُّ ومَنْ اذا ما حبا يجلُّ
سقنا اليك الثناء درًّا كلُّ كثيرٍ بهِ يقلُّ
وما يضيع الثناء فيمن بفضلهِ لا يقاس فضلُ

فجُدْ بغيث السؤال عنّا فعامُنا يا غمامُ محلُ
وعجّل البرّ ذاك خيرٌ ان لم يكنْ وابلٌ فطلُّ

﴿ ترجمة مرثية كمال باشا ﴾

ولما ظهر الخفي وانهتك المستور في مقتل ساكن الجنة المغفور له السلطان عبد العزيز وقبض على المتهمين بقتلهِ ظهرت موشحة لكمال باشا ناظر امور السلطان رحمهُ الله يرثي بها فقيد آل عثمان فنشرتها الجرائد التركية فعرّب منها اديبنا الادوار الآتية متبعاً في التعريب وزنها الاصلي محفوظة الالفاظ والقوافي « ما امكن الحفظ في المنظوم من الكلام » وكان قبل ذلك قد اورد تلك الموشحة اصلاً وتعريباً فامّا الاصل التركي فهو

دين ودولت خائني برقاج ملاعين يزيد
ايلمشلر حضرت عبد العزيز خان شهيد

واما التعريب فهو

خانةٌ للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد

ثم اتبع هذا المذهب في عدد آخر من « التقدم » بالخمسة الاول من ادوار الموشحة معربة كما ترى

جدّدت فينا بنارٍ من اوارٍ كربلا . وبدا للناس امرٌ مبهمٌ حيّرنا
لاقَ فيهِ انْ عيني تسكب الدمع دما لعنة اللهِ على مَنْ ذلك الجرم جنى

المذهب

خانةٌ للدين والدولة من قوم يزيد قتلوا عبدالعزيز المرتضى فهو شهيدْ

دور

قدمضت خمسٌ عليه حججٌ دون بيانْ   واهتدى تحقيقهُ من بعد خاقان الزمانْ
ذخرنا عبد الحميد العادل العالي المكانْ   فانتفى الريب وصار الامر في حكم العيانْ
خانة للدين والدولة الخ

دور

بعض اهل الغرض الفاسد سرًّا مكروا   جعلوا السلطان بين الشهدا واستتروا
واذاعوا بعد هذا انهُ منتحرُ   لم يخافوا اللهَ في بهتانهم لم يحذروا

دور

كم منادٍ من جرا ماقدجرى وآسفاه   بعض اهل الظلم ممَّن لم يفوزوا بانتباه
قتلوا السلطان من غير جناحٍ آه آه   ويلهم قدجاءهم من ملك العدل بلاه
خانةٌ للدين والدولة الخ

دور

اسف الدنيا على المظلوم سلطان الاوانْ
الامير العدل ذي القرنين في هذا الزمانْ
اسفًا لم ينجُ ممَّن كان بالايمان مانْ
فغدا عنهُ شهيدًا انَّ مثواهُ الجنانْ

مذهب

خانةٌ للدين والدنيا من قوم يزيد   قتلوا عبد العزيز المرتضى فهو شهيد

منتخبات رسايله

﴿ وكتب الى صديقه عبد الله افندي لحيل في ذيل قصيدة ارسلها
« اليه عام ٧٦ » ﴾

سيدي

وردت اليّ رسالتكم وهي بهنانة فتّانة فوقعت عندي وقع القطر في البلد المحل وفعلت بلبّي فعل العجوز لمّا ادّعت وهيَ تمرح بلفاق[1] صباها القشيب وجعل فكري متهيئًا لقصد الجواب فبسمتُ وحمدتُ ثمّ عاقني عنهُ شغلٌ شاغل الى اليوم فكتبت اليكم بما اكاد احسبهُ شعرًا على فرض ارتضاء الشعراء بهِ ولم اقصد بهِ المباراة وهيَ فوق ما استطيع وانما اثرت تأثركم وان لم يكن ثمة تكافوء استنادًا الى عفوكم انهُ كان كبيرًا

انّ حديث غرامكم هاج من ناري ما كان خامدًا على اني لا اخاف عودًا الى محبسٍ تملّصت منهُ ولا اخشى منازلة العيون فقد لذتُ بحصن السلوان المنيع ولا تحسبني مع ذلك راهبًا او ناسكًا فاني اصبو الى معنى الحسن البديع وارتاح الى العشق العذري غيراني لاقيتُ منهُ ما لا يحملهُ بشر فيحتمل وبلغ مني غدر الغانيات فاخترت الإعراض عنهنّ وتمّ لي الانفلات وكنت في الحبّ اسيرًا

المناوأة مستمرّة بين الروس والانكليز وقيل ان لطائفةٍ من هؤلاء

---

(١) اللفاق ثوبان يلفق احدهما بالآخر

ضلعاً مع اولئك وانهم توعدوا حكومتهم ان ابتْ الاَّ مناصبتهم الشرّ وان طائفةٍ من الفرنساو بين حذوا حذوهم والحرب في ما يقال سجال الاَّ ان اخبار الاستانة تنبيء بانتصار الجنود المظفرة ولا مندوحة عن الاعتماد عليها ومن الاخبار ما يخالف ذلك على خطٍ مستقيم ولا ينبغي ان نركن اليه وخلاصة ما يستطاع تحريره اني مرسل اليك جريدةً تحفل بهذه الاخبار (اوروبية) ولا انقاعس عن ذلك كي لا يقال ما كذّب ان كذب اماً حالنا فنعم الحال والراحة مستتبة ببلدنا وقد بات شوقنا اليكم لا يطاق فان تأتوا يكن العيش عندنا رقيق الحواشي نضيراً

لا اعلم شيئاً عن جمعيتكم بدمشق الاَّ ما افادني صديقي اسكندر افندي نحاس من انهُ حضر في مدرستكم جمعيّة يحسبها فرعاً من جمعيّة شمس البرّ الدينية ولعلَّها تُعزى الى هذه الجمعيّة ولا تصرف اهتمامهـا الى ابحاث الدين حيث كانت خلافيّة بيدَ انَّ لها مئين من الطلبة والعملة فاختصاصنا ايّاها بالاجتهاد مع تهافتهم عليها لا يجدي الناس نفعاً الا وانها تهضم العمر وتمنع من اصابة الفائدة ولا اقول ذلك ايقاعاً بالدين وترغيباً عنهُ معاذ الله فانّه لديَّ جليلٌ رفيع ولكنني ارى ان لكلٍ في دنياه شأناً وا حسبني مصيباً ان قلت ان شأن من كان مثلكم صقيل الفكر صرف العناية الى استطلاع حقائق الطبيعة وتدبّرها فانها الجمال والكمال تبرز للناس اسرارها فتفيد من كان بصيراً

نص كتاب بعث بهِ على لسان جمعية مصر الفتاة الى الامير «عبد القادر الجزائري عام ١٨٧٩»

كتابنا ايّدالله الامير الاعز ونحن عصبةٌ تذكر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر

رأَينا ما المَّ بهذه الاقطار من الاضرار ناشئةً عن تخالف القلوب وتنافر الافكار حتى صار الودّ مداجاةً والحب عدواناً فقلنا يا قوم لا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً ورأينا بوادر البلاء وطلائع الشقاء نخفنا المصاب الاعظم ينقلب بهِ الخير الى الضير والمغنم الى المغرم ويزول بهاء الامة ثمَّ تُغصب الارض التي سقاها السلف الكرام بالدم فنهضنا نرومُ حفظ الباقيات الصالحات بوسائل السلم والسلم اسلم. وذكرنا خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم

ورأَينا فقيرنا يعثر باذيال فاقتهِ وعظيمنا لا يأمن على راحتهِ او على ما في راحتهِ ومثل ذلك سائر اخوان الوطن الذي ولدنا فيه او نزلنا بساحتهِ فنزعت انفسنا الى اعانتهم ومَنْ كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته

ورأينا انوار فضل الامير على طور تجلّي الحكمة توقظ الراقد وتنبّه الغافل من هاتهِ الامَّة فتكشف عنها كل ملمّة فعلمنا ان لا بدّ من التماس مساعدته في هذه المهمّة فرفعنا اليهِ الصحيفة التي هي لسان حالنا لتنوب لديهِ عن لسان مقالنا املَ الحصول على القبول شأن الامير في معاملة مَنْ

امّه ورجاه ورود الجواب بما يراهَ في امر هذه الخدمه · وله ُفي تشريفنا بذلك رأيهُ العالي مسدّداً وامره ُ الكريم موءيداً ان شاء الله

﴿ ولما الغيت جريدة مصر والتجارة عام ١٨٧٩ وعد بنيل الرخصة ﴾
« في انشاء جريدتين غيرها باسم العصر الجديد والمحروسة ثمّ »
« طال المطال في ذلك فكتب الى سعادة علي باشا مبارك »
« ناظر الاشغال يومئذٍ يتقاضاهُ وعد الحكومة »

« وهذا نص الكتاب : »

اتجرأ على فضل الوزير غير جاهلٍ ان وقتهُ اثمن من ان يضاع في مثل موضوعي الحقير ولكن جرت عادة امثالي بقصد اولي الفضل وما أُولو الفضلِ في الدنيا بكثير فعساهُ ان يكون لضعفي نصيرًا فاقول نعمَ المولى ونعمَ النصير

ولقد صار العصر الجديد قديماً بمـا مرَّ عليهِ من موءثرات الانتظار واصبحت المحروسة على قدم اليأس تستجير بالاولياء والانصار وتتلو وهي في عالم القوّة بين المخاوف والاخطار اذا ما الفكر حاروإذا ما الزمان جار أتنسى مصر مزيّة البرّ بالجار ام لا يُسمع بين برايـاهـا صدى نداء المستجير

بل اعيذ مصران تخني بها الايام على البررة الصادقين وان لا يلبّي موعودها تاليًا آ تنا بما تعدنا انك من الصادقين اقول هذا وما كنت معرّضاً بسوءٍ وما كنتُ من المعترضين ولكنني اسألُ النجدة احسانًا ولا سبيل

﴿ نص كتابٍ بعث بهِ على لسان جمعية مصر الفتاة الى الامير ﴾
« عبد القادر الجزائري عام ١٨٧٩ »

كتابنا ايّد الله الامير الاعز ونحن عصبةٌ تذكر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويأمر بالمعروف وينهَ عن المنكر

رأَينا ما المّ بهذه الاقطار من الاضرار ناشئةً عن تخالف القلوب وتنافر الافكار حتى صار الودّ مداجاةً والحب عدواناً فقلنا يا قوم لا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً ورأينا بوادر البلاء وطلائع الشقاء نخفنا المصاب الاعظم ينقلب بهِ الخير الى الضير والمغنم الى المغرم ويزول بهاء الامة ثمّ تُغصب الارض التي سقاها السلف الكرام بالدم فنهضنا نروم حفظ الباقيات الصالحات بوسائل السلم والسلم اسلم. وذكرنا خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم

ورأَينا فقيرنا يعثر باذيال فاقتهِ وعظيمنا لا يأمن على راحتهِ او على ما في راحتهِ ومثل ذلك سائر اخوان الوطن الذي ولدنا فيه او نزلنا بساحتهِ فنزعت انفسنا الى اعانتهم ومَنْ كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته

ورأينا انوار فضل الامير على طور تجلّي الحكمة توقظ الراقد وتنبّه الغافل من هاتهِ الامّة فتكشف عنها كل ملمّة فعلمنا ان لا بدّ من التماس مساعدته في هذه المهمّة فرفعنا اليهِ الصحيفة التي هي لسان حالنا لتنوب لديهِ عن لسان مقالنا املَ الحصول على القبول شأن الامير في معاملة مَنْ

امّه ورجاه ورود الجواب بما يراهَ في امر هذه الخدمه · وله في تشريفنا بذلك رأيهُ العالي مسدَّداً وامرهُ الكريم مؤيداً ان شاء الله

﴿ ولما الغيت جريدة مصر والتجارة عام ١٨٧٩ وعد بنيل الرخصة « في انشاء جريدتين غيرهما باسم العصر الجديد والمحروسة ثمّ » « طال المطال في ذلك فكتب الى سعادة علي باشا مبارك » « ناظر الاشغال يومئذٍ يتقاضاهُ وعد الحكومة » ﴾

« وهذا نص الكتاب : »

اتجرأ على فضل الوزير غير جاهلٍ ان وقتهُ اثمن من ان يضاع في مثل موضوعي الحقير ولكن جرت عادة امثالي بقصد اولي الفضل وما أُولو الفضلِ في الدنيا بكثير فعساهُ ان يكون لضعفي نصيرًا فاقول نعمَ المولى ونعمَ النصير

ولقد صار العصر الجديد قديماً بما مرَّ عليهِ من مؤثرات الانتظار واصبحت المحروسة على قدم اليأس تستجير بالاولياء والانصار وتتلو وهي في عالم القوّة بين المخاوف والاخطار اذا ما الفكر حار واذا ما الزمان جار أتنسى مصر مزيّة البرّ بالجار ام لا يُسمع بين براياها صدى نداء المستجير

بل اعيذ مصر ان تخني بها الايام على البررة الصادقين وان لا يلبّي موعودها تالياً آتنا بما تعدنا انك من الصادقين اقول هذا وما كنت معرّضاً بسوءٍ وما كنتُ من المعترضين ولكنني اسألُ النجدة احساناً ولا سبيل

على المحسنين والله لهُ ملك السموات والارض وهو على كل شيء قدير

فلا ينسَ مولاي امر الجريدة موعودا فقد اجتاز الخادم في هذه العطلة عقبةً كؤودا وعالج الصبر جهده ثمَّ عاد عنهُ مجهودا افيلوذ باليأس وقد امَّ قوماً جؤودا ام ترد اليه اشارة الفوز ورودًا عتيدًا فتسرّ وليًا حفيًّا وتسوء عدوًّا عنيدا · اجلْ ترد فيشكر الخادم صدورًا كما شكر ورودًا ثم يحمد الله الى المولى الوزير

﴿ وكتب الى جمعية الخواتين البيروتيات المسماة بزهرة الاحسان ﴾

« جوابًا على كتاب ذكر وشكر وتهنئة ورد منهنَّ اليهِ »

سيداتي · حمل النسيم اليَّ تهنئة زهرتكنَّ الزهرآء فكانت هي عين الهنآء فمن لي بنفحةٍ من طيبها انشرها اليكنَّ شكرًا ومن لي ببلةٍ من حسنها اجلوها لديكنَّ حمدًا ولكن وسع النفس دون الامنيّة ومقدرة البيان اقلّ ممّا في النيّة وسيداتي موضع العفو وسيداتي زهرة الاحسان فليتقبّلنَ مشكوراتٍ غير مأمورات تحية خادمٍ لا يمنعهُ البعد من اداء الفرض والخدمة وما كانت خدمتهُ الا الدعاء وما كان فرضهُ الاَّ الثناء

﴿ وكتب توطئة رسالة في مدح احد الصادقين من عمال الدولة ﴾

اذ انا لم امدح على الخير اهلَهُ ولم اذمم الوغد اللئيم المذمَّما
ففيمَ عرفتُ الخير والشرّ باسمهِ وشقَّ لي الله المسامعَ والفما

اجلْ فما تحرّك بنان ولا جرى قلمٌ ولا نطق لسان باحسن من الثناء الحقّ على نصراء الحقّ فهو سبيل الوفاء ومنهج الاقتداء تجزى به الانفس الطاهرة بما كسبت من الخير فيحسن اجتهادها ويدوم في الفضل ارتيادها ثمّ تكون قدوةً في الحسنات يسلك الناس مما تنهج صراطاً مستقيما فيحصل النفع كاملاً عميما

وقد تأثرت المحسنين كشفاً واستعلاما وما آليت المجتهدين عنايةً بشأنهم واهتماما فلم ارَ فيمن رأَيت احق بالشكر واولى بالثناء واخلق بالحمد واجدر بالاطراء من مُصلح في زمان فساد ومسدِّدٍ في مقام اختلال ومقوِّمٍ في حالة اعوجاج وممّن تدوم عفتهُ اليوسفية بين اسباب المفاسد وتثبت نزاهة نفسهِ الابيّة بين انواع المكائد تراودهُ الدنيا عن نفسهِ فيدرأُ شيطانها ويقطع بسيف العفاف اشطانها وممّن تعرض لهُ الدنيا فيعرض عن بهارجها ويتنكّب عن مناهجها فانه لافضل في العفة لمن يعفُّ اضطرارا وانما الفاضل مَن استطاع الرغيبة ثمّ عافها اختيارا

فكيفَ لا ينطقُ اللسان وكيفَ لا ينطلقُ البنان بمدح من استكمل تلك الصفات واستجمع هاتيك الحسنات فاستحوذ على البابنا حباً وامتلكنا قالباً وقلبا الا وهوَ الخبير بشؤون السياسة البصير بامور الرئاسة النبيه الذي عرف صاحب الامر قدرهُ فاعزّهُ واعلاه وتبيّن فضله فقرّبهُ وادناه فلان ايّدهُ الله فقد ولي هذا الامر فاصلح وقام بالحكم فعدل وسار في مسلك الحكمة فهدى حتى صار البلد بهِ كمدينة الحكماء متألف السكان على العلم

والعدل والاخاء ثم صان فيهِ النعمة ودرأ عنهُ النقمة واجتلب اليهِ النافعات واجتنب فيهِ الشبهات وكان حكماً عدلاً لا يلين حتى يطمع المسيء ولا يخشن حتى يجزع البريء فتألفت القلوب على ولائهِ واجتمعت الالسنة على ثنائهِ والسنة الخلق اقلام الحق . اه

﴿ وكتب مقدمة لرسالة انشأها في رحلته الى اوروبا عام ١٨٧٩ ﴾
« وكان في العزم طبعها بعد ذلك »

جرت عادة المؤلفين في كل عصرٍ ومصرٍ انهم اذا فرغوا من تأليف الكتاب وتحريرهِ جعلوا في صدرهِ مطلباً موءخَّر الوضع يسمونهُ بالمقدمة وهذه مقدمتي لهذا الكتاب الاَّ انهـا منسوجة على غير ذلك المنوال فقد انشأتها قبل تسويد شيءٍ منه ونزهتها عن كلفة السجع وبرأتها من اعذارٍ قد تكون اقبح من الذنوب

فامَّا تقديمي لانشائها خلافاً لما جرت به عادة المصنّفين فلأَني علمت من النفس انّها لا تكون بعد الفراغ اعلم منها من قبل ولأني اكرهُ دخول البيوت من غير ابوابها وامَّا صيانتها عن السجع فالباعث عليه قمهُ الخاطر وغثاء النفس من هذه الفقر التي مضغها الاقدمون وتلمَّظ بها المولّدون ولا تزال تكررها الاقلام إلى هذه الايام ثمَّ العلم بعجزي عن الجيّد الجديد واما تبرئتها من الاعذار فلأنها لا تغني عن المؤلف شيئاً فقد علمت من نفسي

اني ما قرأتُ اعتذار مصنّفٍ بما شاء مما عساهُ ان يكون في سفرهِ من الخطاء الّا قلت امّا ان يكون هذا الرجل معتقداً بنفسهِ الاجادة ويقول ذلك تمدّحاً فهو متكبرٌ مغرور واماً ان يكون مصدقاً ما يقوى في جانب ضعفه ثمّ الّف واستهدف فهو احمق مختلّ الشعور

فهذا الكتاب قد الّفتهُ في اعوام واصلحتهُ في اعصار وضمنتهُ كل ما علمت في بابهِ وهو خلاصة اخبار وزبدة خواطر وحكاية احوال مما رأيت وسمعت في بلادِ الافرنج ففيه كلامٌ في المدن وما هوَ في الجغرافية وعن الامم وما هوَ في التاريخ وعن الدول وما هوَ في السياسة وعن الجماعات وما هوَ في الاقتصاد بل هوَ في كل ذلك وليس في شيءٍ من ذلك فان احسنتُ فيه فالى الاحسانِ قصدت وان اسأت فذلك غير ما اردت والسلام

* * *

﴿ قال في كتابٍ ارسلهُ من بيروت الى حضرة الصديق يوسف افندي جباره بالاسكندرية ﴾

جاءني كتابك مذكّراً منبّهاً لحفظ ودّك فما اذكر ناسياً ولا نبّهَ غافلاً ولا زادني شوقاً لامتناع المزيد ولكنه اتاني من انفاسك بما نفّس الكُربة ومن آثارك ما تمثّلت بهِ العين فللّه انت من صديقٍ في القرب والبعد والصفو والكدر والسراء والضراء

وبعدُ فاني مرسلٌ اليك رسمي تذكرة وداد وتقدمة فؤاد يتمنّى لو

كان حقيقةً في ذلك الرسم على انه لديك من قبلهِ ومن بعدهِ

ثم اسألك يا خليل الوفاء ووفيّ الاخلاء تقديم شواعر سلامي وواجبات اكرامي لآلك جميعاً صفوة الكرام وان تتقبَّل مني مثل ذلك جعلني الله فداك ولا زلت خادمك واخاك

وكتب من بيروت الى حضرة صديقنا اديب افندي نظمي بدمشق

« بعد عودتهِ من تلك المدينة »

اشكو اليكَ سعة فضلِكَ عن ان يحيط به بياني وعظم منتكَ عن ان يلمَّ بشكرِها قلمي او لساني فاجعل رقتكَ شفيعي لديك وعفوكَ وكيلي في الثناء عليك

وبعدُ فقد وصلنا بيروت لاهجينَ بذكر محامدك هازجينَ بحديثِ محاسنك فلم تنلنا مشقة ولم نشعر بطول الشقّة ثمّ لقينا الاهل والاخوان فكانت حفلتنا مجلس انس نديرفيهِ من احاديث فضلك مُداما ونتخذ من معالي كمالِكَ ندامى ثمّ لا نلهو بسكرها عن شكرها ولا نذهل بعدِّها عن حمدِها

فاجعل ايَّدك الله ضعف الشكر في جنب قوّة العذر وتفضّل بعرض هاتهِ السطور في مجلس سادتي فلان وفلان وفلان تحسب صادرةً اليهم بما نقصد بهِ جنابكَ الكريم من الشكرِ والثناء فقد اتّحدتم حبًّا وتألفتم قالباً وقلباً حتى

امتنع الاختصاص فيما به تُخاطَبون لا زلتم عصابة فضلٍ تُعقد على مدحكم الخناصر وتُختم على حبكم السرائر

وارسل اليه جواباً على كتاب فقال

يا سيدي بل يا اخي فالاخاء واجبٌ عرفناه والسيادة حكمٌ ما اعترفناه والادب رحمٌ تقطعها الكلفة والكلفة لبسةٌ تمنعها الالفة والالفة بيننا معقودةٌ اسبابها بالصفاء عالقةٌ اهدابها بالوفاء

فيا الف اخي خطاباً لا املّ لفظَه · ولا اهمل حفظَه · لقد سمتني بكتابك ما لا اطيق · واستعبدتني بحرّ كلامك الرقيق · فمن لي بالرقة التي حويت والمزيّة التي ملكت والفضل الذي اصبت والكمال الذي ادركت لاخاطبك بلسانك واكاتبك بمثل بيانك · ولكن ما لا يُدرك كلّهُ لا يترك كلهُ ولكلٍ درجاتٌ ممّا عملوا

فما تجود يدٌ الا بما وجدت ولا تكلّف نفسٌ غير ما وسعت

ولست اعتذر اليك فيما كان ظهوره منك ولكن الوذُ بحلمك · من حكم علمك · واعوذ بفضلك · من سهم عذلك

اما الصديق فلان فقد جعلت صحيفته البيضاء ميثاقاً عليه انه اتّخذ محبّةُ صديقاً ورضي به خليلاً لا يملّهُ ولا يروم عنه عدولاً ثمّ سجّلتهُ في محكمة الوفاء تسجيلاً واشهدت عليه من اهل العهد شهوداً عدولاً (١)

---

(١) المكنّى عنه بفلان في هذه الفقرة نعسان افندي الشرابي ومر الصحيفة البيضاء المشار اليه في الكلام عنه انه بعث الى دمشق بكتابٍ لا يتضمن سوى اسمهِ في مكان التوقيع

كان حقيقةً في ذلك الرسم على انه لديك من قبلهِ ومن بعدهِ

ثم اسألك يا خليل الوفاء ووفيّ الاخلاء تقديم شواعر سلامي وواجبات اكرامي لآلك جميعاً صفوة الكرام وان تتقبَّل مني مثل ذلك جعلني الله فداك ولا زلت خادمك واخاك

﴿ وكتب من بيروت الى حضرة صديقنا اديب افندي نظمي بدمشق ﴾
« بعد عودتهِ من تلك المدينة »

اشكو اليكَ سعة فضلِكَ عن ان يحيط به بياني وعظم منّتِكَ عن ان يلمَّ بشكرِها قلمي او لساني فاجعل رقتكَ شفيعي لديك وعفوكَ وكيلي في الثناء عليك

وبعدُ فقد وصلنا بيروت لاهجينَ بذكر محامدك هازجينَ بحديثِ محاسنك فلم تنلنا مشقة ولم نشعر بطول الشقّة ثمّ لقينا الاهل والاخوان فكانت حفلتنا مجلس انس نديرفيهِ من احاديث فضلك مُداما ونتخذ من معالي كمالِكَ ندامى ثمّ لا نلهو بسكرها عن شكرها ولا نذهل بعدِّها عن حمدِها

فاجعل ايَّدك الله ضعف الشكر في جنب قوّة العذر وتفضّل بعرض هاتهِ السطور في مجلس سادتي فلان وفلان وفلان تحسب صادرةً اليهم بما نقصد بهِ جنابكَ الكريم من الشكرِ والثناء فقد اتّحدتم حبًّا وتألفتم قالبًا وقلبًا حتى

امتنع الاختصاص فيما به تُخاطَبون لا زلتم عصابة فضلٍ تُعقد على مدحكم الخناصر وتُختم على حبكم السرائر

﴿ وارسل اليه جواباً على كتاب فقال ﴾

يا سيدي بل يا اخي فالاخاء واجبٌ عرفناه والسيادة حكمٌ ما اعترفناه والادب رحمٌ تقطعها الكلفة والكلفة لبسةٌ تمنعها الالفة والالفة بيننا معقودةٌ اسبابها بالصفاء عالقةٌ اهدابها بالوفاء

فيا الف اخي خطاباً لا املّ لفظَه · ولا اهمل حفظَه · لقد سمتني بكتابك ما لا اطيق · واستعبدتني بحرّ كلامك الرقيق · فمن لي بالرقة التي حويت والمزيّة التي ملكت والفضل الذي اصبت والكمال الذي ادركت لاخاطبك بلسانك واكاتبك بمثل بيانك · ولكن ما لا يُدرك كلّهُ لا يترك كلهُ ولكلٍ درجاتٌ ممّا عملوا

فما تجود يدٌ الا بما وجدت ولا تكلّف نفسٌ غير ما وسعت

ولست اعتذر اليك فيما كان ظهوره منك ولكن الوذُ بحلمك · من حكم علمك · واعوذ بفضلك · من سهم عذلك

اما الصديق فلان فقد جعلت صحيفته البيضاء ميثاقاً عليه انه اتّخذ محبّةُ صديقاً ورضي به خليلاً لا يملّهُ ولا يروم عنه عدولاً ثمّ سجّلتهُ في محكمة الوفاء تسجيلاً واشهدت عليه من اهل العهد شهوداً عدولاً [1]

---

(١) المكنّى عنه بفلان في هذه الفقرة نعسان افندي الشرابي وسر الصحيفة البيضاء المشار اليه في الكلام عنه انه بعث الى دمشق بكتابٍ لا يتضمن سوى اسمه في مكان التوقيع

واما الصديق فلان فقد عددت سكوته خطاباً يكون لكتابي السابق جواباً لا يؤاخذني فيه على أن وحدّت ثالوثكم وما افردت لاقنومهِ كتاباً بل يعدّ ما صدر عن واحد منبثقاً عن الكل بالاتفاق وان لم يكن من القائلين بكليّة الانبثاق(١)

فتفضلوا جميعاً بقبول سلام يمتزج بـه القلب وتتحد به النفس شوقاً اليكم يا احبّ الناس الينا ويا اكرم الخلق على الله

﴿ نص كتاب ﴾

« بعث به الى المغفور له سلطان باشا بعد النفي من مصر »
« وكان قد أرسل اليه رسولاً فاكرم مثواه »
« ووعده خيراً عام ١٨٨٢ »

سيدي وعمادي وسندي وعتادي

كتابي اطال الله بقاء سيدي الاوحد وانا اذرف دمع الامتنان والشكر على ما اظهر لرسولي من الانعطاف اليّ والشفقة عليّ والرغبـة في كشف ظلامتي . والميل الى اعادة كرامتي . حتى لو بذلتُ بقيّة الشباب في سبيل خدمته . ووقفت سائر العمر على شكر نعمته . واوتيت مع ذلك عزيمة الاقوياء ومُنحت بلاغة الفصحاء لما سلمتُ في الواجب مِن التقصير . ولا

---

(١) المقصود بهذه الفقرة جبران افندي لويس والنكتة فيها ان الفقيد ارسل له ولنعسان افندي واديب افندي كتاباً مشتركاً فاجابه الاخيران وامسك هو عن الجواب

ادركتُ منه غير النزر اليسير · على انني القيت بباب مولاي القلب رهن اخلاصٍ وولاء وقليلٌ تحت سمائنا قلوب الاصفياء

ولقد بشَّرني الرسول بكتابٍ من السيّد السند يجبر الخاطر · ويقرُّ الناظر · ويشرح الصدر · فيصفح عن هفوات الدهر · فاعتلقت باسباب الاماني والآمال ورجوت لسوء الحال حسن المآل ثمّ رددت النفس · عن هاوية اليأس · فالحمد لله ما خَلت الارض من الفضل · والحمد لله ما عفَت في مصر آثار العدل · ويمين الله ان غاية الامل رضى السيّد عن عبدهِ · ونهاية الرجاء حسن ظنّه بحافظ عهده · فان رضيَ فليغضب الانام وان احسن الظنّ فما على الدنيا ملام

وعلمت من كتاب رسولي اسباب الابعاد · ومـا تخلّل الامر من دسيسةٍ وفساد · فما عجبت لتصديق تهمة · كما اني لم اندم على صدق الخدمة · أو ليس ان السيّد اعزّه الله يذكر ذلك مني ولا ينساه وكفى بهذا جزاءً وشكورا · وكفى به قبلاً موفورا · ولا ازيد وان كان المجال فسيحاً والحقُّ ظاهراً صريحاً فالنتائج معقودةٌ بمقدماتها · والامور مرهونةٌ باوقاتها · ولسوف ينكشف الغطاء ويبرح الخفاء ويُعلم الشكّ من اليقين · ويغلب امرِ الحقّ ولو بعد حين · والله وليّ الصادق الامين

هذا وقد بعثت الى مصر من يبيع اثاث المنزل بمـا تيسّر واتاني ان السيد حفظ الله معاليه قد رسم بتأخير ذلك الى اجلٍ غير معلوم ولكن الحاجة ملزمة والضرورة مبرمة وللخادم على ذلك البيع باعثان الاول سدّ

الحاجة بما يحصل منه وان قلّ · والثاني رفع اجرة المنزل عن كاهله المُثقل · ومع ذلك فالامر للسيّد في كل حال · وما على الخادم سوى الامتثال · ثمّ اني مشتغلٌ في هذه العطلة بتاريخ المسألة المصرية على ما رأته العين ووعاه الذهن وسمعته الاذن وحقّقه الخبر وايّده الاثر مبيّناً احوالها مفصلاً اجمالها · كاشفاً اسرارها واصفاً آثارها ذاكرًا كل امرىء بما استحقّ منصرفاً في كل ذلك عمّا يخالف الحق ليعلم منه فضل ذوي الشهامة · واهل الكرامة · كما يُعلم نقص ارباب السفالة واهل النذالة ممّن غرّهم الجهل فطغوا ودعاهم الجبن فاطاعوا ثم اضاعوا البلاد واي نفيسٍ اضاعوا وساقدّم لمولاي ما ابيض من هذا الكتاب ليرى فيه رأيه الموفّق للصواب ان شاء الله حفظ الله السيد السند ورعاه وادام مجده وعلاه وابقى للخادم عنايته ورضاه

﴿ وكتب اليه ايضاً يهنئه بعيد الاضحى ﴾
﴿ ونيشان ورد اليه من دولة الانكليز ﴾

ما العيدُ الّا ان تكون سعيدا . فيعيد مجدكَ كل يومٍ عيدا
لبّيت للنفس الكريمة داعياً لا الوعد رام ولا استهال وعيدا
فجعلتَ بُعد منى السعادة دانياً وجعلت قرب اذى الفساد بعيدا
حتى اذا صنت المقام من الاذى ووقفت فيه الطائفين شهودا
اضحى على عرفات عزمك كل من ضحّى لفضلك مبدياً ومعيدا

التهنئة للاكفاء ولمن يدّني من البعداء فغاية الخادم اخلاص الدعاء

فحبذا العيد السعيد سلامة السيّد السند وحبذا النيشان ذو الشان مجده الذي لا يحدّ ومآثره التي لا تعدّ وفضله الذي لا يدانيه احد · ولئن ابى الدهر اسعاف العبد في نفسه وقد اسعفه في مولاه · فالحمد لله ثم الحمد لله

وكتب الى احد امراء مصر

جعلتُ وسيلتي الى اعتاب وليّ النعمة وباب السيد السند كتاباً رفعته اثر الحادثة الى حضرة المولى فلان ثم جاءني ان المولى المشار اليه منحرف المزاج فجروءت بنفسي على باب السيّد الامير احمد الله اليه · مؤدياً واجب الثناء عليه · ثم استمنحه نعمة الجواب عمّا اذا كنت اصلح لشيءٍ من خدمة ولي النعمة · في اويقات هذه الغمّة · فقد رأيت السنة الكاذبين طائلةً بما يقصر همم الصادقين ولم اجد من مضاءٍ في سيوف من رأيت من المدافعين فهزّني واجب الخدمة لهزّ صمصامة الذود عن الحق فطرقتُ باب المولى مستأذناً فيما دعاني الواجب اليه فان رأى له محلاً ورآني له اهلاً فله في الامر بذلك رايه العالي والاّ فحسبي منه انعطافة رضى والتفاتة اهتمام وكلمة تنبئ بوصول عريضتي اليه وان تفضّل سيّدي اعزّه الله بذكر الخادم في الحضرة العليّة داعياً بتأييد الاريكة السنيّة كان ذلك تمام الفضل وله الامر وعليّ الشكر في كل حال

الحاجة بما يحصل منه وان قلّ · والثاني رفع اجرة المنزل عن كاهله المُثقل · ومع ذلك فالامر للسيّد في كل حال · وما على الخادم سوى الامتثال ·

ثمّ اني مشتغلٌ في هذه العطلة بتاريخ المسألة المصرية على ما رأته العين ووعاه الذهن وسمعته الاذن وحقّقه الخبر وايّده الاثر مبيّناً احوالها مفصّلاً اجمالها · كاشفاً اسرارها واصفاً آثارها ذاكرًا كل امرىء بما استحقّ منصرفاً في كل ذلك عمّا يخالف الحق ليعلم منه فضل ذوي الشهامة · واهل الكرامة · كما يُعلم نقص ارباب السفالة واهل النذالة ممّن غرّهم الجهل فطغوا ودعاهم الجبن فاطاعوا ثم اضاعوا البلاد واي نفيسٍ اضاعوا وساقدّم لمولاي ما ابيض من هذا الكتاب ليرى فيه رأيه الموفّق للصواب ان شاء الله حفظ الله السيد السند ورعاه وادام مجده وعلاه وابقى للخادم عنايته ورضاه

وكتب اليه ايضاً يهنئه بعيد الاضحى
ونيشان ورد اليه من دولة الانكليز

ما العيدُ الّا ان تكون سعيدا فيعيد مجدكَ كل يومٍ عيدا
لبّيت للنفس الكريمة داعياً لا الوعد رام ولا استهال وعيدا
فجعلتَ بُعد منى السعادة دانياً وجعلت قرب اذى الفساد بعيدا
حتى اذا صنت المقام من الاذى ووقفت فيه الطائفين شهودا
اضحى على عرفات عزمك كل من ضحّى لفضلك مبدياً ومعيدا

التهنئة للاكفاء ولمن يدّني من البعداء فغاية الخادم اخلاص الدعاء

فحبذا العيد السعيد سلامة السيّد السند وحبذا النيشان ذو الشان مجده الذي لا يحدّ ومآثره التي لا تعدّ وفضله الذي لا يدانيه احد · ولئن ابى الدهر اسعاف العبد في نفسه وقد اسعفه في مولاه · فالحمد لله ثم الحمد لله

وكتب الى احد امراء مصر

جعلتُ وسيلتي الى اعتاب وليّ النعمة وباب السيد السند كتاباً رفعته اثر الحادثة الى حضرة المولى فلان ثم جاءني ان المولى المشار اليه منحرف المزاج فجروت بنفسي على باب السيّد الامير احمد الله اليه · مؤدياً واجب الثناء عليه · ثم استمنحه نعمة الجواب عمّا اذا كنت اصلح لشيء من خدمة ولي النعمة · في اويقات هذه الغمّة · فقد رأيت السنة الكاذبين طائلةً بما يقصر همم الصادقين ولم اجد من مضاء في سيوف من رأيت من المدافعين فهزّني واجب الخدمة لهزّ صمصامة الذود عن الحق فطرقتُ باب المولى مستأذناً فيما دعاني الواجب اليه فان رأى له محلاً ورآني له اهلاً فله في الامر بذلك رايه العالي والاّ فحسبي منه انعطافة رضى والتفاتة اهتمام وكلمة تنبئ بوصول عريضتي اليه وان تفضّل سيّدي اعزّه الله بذكر الخادم في الحضرة العليّة داعياً بتأييد الاريكة السنيّة كان ذلك تمام الفضل وله الامر وعليّ الشكر في كل حال

﴿ وكتب الى صديقه سعادتلو عبد السلام باشا المويلحي بعد النفي من مصر وقد انقطعت عنه رسائله عام ١٨٨٢ ﴾

لولا دلالة القلب على صفاء الوفاء وهداية النفس الى بقاء الاخاء لغالبتُ الشوق في استطلاع اخبارك منك ووقفت القلم عن شكوى هجرك اليك مخافة املالِك بما انت غنيٌّ عنه وكراهة اعناتك بما انت زاهدٌ فيه ولكنّي عهدت بين جنبيك قلباً لا يحوّله تغيّر الاحوال ولا يبدله كرور الايّام والاحوال فانا مخاطبه بما يمليه الشوق عليّ رضيت ام غضبت · وسكتّ ام اجبت

اي قلب من نُحبّ ونكرم · ونجلّ ونعظم · لقد اتّصلنا منك باسباب مودة واعتلقنا فيك باهداب صداقة فهل انت ذاكرٌ معاهدنا بذات الوفاء ليالِيَ هجرنا الرقاد اليك · وقصرنا الوداد عليك · ورضيناك من الدنيا نصيباً · واخترناك من العالمين حبيباً · كيف لا وقد لازمك الصفاء · وصافاك الوفاء · فصفوتَ على كدورات الأيّام · ووفيت على خيانة الانام · فان عدلت وما عدلت فعلى الدنيا السلام · اه

﴿ وكتب في زواج احد نبلاء اليونان بالمشخصة الفرنسوية المشهورة « ساره برنارد » ﴾

خلِّ المعارف فالمعازف سوّدتْ	بيض الثنايا الغانيات تغنّيا
ودعِ العوالي فالمعالي وسدت	للسائدات على الغصون تثنّيا

الراقصات الواقصات القانصا ت قلوب ارباب الغرام تجنيا

اوَ ما انبأَك سمّار الملاهي ورواة احاديث الصبابات ان المليع التيّاهة المشخصة للابصار بما تشخص في الملاعب تمثيلاً بهجة التياترو الفرنسوي وزينة مشخّصات الغرب من لا يزال رأس ويكتورهيكو الابيض يطاطئ لقبلة كفّها كلّما انشدت كلمةً من شعره البديع الفتاة المدموازيل عنوانًا (ساره بانارد)

من آل اسرائيل فتّانةٌ قد عذّبت اهل الهوى تيها

قد أُنزل السلوى على قلبها وأُنزل المنّ على فيها

أجل فقد اتصل بها في هذه الايام فتًى من نبلاء اليونان وذوي الثروة الواسعة منهم فانضمّ الى فوج تشخيصها يطوف معها البلاد · وينقاد لاحكامها ايمّا انقياد · معجبًا بفنها اكثر من اعجابه بحسنها فان ساره (وما نريد بالهيف سوءًا) نحيلةٌ نحيفةٌ بلمحةٍ من الحسن لا تكاد تلمح ولكن اول الحب التئام وغايته التزام

والحب اول ما يكون مجانةً فاذا تحكّم صار شغلاً شاغلا

فصاحبنا ابتدأ باستحسان المشخّصة فانتهى بعشق الذات · والمنيّة واحدةٌ ولكن الوسائل مختلفات · فابدى لها الغرام فسمعت · فطلب الملازمة فما منعت · فرام الاتصال فامتنعت الاّ ان يكون حليلا لا سكنًا ولا خليلا فاجاب وداعيات الوجد · تخيفه من عاديات الصدّ ·

يا قريب الصدود والاعراضِ انا راضٍ بما به انت راضِ

﴿ وكتب الى المأسوف عليه المرحوم جبرائيل مخلّع من الاسكندرية ﴾
« الى بيروت في ١ سبتمبر سنة ١٨٨٢ على اثر استظهار الانكليز »
« في حوادث ذلك العام قال : »

نحن في زمانٍ لا يشبه الازمنة وحالٍ لا تماثل الاحوال فيومنا مشتبه الخبر وغدنا مجهول الاثر ورئيسنا ليس باعلم من المرؤوس بما تؤدي اليه الحوادث وحاكمنا ليس بادرى من المحكوم بما ينتهي اليه الامر ولذلك تلجلجت الالسنة وترجرجت الاقلام وتهدَّجت الاصوات فصار الاعتزال كرامة . والخمول سلامة . خصوصاً ان الرأي في مصير الاحوال مختلف الوجوه ولا كاختلاف ذوي الآراء فالنزعة في جانب اولي الامر تشعر بالنفرة عن حركة الافكار الوطنيّة والريح عند زعماء الانكليز تهبُّ من جانب المساعدة على تأييد مبادئ الحكومة الشورويّة كذا تبيَّن واتضح من مذكرات السرمالت وزير انكلترة المفوض في هذا الجانب كما تبين واتضح من اعمال رجال الحكومة السنية وقد كتب احدهم بما يظنُّ الرجوع الى الاستخفاف بمجلس النواب فاوجب لهُ ذلك من قِبَل الانكليز شديد العتاب ولو كتب غيره ما يكون على رأي هؤلاء لما أَمِن من جانب ذوي الرأي النافذ عتاباً وعقاباً فالخمول هو الراحة لامثالي في هذه الايَّام ولاسيّما اذ لم ارَ معارضةً ولم اجد نفوراً ولكني ما رأيت مساعدةً ولا اغراءً بالظهور فانا على حالة الرضى بالرزق الحاصل والذكر الخامل حتى تستقرَّ الحال

وينجلي ليل الاشكال

﴿ وكتب اليه شاكرًا اياه على تفضّلهِ بهديةٍ غرآء ﴾

انّ برّ الكريم برٌّ كريمٌ ما ابتهُ نفوس اهل الكرامِ

ولقد اوليتني يا بحر الفضل برًّا لا اطيق عنه صمتاً ولا استطيع لهُ شكرًا فتناولتهُ مني يدٌ لا تبسط الى سواهُ . وقبلتهُ مني نفسٌ من سائر خلقِ اللهِ تأباهُ . فلا زالتَ غيثاً يسمو نفعهُ بوسمياتهِ . وغوثاً نلقاهُ فنقول صفحاً لهذا الدهرِ عن هفواتهِ

﴿ وكان رحمهُ الله قد توسط لديه في قبول احد الادباء

« بخدمتهِ فكتب اليه يقول : »

ما بلغ مني الرجآء ولا وصل الامل الاَّ أن تراني بفضلك لائذًا ولا اراك الاَّ بعدلك آخذًا فزدتني منهُ الى حدٍّ ان رأيتك عافياً ولم ترَني بالعفو راضياً فلك الحمد والشكر . في السر والجهر . ولك المنة والفضل في الاوَّل والآخر والباطن والظاهر

وقد وردني كتابك الكريم موردَ اجلالٍ وتكريم وانبأَت بما تضمنهُ صديقي المحسود على آتيهِ . المحمود على ماضيهِ . فاجاب بالرضى والايجاب . يسير الى سيدي على ما اشترط في ذلك الكتاب . بل لا يروم من الشرط الاَّ الاتصال . وحسن القبول والاقبال . انَّ من كانت هجرتهُ الى مثل سيدي

فهجرته الى ادبٍ يجتنيه ِ· وفضلٍ يجتليه ِ· ومحمدةٍ يطلبها· ومأثرةٍ يكسبها·

﴿ ثمَّ عُرض على الرجل مركزٌ اخر فكتب الفقيد الى وجيهنا الفاضل ﴾
« يستعطفهُ في اقالة الصديق من الخدمة وهذا »
(بعض ما ورد في كتابه)

عهدي بسيّدي اشدَّ الناس رغبةً في صلاح ذويه ِ· ونجاح مريديه ِ· فأنا مخبرهُ من ذلك بما يجلب لهُ المسرَّة وان كان في ظاهر الامر موجباً للكدر ـ ذلك ان جناب الموسيو ····· اخبرني انـهُ عرض على الصديق مركزًا رفيعاً وانَّ الصديق وعدهُ بالجواب بعد التبصّر واستئذان السيّد فاتيت الصاحب مستطلعاً رأيهُ فالفيتهُ متردّداً بين الامل في نجاحهِ الظاهر· والخوف من ان يتكدّر من سيّدي الخاطر· فقلت لا مجال للتردّد فيما توجبه مصلحـة العيال وضمانة الاستقبال خصوصاً انَّ المولى حفظهُ الله لا يقدّم على نفع المنتمين اليهِ شيئاً فاحبُّ الامور لديهِ ان تكون خدمتهُ باباً للتقدم والنجاح ولا سيّما ان وقوف حركة الاشغال· في الوقف الحال· ممَّا يمكن معهُ الاستغناء عن خدمة مثلهِ والاكتفاء بحاضر الوقت من المستخدمين فدعوتُ الصديق لقبول ما عُرض عليه ـ وضمنتُ لهُ من السيّد دوام الاقبال علماً بانهُ لا يخفى عليهِ عواطف خادمـهِ وحفظهُ لواجباته وحجة حرصهِ على اداء المعروف وقلت يا سبحان الله قُضيَ على من كان وسيلة الولوج ان يكون ذريعة الخروج فبقي على المولى ان يسعفني في

هذا كما اسعفني في ذاك وله في تعجيل الجواب رأيه العالي موفقًا للصواب

وكتب اليه من القاهرة الى الاسكندرية

سيّدي الهمام

شأن فضل سيّدي اعجاز من والاه · عن شكر نعماه · ولكن سرّ حلمه اسعاف من يعجز · بتفصيل ما يوجز · فليكن هذا الاسعاف شفيعي لديهِ ورسولي اليهِ ونائب بياني في الثناء عليه

وقد وصلت المحروسة اعدّ ايّام اللقاء كما تعدّ في اليوم ساعات الامس السعيد · واحسب اوقات البعد كما تُحسب ايّام الصوم في انتظار العيد · ومسئولي من سيّدي ان يتقبل غير مأمورٍ واجب احترامي وسلامي مرفوعًا اليهِ والى الآل الكرام ادامهُ الله فيهم بالنعمة والهناء مدى الايام والاعوام

وكتب اليه من باريس

لا اتكلّف وصف شوقي الى لثم راحتكم · والوقوف بساحتكم · فذلك امرٌ لا اقوى عليه وقد قيل :

اذا لم تستطع امرًا فدعهُ وجاوزهُ الى ما تستطيعُ

وقد وصلتُ باريس بعد سفرٍ اخذ البرد بجانبيه · وامسك التعب بطرفيه · وشرعتُ في تحرير الصحيفة بعد ان عثرت على المطبعة الملائمة والمركز

الموافق وكتبتُ للصديق .... بتفصيل خبري ولا شكّ انهُ يطلع سيادتكم على كتابي ولذلك اجتزئ بهذه الاسطر مثبتاً بها امتناني وان كان غنيّاً عن الاثبات . موضحاً بها املي في قرب اللقاء وكل قريبٍ آت

﴿ وكتب اليه من بيروت يعرّفهُ بفاضلٍ من اصحاب الوجاهة « وارباب البيوتات » ﴾

صفحاً لصرف الدهر عن هفواتهِ ان كان هذا اليوم من حسناتهِ

كيف لا وقد اسعدني فيه الطالع بان اكون وسيط معرفة واداة صلة بين سيّدي والهمام المتنازل الى حمل عريضتي اليه الا وهو كاتبُ السياسة غير منازَع وصاحب السيادة غير مدافَع ...... فانهُ ايّده الله واياكم رام الرحلة الى مصر وعلم بزلفاي لديكم . وادلالي الخادميّ عليكم فرسم لي بان اعقدَ بينكما صلةً عقدَها من دوني الادب وأصلِ رحماً وصلها من قبلي الفضل ففعلتُ ولو استطعتُ مع السيد الراحل سبيلا . لما رضيتُ بالرسالة رسولا .

﴿ وكتب من باريس الى يوسف افندي فارس بالاسكندرية ﴾

الى الله اشكو لظىً في الفؤاد يسمّى اصطلاحاً عذاب البعاد
وما للبلادِ اشتياق الفؤاد فعهد الودادِ لاهل البلاد

أجلْ ولكن كيف انسى مرابع انسي ومراتع نفسي في مجالس صفو وهناء بين معاشر فضلٍ ووفاء ام كيف لا اذكر اياماً مرَّت بنا كالاحلام . فان لم تعُدْ فلا كانت الايّام وعلى الدنيا السلام

فيا رسالة الود ان وقفت بباب الصديق مسلّمةً عليه مبينةً بعض شوقي اليه فانشدي عني بين يديه

قالوا التباعد يوجب الهجرا كذبوا ومن ذاق النوى ادرى
فالحب ذكرٌ والمحب اذا عزَّ اللقا لم يعدمِ الذكرا

﴿ وكتب من بيروت الى صديقه الياس افندي انقدسي بدمشق ﴾

ما ترك القصور للعذر وجهاً ولا ابقى الذنب للمغفرة سبيلاً

فمالي حيلةٌ الاَّ رجائي وحلمك ان عفوتَ وحسن ظنّي

ولست بزائدٍ على هاته السطور حرفاً حتى يجيئني من لدنك ما يشعر بالرضى . وبالعفو عمّا مضى . فان فعلت عددت ذلك فضلا . وان ابيت كان اباوءك عدلا .

ولك الامر فاقضِ ما انت قاضٍ فعليَّ الغرام قد ولاَّكا

﴿ وكتب من باريس الى الخواجا يهوذا كوهين بالاسكندرية ﴾

نعمَ النسب الادب ونعمَ اللقاء التذكار وانَّ بيننا لذلك النسب لرحماً لا تُقطع . وانَّ لنا من هذا اللقاء لشملاً لا يُصدع . فاذا استعنتك فقد استعنت

نسيباً . واذا ذكرتك فقد لقيت حبيباً . وهذه صحيفتي ارسلها اليك . حاملةً نفحات تسليمي عليك .

فهيَ الرسول الى الصديق وليتني ... كنت اتّخذت مع الرسول سبيلا
تأتي فيقرأوها الوفا ويحلّها الـ ... ـنعمى ويقطعها رضىً وقبولا

﴿ وكتب من باريس الى حضرة الصديق الدكتور مملوك بالاسكندرية ﴾

الالفة . قد نفت الكلفة . والوداد . جعل الحديث الفؤاد . جرّده عن زخارف الكلام . وأبعده من سفاسف الاحتشام . فدع ميم الكرامة ونون العظمة يستبقان الى حيث سار القارظان وتلقَّ من اخيك كتاب وداده . متضمناً خطاب فؤاده .

سار يسعى اليك سعي رسولٍ ... اخّرته عوائقُ الايّامِ
واجفاً بين رهبةٍ ورجاءٍ ... فهو بين الاحجامِ والاقدامِ
فتبسّم لهُ دليل قبولٍ ... وتقبّل منهُ جزيل سلامي

﴿ وكتب من بيروت الى بطرس افندي منصور تيان ببيروت ﴾

« وقد اتاها من دمشق ونزل بدار شقيقته فلم يستطع زيارته فارسل اليه يقول »

يدعوني الواجب الى ناديك ويحبسني اللائق عنهُ فيا شوقي الى لقائك ويا اسفي على امتناعه فتقبّل غير مأمورٍ فروض التحية القلبيّة ممَّن رضيَ بالمراسلة من المقابلة رضى العاجز بالقليل الموجود من الكثير المفقود

﴾ وكتب من بيروت الى الصديق اديب افندي نظمي ﴿
« بدمشق قبيل عودته »

علمتُ بأنَّ عتبك موصولٌ بأسباب حلمك فكنتُ على يقينٍ من عفوك وذكرتُ سابق ودك وموثق عهدك فاراحني حسن الظنّ بك من تكلّف الاعتذار اليك

فأمط ايدّك الله نقاب العتب عن محيّا الرضى فالعمر اضيق من ان يسع وحشة العتب وفترة العذر وتقبل سلام صديقك سفيراً يصلح ما افسده القصور ورسولاً ينهي اليك بقرب وفود المحب عليك يبثك مشافهةً ما لم يستطع بالمراسلة فينال لديك من القبول . ما يكون فوق المامول .

﴾ وكتب الى المرحوم جبرائيل مخلّع ايضاً عام ٨٤ قبل وفاتهِ ﴿
« رحمهُ الله بزمنٍ يسيرٍ وكان متولياً تحرير »
(جريدة التقدم للمرة الثالثة)

سيّدي السند

ما قعدتُ عن مراسلة سيّدي هذه المرة اهمالاً لحقهِ عليَّ ولكن المٌ بي منذ انقضاء الصيف المٌ عصبيّ تجاوز الحدَّ في حدّتهِ . وتخطّى الخطَّ في شدّتهِ . وعاودني معهُ شيءٌ من الداء القديم فاستحكمت العلّة وعظم الخطب وكنت مع ذلك اتحامل على النفس بتحرير الجريدة امتثالاً لحكم الضرورة حتى

امتنع الاحتمال واوجب عليّ الاطباء العزلة فاعتزلت والتزمتُ المنزلَ أمرّض واعالج واعاني انواع العناء وقد مرّ على هذه الحالة المرّة ثلثة اشهر من دونها ثلاثة اعوام وكان بعض الاصدقاء قد رغبوا اليّ اوائل الصيف الماضي ان اترجم قصةً صغيرة من قصص الافرنج تكون تسليةً لي ولهم ففعلت فلمّا حصلت العطلة دعوني الى طبعها « واظنّهم املوا لها الرواج بما يعلمون من رغبة السواد الاعظم منا في هذه الاحاديث الملفقة » فطبعتها تلبيةً لدعوتهم وان لم اكن شريكهم في الامل ولمّا تيسّر الفراغ من طبعها تردّدت في تقديمها الى باب فضلكم علماً مني برفعة منزلتهِ عن مثلها ثم ذكرتُ ان نفس الحكيم لا تأبى الفكاهة في بعض الحالات والاوقات فبعثتُ بها متوسلاً بذلك الى طلب المغفرة عن قصوري السابق راجياً ان افوز من الجواب بما يفيد حسن القبول والله اسأل ان يطيل بقاء سيدي متمتعاً بالعافية والسعاده . بالغاً من الدنيا مراده . والسلام من الخادم اديب

خطبة

لمعٌ من كلامهِ في محاورةٍ جرت في جمعية زهرة الآداب ببيروت

«على نابوليون الاول هل كان خيرهُ اكثر من شرّهِ وكان»

(في المحاورة سالباً قال)

لقد سبقَ لساني الخاطر وخاطري الفكر في الرضى بهاتهِ المباحثة تذكّرني بالرجل الذي ما رأيت فيهِ كبيراً غير ذنبهِ وعظيماً غير استبدادهِ ولا مميزاً غير شرّهِ وقسوتهِ فتقوى بها علّةٌ على حرف الضعف وتضعف صحةٌ على طرف القوة فانهُ يمتنع على ايّ قلبٍ لم يصفُ من دم الرحمة ويتعذر على ايّ نفسٍ لم تخلُ من روح الانسانية ويستحيل على ايّ فكرٍ لم يصفد من معنى الرشاد ان يذكر ما اجترم الظلّام وما ارتكب المفسد وما افتأت العادي ثمّ لا ينالهُ عذاب التأثر ولا يمسّهُ الم الانفعال

وايّ اجترامٍ اعظم ممّا سابسط وايّ ارتكاب افظع ممّا سأروي وايّ افتئاتٍ اضرّ ممّا سأُبيّن في اعمال الآفة الحاصدة للارواح والبليّة النازلة بالابدان والصاعقة المنقضّة على عموم الانسان وصفتُ نابوليون الاول وهذا الوصف لا يصل الى معناه . وسمّيتهُ واين من الاسم مسمّاه

ولستُ في موقف الخطيب لامثّل سيّئات هذا الرجل ومنكرات اعمالهِ انذاراً للناس من التهالك على مثالهِ من التهلكات واغراءً لهم بمجانبة الوهم الباعث على تأييد الظالمين واجتناب سبق الحكم الداعي لتقوية

الطامعين واطراح الغيرة الحاملة على رفع اقدارهم السافلة ونبذ الفتنة الحادية لاجلال نفوسهم النابلة

ولستُ في مقام المؤرخ لاجيء بتفصيل اعمالهِ ومحصل اقوالهِ خصوصاً بعد انتهاء الملك اليهِ فاعرضها في مجلس الحق فيصدر حكم الانسانية عليهِ ان يهبط من جنّة التعظيم الى جحيم الخزي والتحقير

وانمّا انا مناظرٌ في موضوعهِ التزمتُ ان انفي عنهُ ما لم يكن فيهِ البتّة من الخير واثبت لهُ ما كان راسخاً فيهِ من الشرّ وما التزمتُ الاّ بيان البيّن وتحصيل الحاصل · بل لا ارى للقول في الوجه الاول مجالاً فقد كان ممتنعاً على فطرة هذا الرجل ان يصدر منه شيءٌ من الخير بالارادة والاختيار فان نتج من افعالهِ شيءٌ مفيد فوجه النفع غير مقصود فيهِ وانما حصل عنهُ كما ينفع القاتلُ ورثة المقتول والهادمُ عطل الفعلة والكاسرُ معمَلَ الزجاج لا يقصدون النفعَ فيما يعملون وانما ينشأُ ذلك عن طبيعة تلك الاعمال وقد يكون في بعض الشرّ خيرٌ من بعض الوجوه

واماّ وجه شريّة هذا الرجل فهو ظاهرٌ في اعمالهِ واضحٌ في اقوالهِ نطقت بهِ افواهُ المؤرخين الصادقين ورسمتهُ على صفحات القلوب دموع النساء والاطفال ودماء خمسة مليوناتٍ من الرجال فلم يخفهِ بهرج انتصاراتهِ في ساحات القتال · واني ناظرٌ فيهِ من ثلاثة وجوه الاوّل حالتهُ الادارية والثاني حالتهُ السياسيّة والثالث حالتهُ الذاتيّة الخصوصيّة مبيّناً ما ألحقَ بالناس عموماً وبالبلاد التي وليها خصوصاً من جسيم الاضرار في كل حالةٍ

من تلك الحالات معيناً في الاخيرة ما كان عليهِ من فساد الخلق وسفالة الفطرة وخسّة النفس ليُعلم انهُ لا يعقل صدور شيءٍ من الخير المقصود عمَّن تجمّعت فيهِ تلك النقائص

لا ترجِ الاصلاح من فاسدٍ فالشهد لا يُجنى من الحنظلِ

«ثمَّ ابنتُ شرّية نابوليون في الحالتين الاوليين بذكر استبدادهِ وغدرهِ بالجمهورية التي كان من رؤسائها وتحاملهِ على اعدائهِ من ذويهِ وميلهِ مع الهوى في حروبهِ التي انتزفت اموال الفرنسيس ودماءهم عبثاً وهدراً وسعيهِ في استئصال جراثيم الحريّة التي تظاهر من قبل بنصرتها خداعاً وايّدت ذلك بالامثلة الواقعة والادلة القاطعة من التاريخ» ثمَّ قلت :

وقد كنتُ في غنىً عن بيان تينك الحالتين بما اذكرُ من الحالة الثالثة الدالّة على لؤم طبع الرجل وبُعد نفسهِ عن النفع والخير فما يصدر الخير العظيم الا عن الطبع القويم وكلّ مَنْ خلا عن الفضائل فهو دنيءٌ سافل .

قال شاتوبريان في وصف نابوليون الاول ما معناهُ :

ولد بونابرت ليفسدَ في الارض فهوَ يحمل الشرَّ بين يديهِ كما تحمل المرضع طفلَها بفرحٍ وافتخار ويكرهُ سعادة الناس كراهةَ الارمد للنور فقد قال ذات يوم «لا يزال في فرانسا اناسٌ سعداء من بعض ذوي البيوتات المقيمين بالضواحي والارباض فهؤلاء يعيشون من دخلٍ لهم يكون بين ثلاثين الفاً واربعين الفاً فرنكاً ولا يعرفونني ولكنّني سأُلمُّ بهم لا محال» وكان ينفر من كل مزيّةٍ لغيرهِ ومن كل شهرةٍ لسواهُ ويحسدُ اهل الذكاء

والفضل والنباهة بل ربما كرهَ شهرة الجريمة ان لم تكن صادرة عنهُ · اه

فان قيل كان شاتو بريان على فضلهِ وثبوت صدقهِ من اعداء نابوليون ولا عبرة بشهادة العدوّ اوردنا لتأييد كلامهِ قولِ مدام (دي رموزا) فهيَ عالمةٌ باحوال نابوليون واقفةٌ على حركاتهِ وسكناتهِ وقد كانت من نساء قصرهِ المقرّبات وتوفيت عام ١٨٢١ قالت: لم ارَ اسفلَ والأم من نفس هذا الرجل فانها خاليةٌ من آثار الكرم والشرف ولم ارهُ البتّة مستحسناً شيئاً حسناً بل كان يخفي اندهاشهُ بحجاب الاستخفاف ولا يعتقدُ الصفو في احدٍ من الناس حتى انهُ كان يقول ان الذي يميز بعض الناس عن بعض انما هو الدقّة في اختلاق الكذب · ومما انقل من لفظهِ قولهُ : ان مترنيخ (الوزير الالماني المشهور) يقربُ ان يكون رجلاً سياسياً فانهُ مليح الكذب

وقالت هاتهِ الخاتون ايضاً · كانت خدمةُ هذا الرجل من اعسر الامور فقد كان يعاملُ خدّامهُ بالعنف ولا يريهم سوى الغلظة حتى انهُ قال وهو على حالةٍ من الحالات التي يغلبُ فيها اليقين على اللبس فينطلق اللسانُ بما في النفس · لا شكّ انّ الرجل السعيد من اختبأ مني في طرف احدى الولايات ولا ريب ان العالم يتنفسون الصعداء يوم اموت · اه

قال احد الشارحين لهذه الكلمات : ما اكتفى العالم بتنفّس الصعداء يوم مات ذلك الظلاّم ولكنهُ بكى فرحاً واشتكى تذكاراً ثمّ ضمد الجروح ورمّم الخراب وما كان ذلك مماّ يتم في مدّة ايّام ولا في عدّة اعوام · اه

وقالت مدام دي ستايل وكانت من مشاهير نسائهم : كان نابوليون الاوّل يعدُّ الانسان الحيّ بمنزلة الجماد ولم يكن يحبُّ ولم يكن يكرهُ بل كان لا يرى بذاتهِ غير ذاتهِ ولا يعدُّ سائرَ الناس غير ارقامٍ اعداد . وكانت قوّة ارادتهِ قائمة بمقصد اثرتهِ كانما هو شطرنجيّ بارع يحسب الارض رقعة والناس بيادقها فلا الشفقة ولا الذمّة ولا الشرف ولا التعلق بشيء ما يحولهُ عن الوجهة المقصودة فهوَ بالنظر الى مطعمهِ كالعادل بالنظر الى الفضيلة . اه

وختام المقال فيهِ ما اوردهُ المسيو دي بمبري من تقريرٍ لهُ على خواطر الخاتون دي رموزا في جريدة الفلسفة الوضعيّة قال : لقد ترينا الطبيعة في احوال الخلقة البدنيّة عجائب من ذوي العاهات كالصمّ والبكم والبله وامثالهم وفي احوال الطبائع الخلقيّة غرائب من ذوي العاهات النفسيّة من مثل « تروبمان » و « ابادي » و « المركيز دي ساد » و « لسانير » اشرارٌ معروفون فيهم — وغيرهم من انواعِ المجانين الذين خلوا عن كلّ ما يجعلُ الانسان اليفاً او كان ذلك فيهم شديد الضعف . ولا ريب انهُ لو كان اكثر الناس على هذا الخلق لكان الاجتماع الانسانيّ محالاً فانهُ من لوازمهِ ان يكون في كلّ واحدٍ من الناس شيءٌ من عواطف الانسانية والعدل المعبّر عنهما بحبّ الغير

ولقد كان بونابرت خالياً عن ذلك رأساً كما يشهد ملازموهُ والمتقرّبون اليهِ والذين استطاعوا هتك سجوف الكذب عن حقيقة احوالهِ . فخذ

هذا الرجل انه لا يحبّ غير ذاتهِ ويزدري بسائر الناس فيستخدمهم لمقاصدهِ وينتزف منافعهم لمطامعهِ ويضحّي بهم غير راحمٍ على مذابح ذاتيتهِ سالكاً لمقصدهِ مسلك الكذب والشدّة والخداع · اه

ولهُ

الحريّة

« خطبةٌ القاها شفاهاً في جمعية زهرة الاداب »

الحريّة

موضوعي الخاصةّ التي مُدحتْ بما لم تُمدح بمثلهِ فضيلة وذُمّتْ بما لم تذمّ بمثلهِ رذيلة والتي هي عند بعض الناس هناء وعند بعضهم شقآء وفي اعين فريقٍ راحة وفي اعين فريقٍ عناء ولدى قوم حياة ولدى قوم فناء · والتي مرّت عليها الايّام وكرّت الاعوام في صحبة هذا الموجود الانسانيّ منذ شقّ عنهُ حجابُ الخفاء وما برحتْ موضع اختلافٍ بين الباحثين والمعرّفين · موضوعي الحريّة

وانا على يقينٍ من اني لا اجدُ في هذهِ الوجوه الزاهرة انكماشاً ولا أحدثُ في هذهِ النفوس الطاهرة انقباضاً من ذكر هاتهِ الخاصّة التي انقذتها رجالُ الانسانيّة من إسار الجهل والعبوديّة وفدتها بدمٍ كريمٍ لا يباعُ ولا يُشرى

فلم يبقَ الّا ان اعدّ النفس واهيئَ الخاطر واخفضَ من جناح

الخضوع واتردّى لباس الرهبة والخشوع لأدخلَ مقدسَ هذا الموضوع

فالحريّة ثالوثٌ موحّد الذات متلازم الصفات يكون بمظهرِ الوجود فيقال لهُ الحريّة الطبيعيةّ وبمظهرِ الاجتماع فيُعرف بالحريّة المدنيّة وبمظهرِ العلائق الجامعة فيسمّى بالحريّة السياسيّة

وقد حدّها (منتين) بقولهِ هي المقدرة على فعل كل ما يتعلّقُ بذاتي. وبمثل ذلك حدَّها الحكيم سنيك من قبل. وعرّف (منتسكيو) الحريّة المدنيّة بان لا يجبر المرء على ما لا توجبه القوانين وعرّف السياسيّة بان يفعل كل ما تجيزهُ القوانين. ومرجعُ هذين الحدّين الى وهمٍ واحد وهو الذهول عن ماهيةِ القوانين فان الظاهرَ من قول هذا الحكيم الفرنسويّ ان الحريّة موجودةٌ في واشنطون وجودها في طهران حاصلةٌ في لندرا حصولها في بكين وليس الامر كذلك بل الحريّة الحقيقيّة غريبةٌ في كلّ مكان لسوء حظّ الانسان

وقد اتّفقَ الكثيرُ من الناقدين على تعريف الحريّة بكونها مقدرة المرء على فعل ما لايضرّ بغيرهِ من الناس وهوَ عين الحد المنصوص عليهِ في القانون الروماني وفيهِ نقصٌ من وجهين. الاوّل ان حدّ الاضرار منوطٌ بالاحكامِ الموضوعة على ما بها من الخلل. والثاني ان قيد الاضرار بالغير يخرج عنهُ الاضرار بالذات وهو مخالفٌ لمقتضى الناموس الطبيعيّ الحقيق بالاتباع

امّا حدود المداجين وتعاريف المنافقين للحريّة فلا محلّ لايرادها

ولا موضع لانتقادها في مثل هذا المقام فغاية القول فيها ان اهل السلطة الاستبدادية حيثُ كانوا ومن حيثُ كانوا يفترون على الحرية كذباً في تعريفها بالطاعةِ العمياء والتسليم المطلق لمقال زيدٍ مروياً عن حكاية عمرو مسنداً الى رواية بكر مؤيداً بمنام خالد فهيَ بموجب هذا الحدّ فناء الذهن وموتُ القوّة الحاكمة وخروجُ الانسان عن مقامِ الانسان

الاّ انّ اختلاف المعرّفين وخطأَ كثيرٍ من الناقدين واباطيل ذوي الاغراض الذاتيّة ومفاسد الهيئة الاجتماعيّة كل ذلك لم يمنعْ من ظهور نور الحريّة من خلال الفاف الاقوال فهيَ فيما ترشدُ البداهة خاصّة طبيعيّة وجدت لينمي بها الانسان قواهُ البدنية والعقليّة متدرّجاً في مراتب كمالات الوجود ثمّ كان من سوء بختهِ انّ مظاهر السلطة انتْ على ضدّها من كل وجهٍ وفي كل زمان حتى كأنما اوّل ما سعت فيهِ الجمعية البشريَّة الاّ يكون الانسانُ انساناً. فقد المّت هاتهِ الجمعية بالحريّـة الطبيعيّة في كل مكان. او ما ترى كلّ اناسٍ يرومون ان يكون الولدُ على شاكلة آبائهم فالصينيّ يخنقُ رجل الطفلة بالنعل الحديد لتشبّ على خلقِ جدّتها والاوروبيّ يُضعف يسار الطفل لتكون يمينهُ اقوى والشرقيّ يخنق الطفل بجملتهِ في اللفافة والقماط

ثمّ ان البلهوان يعوّد صغيرهُ الحجل على احدى القائمتين ويليّن اعصابهُ بقوّة والكلّ يعارضون قواهُ الطبيعيّة ليشبهَ سائر القوم . فهذه العادات القاضية على الموجود الانساني بان لا يكون كما وجد ولكن كما يريدُ الناس

ان يكون ذاهباً بحريتهِ الطبيعيّة راساً · فلقد رأينا الاقوام يربّون الولد كما يضربون الدراهم فهم يرومون ان تكون جميع القطع متماثلة متشاكلة ولا يقبلون منها ما كان مختلف النقش عن الجملة وكذلك الانسان الذي يخالف سائر قومهِ في الخُلق والخَلق يفقد فيهم نصف قيمتهِ لا اقلّ ومن ذلك ينشأ فينا خفّة الاعجاب وبلهُ الاستغراب وجنونُ الدهشة من روئية كلّ شيءٍ غريب الاّ الرذيلة فانها حيثما تكن تصادف اهلاً وذلك لان هيئة الاجتماع التي تقتل حرّيتنا باحكام التربية لا تعنى بفضائل النفوس عنايتها بالصور الخارجيّة

واما الحريّة المعنويّة فقد كان المام الهيئة الاجتماعية بها اشدّ وانكى فانهُ لا يكاد الطفل يخرجُ الى عالمِ الوجود حتى يُغمس في ماء الكنج او يُرسم بما لا يعلم ثمّ يوجّه فكرهُ الى من يجهل من المعبودات التي لا حقيقة لها ولا الهَ الا الله· ثمّ تأخذ الوالدة او الظئر في تعليمه الفاظاً لا يفقهُ لها معنى وتخيّلاتٍ لا يدركُ لها سرّاً ثم يُلقى بايدي المربّين من اللامات والموبذانات فيتولون ذهنهُ الطاهرِ البسيط ويعركونهُ كالشمع ليرسموا عليهِ طوابع تعليمهم ثمّ يبعثونهُ عنوةً لا على الخير ولكن على ما يظنونهُ خيراً ويمنعونهُ لا من الشرّ ولكن ممّا يحسبونهُ شرّاً ملقين بهِ بين الرهبة ممّا لا يعلم والرغبة فيما لا يتوهم حتى ترسخ في ذهنهِ آراؤهم وتستحكم في نفسهِ صبغتهم فيعيش من القماطِ الى الكفن كما ارادوا لا كما اوجدهُ الله

قال جان جاك روسو: ان عنف الامهات في شدّ ولدهم باللفائف

والاقطة يضعفُ منهم الاعصاب فهنّ على ذلك ملومات . واين هذا العنف مما يرتكب الذين يشدّون العقول بلفائف الاوهام حتى تضعف بل تتلف اعصاب الاذهان والافهام . نعم ومن اجل هذا رسخت عداوة الحكماء في قلوب المتسلّطين الاقوياء وما يبغضون الفلاسفة انفسهم ولا يبالون بسقراط ولا غليلاوس ولا دسقراط وامثالهم من حيث كانوا وانما يخافون منهم الجرأة على الرجوع الى العقل واتّخاذ الفهم الطبيعي دليلاً في سبيل الانسانيّة وهذا لا سواه ما كانوا يحاولون قتله بالسيف والحبل والنار .

ثمّ انّ تعليم الانسان يتمم استعباده وقتل الحريّة فيه فانّ سادته لا يسعون في توسيع نباهته ولكنهم يشربونهُ فهماً جديداً حتى صار التهذيب عبارةً عن افساد الذهن وتضليل القوّة الحاكمة فالاستاذ لا يعرض تعليمه ليؤخذ اختياراً ولكنهُ يوجبهُ ليُحمل اضطراراً . وبذلك تأيدتِ الاغلاط واستحكمتِ الاوهام واستمرّت الجهالة على مرور الاعوام . ثم تعزّز التعليم بالقانون ثمّ تأيّد بالعادة فاثبته الجهلة قضايا مسلّمة لا تردّ فكان الناس الى ما قبيل هذا العهد يمشون القهقرى ويهبطون من معالي فصاحةِ المخترعين الى سفسافِ اقوال المستظهرين ومن محاسن اقوالِ الابداع والتصورات الى مساوىء الاوهام والتخريفات وهلمّ جرّاً . وكيف لا وقد كان التعليم امتيازاً لفرقٍ من الناس معلومين لا يلقون منهُ في الالباب الّا ما لا يخرجها عن دائرة الملائم لاغراضهم والموافق لما يضمرون فكانوا يقتلون اوقات

المتعلّمين بما نقوى بهِ الحافظة ولا تستفيد منهُ القوّة الحاكمة شيئاً ويضعون لهم على نوعٍ ما ذلك العلم الذي يتلقّون فكلّما خالف وضعهم وخرج عن رأيهم عدوّهُ من آثار الثورة وتجلّيات الخطأ وان كان صواباً· تشهد بذلك معاملتهم للحكماء واحرار الافكار وتنطق بهِ السجون والنطوع في كل زمانٍ ومكان

وما كان ذلك ليفيد اهل السطوة نفعاً فيما يحاولون من تقييد النفوس ولكنهُ يزيد اهل الحرّية استمساكاً بهـا حتى يبلغوا حدّ التعصب فيهِ· فالتشديد من جانب الدين يُضعف الايمان والعنفُ من جهة السلطة يجلبُ العصيان والغلظةُ من الطرفين لا تزيد على اقتياد الفكر لما يمكن الوصول اليهِ بدلالة العقل ان كان خيرًا او ردّهُ عمّا يمكن النجاة منهُ بقوّة الرشاد ان كان شرًا· ولكن احكام الهيئة الاجتماعيّة مباينة لمبدإ السهولة فهي تقضي (بالمغايرة) او (الجنحة) او (الجناية) او (الجريمة) في كل مـا يخالفها والغرامة والسجن او السيف من وراء تلك الاحكام لتأييدها على رغم المخالفين· فحريّة المرء واقعةٌ تحت احكام استبدادٍ مستمرّ

ولا يؤخذنّ من هذا القول انّا نروم الاطلاق المحض في الحريّة بمعنى اخراجها عن كل حدٍّ وتعريفٍ وقانون فذلك فيما نعتقد يردّها الى العتيدية بحكم انّ الطرفين يتلاقيان وانمّا المراد اظهار آثار القوانين الموضوعة والعادات المألوفة في حرية الانسان· فالقانون الحقّ لا ينقص من الحريّة ولا يزيلُ الاستقلال ولكنهُ يقيم لها حدودًا تقيهما الضعف والاضمحلال

وشرط الحقيقة في القانون ان يكون موضوعهُ الحرص على حقوق الكلّ والحفظ لحقّ الفرد ما لم يمسّ تلك الحقوق فالحكم يكون قانونياً لا من حيثُ انهُ يذهب بحرية فردٍ من القوم ولكن من وجه انهُ يحفظ حرية الكلّ. فلا ينبغي للقوانين ان تمسّ غير الذين المّوا بحقوق غيرهم من الناس. ولا يسوغ ان تؤثّر في شأن الوطن الاّ بمقدار ما يصيب من حقّ الجميع فهيَ من هذا القبيل معدّلةٌ للحرية لا ناسخةٌ ولا مبدّلة

ولا شكّ ان هذا الضرب من القوانين قد عُدّل وأُصلح في اكثر البقاع حتى كاد يبلغ في بعض الاقطار حدّ الكمال وحتى صار في المأمول وصوله الى ذلك الحدّ في سائر الامصار فقد نسخت آياتُ العدالة احكامَ الامتياز الفاضح القاضي لبعض الناس بالراحة كل الراحة وعلى بعضهم بالعناء كل العناء وابطلت احكامُ التبعة مراسيمَ الاستبداد الرافعة لبعض الناس الى مقام الالوهية والهابطة بسائرهم الى منزلة العجماوات. فلا يؤخذ اليوم الوفُ من الناس لمخالفتهم رأي واحدٍ ممّن يساكنون ولا يسجن الافراد ويُقتلون صبراً بلا محاكمةٍ ولا قانون الاّ عند الذين لا تزال شمس الحقائق محجوبةً عنهم بغيوم الاوهام فهم لا يبصرون

وليس الامر كذلك في القوانين السياسيّة فهيَ عند الاكثرين استبدادية اصلاً وفرعاً تحتجبُ فيها الحريّة بالوان الحكومات وتضعف بشهوات الامراء وتعوّهُ او تشوّهُ بثورات الشعوب. فمقتضى ماهيّة الحكومة ان لا حريّة فيما بُنيت احكامها عليهِ وموجب شهوة الحاكم ان الحرية قائمةٌ

بما مالت نفسهُ اليهِ · وغلطة الشعب في ثورتهِ محسنة لذلك الفساد من وجهيهِ

ولقد رأينا دعاة الحرية يحاولون الوصول الى غايتها الموهومة واهل الاستبداد من ورائهم يزاولون اعدام جرثومتها الطبيعيّة وما يفلحُ الفريقان فيما يعالجان ·· ربما اخطأَ اولئك من حيثُ يتوهمون الصواب وضعف هؤلاء من حيثُ يلتمسون القوّة · فقد بالغ (جان جاك روسو) في مقاومة الاستبداد وتأييد حرية الافراد ولكنهُ قيّد هذهِ الحرية بارادة الجمع فوقع فيما حاذر من العبودية · وظنّ غيرهُ من الباحثين ان الوطني يبادل ما يفقدهُ من حريتهِ الذاتية بما يحصل لهُ من الامن بالاحكام المدنية · وهي نزعة مستنكفة تنحصر بها القوّة في الحكم فيملك ما يريد اخذهُ من الحريّة وما يروم اعطاءهُ من الامن فيفضي بهِ الامر الى ترك الحريّة بلا ضمانةٍ والوطني بلا استقلال ولا يصحُّ بالنظر الى الحقّ ان يخرج الوطنيّ عن ان يكون حرًّا · فانهُ لا يعد الهيئة بوثيقة الاجتماع الا باعانة مماثليهِ وحفظ الوطن الذي نبذ احكامهُ فيهِ فهوَ في جمعيةٍ ضمانةٍ متساوية في الجانبين فاذا ساعد فيها الكلّ لم يخسر من استقلالهِ شيئًا الاَّ عوّض منهُ ولم يحصل لهُ من الكسب شيءٌ الاَّ كان مضمونًا

وكما انّ الحكام يريدون تقييد الحرية بما يتصوّرون من الاحكام · كذلك حاول بعض الناس اعدام الحكم والحكومة بما يتخيّلون من الاوهام · فالسلطة والحريّة متماثلتان في الحدّة يفضي بهما الخلاف الى الغضب

وتؤدي فيهما الصعوبة الى العداوة · ومن اجلِ ذلك رأينا ذوي الامر ميَّالين الى الاستبداد والشعوب الى الاطلاق · ومن اجلهِ كان ارباب الخطط الذين هم مظاهرُ السلطة بغضاء عند سائر القوم ومن اجلهِ كانت الرعيّة بمنزلة الاعداء عند المستبدّين

ومن المقرّر المتّفق عليهِ بين النَقدة الاحرار ان الحرية والمساواة متلازمتان فلا حرية مع الامتياز ولكن هنالك درجات عبوديةٍ من الامير الى احقر الرعية تتّصل دنياها بالرقّ ولا تصل علياها الى الحرية · ولا خفاء في ذلك لحدُّ الامتياز ان يعمل احد الناس ما لا يجوز لسائرهم وان يُحظر على الجميع ما يجوز لبعض الافراد بحيث لا يتمتّع الممتاز بمزيتهِ ما لم يمسّ حرية سائر القوم ولا ينال هؤلاء حريّتهم الّا بانعدام تلك المزية فالامتيازُ والحريّة متخالفان

على ان الامتياز منافٍ للقوّة الحاكمة ايضاً بما فيهِ من اخراج بعض الناس عن دائرة الحكم الكليّ وتخويلهم من ذلك حقّاً غير طبيعي يكون حكماً على الحكم فهوَ عدوّ الحرية والحكومة معاً يظاهر المستبدّين على الشعوب وهؤلاء على المستبدّين ثمّ لا يتّحد باحد الفريقين في حال

ولكن ليست المساواة مبدأ الحريّة وانما هيَ نتيجتها الطبيعية فان لم توجدْ فلا تكون تلك حقيقة بل اذا ظهرت الحريّة يظهرها الحقّ بين الذين تولّاهم الامتياز خالوا انها بدعة منكرة وما هيَ في شيءٍ من ذلك ولكن بدعة الامتياز اخفتْ عنهم الحقّ وهم لا يشعرون

فمما تقدّم يُعلم ان الحريّة السياسيّة بعيدةُ المنال عسيرةُ الكمال بل يكاد يمتنع تكاملها في فريقٍ من الناس بما تؤثّر فيها عوامل العادات والقوانين والاحوال والاخلاق الاجتماعية وانما تحصل منها ضروبٌ متنوعة تشبه ان تكون ضروباً من الامتياز ثمَّ تكثر وتمتدّ حتى يحصل منها الكلّ واحدٍ من القوم نصيبٌ فتعمّهم انواع الامتياز كأنهم جميعاً نبلاء ولو حصلت لهم الحريَّة الحقيقية لكانوا جميعاً متساوين

اقولُ هذا ولستُ اجهل ان الشرط او القليل او التمني لا يفيد شيئاً فقد مرَّت الوف الاعوام على جماهير الانام والحرية عند اكثرهم مجهولةُ المكان فما ابعدك من الكمالِ ايُّها الانسان

﴿ التعصب والتساهل ﴾

« وهي خطبةٌ القاها في جمعيَّة زهرة الآداب »

لقد جرى لفظ التعصّب على السنةِ اهلِ الانشاء العربي بمعنى الغلوّ في الدين والرأي الى حدّ التحامل على من خالفهما بشيءٍ فيما يدين وما يرى. واجريتُ ها هنا لفظ التساهل بمعنى الاعتدال في المذهب والمعتقد على ضدّ ذلك الغلوّ متابعةً للافرنج في لفظهم المعبّر عن هذا القصد (توليرانس)

ولا اجهلُ ان هذين الحرفين ـ لفظ التعصب ولفظ التساهل ـ غير

وافيين بالمراد منهما اصطلاحاً وان في ايلاء الاول معنى الغلوّ في الدين والرأي توسعاً عظيماً وفي اشراب الثاني ضدّ ذلك المعنى خروجاً عن الحدّ اللغوي ولكنّ للاصطلاح حكماً نافذًا يسوق الالفاظ الى المعنى الغريب فتنقاد فاذا مرّت عليها الايّام وصقلتها الالسنةُ والاقلام جاءت منطبقةً عليهِ بلا ابهامٍ ولا ايهام

وحدّ التعصب عند اهل الحكمة العصرية غلوّ المرء في اعتقاد الصحة بما يراهُ واغراقهُ في استنكارِ ما يكون على ضدّ ذلك الرأي حتى يحملهُ الاغراق والغلوّ على اقتياد الناس لرأيهِ بقوّة ومنعهم من اظهار ما يعتقدون ذهاباً مع الهوى في ادعاء الكمال لنفسهِ واثبات النقص لمخالفيهِ من سائر الخلق

وحدّ التساهل عندهم رضى المرء برأيهِ اعتقادَ الصحة فيهِ واحترامهُ لرأى الغير كائناً ما كان رجوعاً الى معاملة الناس بما يريد ان يعاملوهُ فهوَ على اثباتهِ الصواب لما يراهُ لا يقطع بلزوم الخطاء في رأي سواهُ وعلى رغبتهِ في تطرق رأيهِ للاذهان لا يمنع الناس من اظهار ما يعتقدون

فمن تبيّن هذين الحدّين بصيرًا سليم العقل طليق الذهن من إسار الوهم حار لا شكّ في كثرة مَنْ يراهُ من اهل التعصب على قلّة من يمرّ بهِ من المتساهلين . وعجب وحقّ لهُ العجب من بني نوعهِ كيف يداخلهم التعصب فيما يعتقدون وما يرون وقد عجزت افهامهم عن ادراك الكثير من اسرار هذا الوجود وقام لهم في كلّ حركةٍ وكلّ سكنةٍ من افكارهم

دليلٌ على امتناع الكمال على الانسان وكان لهم في تعصّب الاولين عبرة لو كانوا يعتبرون

الم يروا كيف تعاقبتِ المذاهب وتوالت الآراء وتتابعت قضايا العلوم الانسانية معدودةً في عصورها من الحقائق وفيما يلي تلك العصور من الاوهام . ولا اذكرُ العقائدَ الدينيَّة متسلسلةً من بوذا الى زرودشت الى كونفوشيوس الى سائر دُعاة الدين كراهةَ ان يتوهم فيَّ قصدها بالذات بل حسبي الاشارة الى تعاقب الوهم والحقيقة والخطاء والصواب في قضايا العلم عبرةً للمتعصّبين

الَمْ يكن القول بسكون هاتهِ الارض قضيَّةً مسلَّمةً وبدورانِ الشمس من حولها حقيقةً معلومةً وبانقسام البسيطة سبعة اقاليم علماً يقيناً اوَ لم يكن طبّ ابقراط الهاماً وفلسفة ارسطوطاليس كشفاً وتعبير ابن سيرين حقًّا فماذا نقول رمُ الذين تعصّبوا لهاتهِ الاوهام على مَنْ كان في ريبٍ منها فالزموهُ الصمتَ والخسف وعاملوهُ بالشدّة والعنف حرصاً على ما يتوهمون من الحق والحقّ بريءٌ منهم لو يعلمون

ولقد رجعتُ الى المحفوظ من اخبار الامم حتى بلغت الحدَّ الذي يدخل التاريخ منهُ في ظلمات الريب والخفاء فما مرَّ بي جيلٌ من الناس ولا حقبةٌ من الزمان الا رأيتُ من آثار التعصب في الدين والرأي ما ينقبض لهُ الصدر استنكافاً وتثور منهُ النفس استنكاراً ثمَّ عدتُ الى الفطرة الانسانيَّة لاستكشافِ العواطف الطبيعيَّة فرأيت فيها من السذاجة

والسلامة ما ينطبقُ على حكم التساهل من كلّ الوجوه فعلمتُ ان التعصب على قدم وجودهِ حادثٌ طارئٌ على الانسان تولّد عن مفاسد الرئاسة في الجماعات وتأصل بالعادةِ والتقليد حتى صارَ في النفوسِ من الملكات · يظهر ذلك لِمَنْ تدبر قِدَم التعصب في جنب خروجهِ عن الطباع ويعلمهُ مَنْ تأمل احوال الرئاسة في صدور هيئات الاجتماع

ولعلّي اوجزتُ واجملتُ والامر محتاجٌ الى الايضاح والتفصيل فاقول: قد اجتمعت آراء المتفكرين على ان الرئاسة قد حصلت بداءة بدء للمتمولين او الاقوياء وفي الحالين لم يأمن الروساء على سطوتهم ان تزول بفقدِ الثروة او انحطاط القوّة فالتمس النبهاء منهم تأييدها بما لا تؤثر فيهِ النوازل ولا يضعفهُ كرور الايام فوضعوا للجماعات احكاماً كلّ رئيسٍ وما توهم فيهِ المصلحة او ما رأى ميل قومهِ اليهِ فرضي كلٌّ اناسٍ مشربهم وقالوا هذا هو الحق الذي لا ريب فيهِ وقال غيرهم من الاقوام بل الحقّ ما نحن عليهِ فانتم في ضلالٍ مبين فوقعت بينهم الاحن وشبّت اعقابهم على العداوات حتى قويت روابطُ الاوهام فتقطّعت صلاتُ الارحام فصار من الفضيلة ان يقتلَ الانسانُ اخاهُ إن خالفهُ فيما يراهُ وامتلأت رؤوس الخلق عناداً فملأوا الارضَ فساداً فعدَّت المظالم عدلاً وسُمّيت المذابح جهاداً

ولا احاول استيعاب المفاسد والنوائب التي نشأت عن التعصّب في الدين والرأي فذلك تأريخُ الحروبِ والفتن والغاراتِ والمهاجرات من صَدرِ الاجتماع الانسانيّ الى المائة السالفة في بلاد الغرب والى هذهِ الايّام

في بلاد الشرق · بل الغرب على انتشار العلوم فيهِ وحصول الحرية لا كثرِ ساكنيهِ لم يخلُ الى الآن من آثار ذلك الداء العياء

نعم لا نرى فيهِ الان افرادًا وجماعاتٍ من الناس يذوقون الوان العذاب ثمَّ يُقتلون صبرًا شهداء ما يعبدون كما وقع لاهلِ النصرانيَّة في دولة الرومان ولا نجد الوفًا من السكان المستأمنين يخرجون من ارضهم بالقوّة او تُهدر دماؤهم لاستمساكهم بما كان يعبدُ اباؤهم كما جرى لليهود في اسبانيا ولا نبصرُ ديوانَ عقابٍ ونقمةٍ يحكمُ بالتشهير والحدّ والتعذيب والموت على مَنْ اتّهم بالشك فى رواية المجاذيبِ عن بعض النساء عن بعض الاطفال كما كان ديوانُ التفتيش في كثيرٍ من الممالك الافرنجيّة · ولا نلفي مئات الوفٍ من نبهاء الخلق الامناء الصادقين يبيتون في منازلهم ويؤخذون بالسيف تقتيلاً لمجرّد انهم يفهمون من آي الكتاب خلاف ما يفهم غيرُهم من الناس كما حلّ بالبروتستنت عام ١٥٧٢ في بلاد الفرنسيس ولا نجد ايضاً جماعاتٍ من الخلق لا يستطيعونَ النطقَ بما يعتقدون ولا الظهورَ بما يعبدون ولا افرادًا من الجماعةِ يُعاقبون بالسجن او التبعيد لانهم يأكلون الباب حيوانهم في زوايا اكواخهم يوم يأكل سادتُهم الوان الاسماك الشهيّة ويشربون معتقة الخمور في غرَف القصور·

نعم لا نرى كلّ ذلك في الغرب الآن ولا نكاد نبصرهُ في الكثير من اقطارهِ مأخوذًا بما اوضح من رأيهِ وما اشاع من مذهبهِ وان خالف رأي الاكثرين ولكن هذا التساهل في الهيئات ارسخ منهُ في الافراد الاَّ الذين

تطهّروا من ادرانِ التقليد وسلموا من عللِ الاوهام وغالبو الملكات الحاصلة عن العادات وترفعوا الى مقام السذاجة الاعلى وقليلٌ ما هم

والاَّ فما هذا الذي نراهُ من التحامل على بقايا آلِ اسرائيل في بلاد الروس والالمان وما ذلك الذي مرَّ بنا من مظاهر الإِحن بين الكاثوليك وغيرهم في تلكَ البلاد وماذا الذي نسمعُ بهِ الآن من الخلاف والشقاق بين الشيَع المتباينة في فرنسا وايطاليا وبلجيكا وغيرها من اعرق البلاد في التساهل والحريَّة

أَلا اقصّ عليكم اخواني شيئًا ممّا تبيّن من محاكمة المتّهمين بالفتنةِ التي جرت منذ نحو شهرين في بلدِ (منسوليمين) بوطنِ الفرنسيس :

تبيَّن من تلك المحاكمة ان اصحاب المعدن في ذلك البلد (والبلد عبارةٌ عن المعدن والعاملينَ فيهِ) كانوا اذا رأوا من احدِ الفعلة فتورًا في العبادة او ضعفًا في العقيدة التي يعتقدون ضربوا عليهِ الغرامة اجرة يومٍ ويومين وما فوق واذا ظهر عليهِ انحلال العقيدة طردوهُ من المعمل رأسًا اي حكموا عليهِ بالفاقة وعلى عيالهِ بالجوع واذا ماتَ ذلك المنحلّ العقيدة فشيّعهُ صاحبٌ لهُ من رفقاء اتعابهِ الى القبر عاقبوا المشيّع بمثل ذلك العقاب وهُم هُم في البلد الذي افتدى اهلهُ بدمائهم حريّة السعي وحريَّة الرأي وحريَّة القول فما الظنُّ بغيرهم من اهلِ سائر الاقطار وما الظنُّ بنا نحنُ الذين كان من نعم الله علينا أن وُجدت بلادنا المقدسة مهبطًا للوحي ومقامًا للعقائد الدينيّة من عهد موسى صلواتُ الله عليهِ الى هذه الايَّام

بل ما الظنُّ بنا ونحنُ احرص الناس على تعاليمِ السلفِ الكرام فيما لا يمسُّ جانبَ النفع الادبيّ ولا يتصل بطَرفِ الفائدة الحسيَّة حتى انَّ معارف علمائنا في هذهِ الحقبة لتشاكل بالحرفِ معارف آبائهم من ثلاثمائة عام وتنحطّ بالضعف عمَّا كانت عليهِ معارفهم من الف عام وما الظنُّ بنا ومثلي متكلماً بهذا الموضوع في مثل هاتهِ الجمعيَّة الزاهرة يخاف معاذ الله ان لا يجد لديكم استحساناً · لا جرَم انَّا اسعد خلق الله في اسعد بلادِ الله فالحمدُ لله ثمَّ الحمدُ لله

وقد سبقَ القول في حدّ التساهل انهُ رضى المرء برأيهِ اعتقادَ الصحة فيهِ مع احترامهِ لرأي سواهُ · وهذا وان كان من الواجبات البديهيَّة والقضايا المسلَّمة عند ذوي العرفان الا انهُ لسوءِ الحظّ كغيرهِ من سائر الواجبات ترشد الحكمةُ اليهِ ولكن تغلب الشهوة عليهِ حتى لا يكاد يوجدُ في الانسان الاَّ عند العجز عن مجاوزة حدّهِ لمجاورة ضدّهِ فهوَ كالحريَّة يشتاقها الانسان مرؤوساً وينكرها رئيساً وكالزهادة يقبلُها سقيماً وينبذُها معافىً سليماً فلا يثبت على تغيّر الاحوال الاَّ عند ذوي النفوسِ الكريمة والطباعِ القويمة وما هم بكثير

فلكمْ رأَينا من فئةٍ مستضعفين يطلبونَ التساهل ويدعون اليهِ بكلّ لسان ويثبتون لهُ الوجوب من كلّ الوجوه فلمَّا أن قامت دولتهم وقويت شوكتهم وصار اليهم الامرَ والقوة كانوا من الغُلاة المتعصّبين · وهذهِ تواريخُ العقائد الدينيَّة والمذاهب الفلسفيَّة والطرائق السياسيَّة فيما تعاقب

عليها من القوّة والضعف والقبولِ والرفضِ شاهدةٌ بصحة ما اقول لا يقفُ النظر على صفحةٍ منها الاَّ رأى المتساهلَ في ضعفهِ متعصباً يومَ قوّتهِ والمتلاينَ في حالِ خسفهِ متشدّداً في دولتهِ . ولذلك لم يرضَ الحكماءُ من التساهل بان يكون صادراً من اللسان مراعاةً لاحكام الضرورة او من عاطفةِ القلب ميلاً الى المعاملة بالاحسان بل اوجبوا فيهِ الاعتقادَ بتحتمهِ على الانسان علماً منهم بانهُ يكون في الحالة الاولى متعلّق الوجود ببقاء تلك الضرورة والضرورات قابلة الزوال وفي الحالة الثانية متوقّف البقاء على وجود تلك العاطفةِ والعواطفُ لا تستقرّ على حال ومثل هذا الواجب الادبيّ الحقّ لا ينبغي ان يُناط بهاتهِ الاسباب الواهية وتلك العُرى القريبة الانحلال وانمّا اللازم فيهِ تقييدهُ بمبداء متينٍ من الحق وتأْييدهُ بعمادٍ مكينٍ من اليقين بحيث يعلمُ المتساهلُ مع مخالفيهِ فيما يظهرون من آرائهم وما يعلنون من مذاهبهم انهُ لا يفعل ذلك رهبةً منهم ان كانوا اقوياء ولا شفقةً عليهم ان كانوا ضعفاء ولكن قياماً بواجبٍ من العدل والحق

قال احد كتَّاب الفرنسيس في هذا الموضوعِ ما معناهُ :

« وجب التساهل على الانسان من ثلاث جهات من جهة نفسهِ ومن جهة ابناء جنسهِ ومن جهة الحقيقةّ والحقيقة هيَ الله »

فامَّا من جهة النفس فلانهُ من واجباتنا الادبيَّة التماس العلم والحكمة في ايّ وعاء خرجا واصلاح ما عسانا ان نكون عليهِ من الخطاء وكيف يحصل لنا ذلك ان سددنا افواه الناطقين ظلماً واستبداداً ولم نسمع

ما يقولون لننظرَ في اقوالِهم ونعتبر آراءنا بآرائهم

قال فيكتور هيكو :

كلُّ انسانٍ كتابٌ يكتبُ اللهُ سطورَه

ويقول العاجز

وكذا البحث زنادٌ قادحٌ للحقِ نورَه

كيفَ لا وفي اقوالِ احقر الناس وآراء اصغر الخلقِ عبرةٌ وفائدةٌ وعلمٌ جديدٌ للتأملين

وامّا وجوب التساهل على الانسان من جهة حقّ الناس عليه فلأَنَّ العدل الموجب للتكافوء يلزمهُ بقبول ما يريد ان يقبلهُ الناس منهُ سواء . ولمّا كان اول واجباتهِ الادبيّة التماسَ الحقّ والصواب وثانيها ايضاح ذلك الحقّ بالاقوالِ والاعمال كانَ من الظلم القبيح ان يمنع غيرهُ من ابداء ما يظنهُ ذلك الغير صحيحاً ومن العسف المُنكر ان يشوّش عليه ما يلتمسُ من الحقّ بالاغتصاب او الارهاب المانعين من التفكير

وامّا وجوب التساهل من الجهة الثالثة جهةَ الحقيقة الخالصة فقد اثبتهُ العقل ولم تنفهِ نصوصُ الاديان بل ايدتهُ في مواضع لا تُعدّ قال ترتليانوس الكلامي ليس من البر ولا التقوى ان تُسلب حريّة الناس في امور الدين فانَّ الله سبحانهُ وتعالى منزّهٌ عن ان يريدَ أن يُعبد اضطراراً

وقال يوستنيانوس القديس : اشدّ ما يخالف الدين نكراً ان يحمل الناس عليهِ قهراً . وفي : لكم دينكم ولي ديني . وفي : لا تجادلوهم الاَّ بالتي

هي احسن بلاغٌ للمتبصرين

فالذين يلتمسونَ الزلفى الى الله بالوعيدِ والتهويلِ والذين لا يريدونَ ان يُعبد الاَّ كما يريدون والذين يحاولونَ رسم آرائهم في القلوب والجباهِ بالحديدِ والنار كلٌّ هؤلاء يُغضبون الله ويكفرونَ بالحقّ ولا يشعرون · فان الحقيقة ليست باجنبيّةٍ ولا بعدوّةٍ لتُلقى على كاهل المرء الزاماً وانما نحن ضيوفها بالطبع فهيَ تُقبل علينا وتقف لدينا لنطلبَها عن رضى راغبين

وقال شيشرون خطيب الرومان : انمَّا نكون عبيد القانون لنصيرَ بالقانون احراراً

وفي الحديث المأثور كُنْ للحقِّ عبداً فعبدُ الحقِّ حرٌّ · وقول ذلك الخطيب الروماني ينطبق مقلوباً على ما نحن بصدده · فيقال فيه

يجب ان نكونَ احراراً لنخدمَ الحقَّ كما يجب والحقّ هوَ الله

وهذا دعاء المتساهلين نجعله للمقالِ ختاماً · يا بديعَ الصفات الهَ جميعِ الموجودات ما عرفناكَ حقّ معرفتك ولا اهتدينا بضيائك لحكمتك أَلهمنا في امورنـا رَشداً واسلك بنا سبيل الهُدى لنتعاون على احتمالِ النوائبِ الكثيرة في هاتهِ الحياة القصيرة ونعلم انّ الخلافَ الذي بينَ وقاء اجسامنا الضعيفة وبينَ لغاتنا القاصرة وبينَ عاداتنا السخيفة وبين احكامنا الناقصة وبينَ احوالنا المتباينة فيما نراهُ على استوائها لديك انّ جميعَ هاتهِ المميّزات بين هاتهِ الذرّات لا تكونُ من اسباب الإِحن والعداوات · فتَستوي عبادتُكَ برطانةٍ من لسانٍ قديمٍ مهجور وبغيرها من لسانٍ جديدٍ مشهور

ولا يميّز بينَ مَن يوقدُ الشمع نهارًا لدعائك ومَن يكتفي فيهِ بضياء سمائك وبينَ مَن يلبسُ لذلك الذهب والحرير ومَن يستقبلُ سماءك باطمارِ الفقير ويكونُ الذين ملكت ايمانهم قطعاً مدورةً من بعضِ المعادن متمتعين بلا تيهٍ بما يسمونهُ نعيماً والذين استولوا على نتفةٍ حقيرةٍ من بقعةٍ صغيرةٍ منتفعين بلا كبرٍ بما يحسبونهُ ملكاً مقيماً ويكون سائرُ الناسِ راضين بالموجود غير حاسدينَ على المفقودِ ويذكرُ ابناء الانسان انهم في الانسانيةّ اخوان فلا يمزّق بعضُهم بعضاً عنادًا ولا يملأُون الارضِ فسادًا . تجليلاً لك عمّا يقولُ الجاهلون وتنزيهاً لك عمّا يزعمُ المتعصّبون انك اعظم من أن تغضب واعزّ من أن ترضى واكرم من أن تنتقم واعدل من أن تعفو واكبر من أن تسرّ واجلّ من أن تساء تماثلتْ لديكَ الذوات وتساوتْ عندكَ الاشياء وانت في الكلّ وللكلّ سواء وقِنا العثرة مع المتعصّبين واحشرْنا في زمرةِ المتساهلين . امين . اه

اليونان الرومان

وهي خطبة القاها في جمعية زهرة الاداب

لو عُدّل تاريخ اليونان والرومان بتواريخِ سائرِ الامم في جميعِ الازمنة لكانَ اوسعَ منها مجالاً واوفر مادةً واكثر انتشارًا ولا بدع في ذلك فانّ هاتين الامّتين معدودتانِ بمنزلةِ الاصل الاوّل او الوسيلة المعروفة في وصولِ التمدنِ والعلوم الى الغرب حتى ان العلمَ بلسانيهما القديمين كانَ من

لوازم العالمية في جميع البلاد الاوروبية ولا يزال كذلك في الكثير منهـا الى الآن

ومن اجل هذا أقبلتُ على جمع شيءٍ من تاريخهما بقصد المقابلة بين ما نشأ عن كلٍّ منهما من الآثار النافعة والموازنة بينهما في الفضل والمقام المدنيّ لا اقصدُ بذلك غرضاً في النفس ولا اخرج فيهِ عن قسطاس التأريخ على ان المقام ضنكٌ فيما تعلمون وما هي الاَّ تجربة مبتديءٍ يعرضها لاخوانهِ ويسترها عن غيرهم من الناقدين

ولا بدَّ قبل الشروع في تأريخ الامتين من الاشارةِ الى جغرافية المملكتين لِما بين التاريخ والجغرافية من التلازم في كثيرٍ من الاحوال

فمملكة اليونان لم يحدّدها القدماء تحديداً شافياً جلياً وانمّا قسموها ثلاثة اقسام · البلوبونيزة جنوباً واليونان خاصةً في الوسط وتساليا شمالاً ثمَّ اضافوا اليها ايليرية الجنوبيةّ ومكدونية وثرافة والجزائر اليونانية · هذا حدّ ما بلغ تقسيمها الاصليّ على انهُ كان لدولها املاكٌ كثيرة في سائر اقسام الارض بما فتحتْ من الامصار وما اكتشف رجالها من الاقطار وما استعمرتْ نزّالاتها من الديار

وقد اختلفَ تقسيمها عن ذلك عقيب موت بلويس وفي خلالِ حرب تروادة وحرب البلوبونيزة الى أن دخلتْ في ولاية الرومان عام ١٤٦ للميلاد فصارت ايالةً اوقنصليةً رومانيةً وسُمّيتْ اخائية ثمَّ صارت في زمنِ اغستس ولايةً سناتيةً اي لاحقةً بمجلس السنات

ولمّا قُسمت السلطنةُ الرومانيّة في زمنِ قسطنطين دخلتْ مملكةُ اليونان في سلطنةِ الشرق ومـا برح اسمُها مع ذلك اخائية ثمّ صارت مع مكدونية في النصف الثاني من القرنِ الرابع مملكةً براْسها الى أن استولى الصليبيّون على القسطنطينيّة فجعلوها اماراتٍ متعددة لغيرِ واحدٍ من رؤساء جند البندقيةً وجنوى ولمّا فتح العثمانيون القسطنطينيةً استولوا على معظم تلك البلاد ثمّ تمّ لهم امتلاكها جملةً فجعلوها ولاياتٍ اربعاً· ولاية تسالونيكية· وولاية يانينة· وولاية ليوادية· وولاية المورة اوثريبوليبزة· فبقيتْ على هذهِ الحال بلا تغييرٍ يُذكر الى ان كانت سنة ١٨٢١ فنشط اليونانُ لطلبِ الاستقلال فتسنَّى لهم ذلك بمساعدة بعضِ الدول العظام فصارتْ بلادهم مملكةً مستقلةً تمتدّ من الغرب الى الشرق من جون ارتا الى جون فولو ويحدّها من الشمال بلاد الدولة العثمانيّة في اوروبا ومن الشرق والشمال الشرقيّ الجزائرُ المعروفة بالارخبيل ومن الجنوب البحر المتوسط ومن الغرب بحر اليونان وطولها ٢٥٠ كيلومترًا وعرضها مئتان

امّا مملكةُ الرومان او ايطاليا القديمة فقد كانتْ منذ القرن الرابع قبل الميلاد مقسومةً ثلاثة اقسام غالية· او غولة السسلبية في الشمال· وايطاليا خاصةً في الوسط· واليونان الكبرى في الجنوب· فكان يحدّها شمالاً· مسكرا وابنين واوتيس· وغرباً· البحر المعروف بالداخلي· وجنوباً· سيرانوس وفرنتو· وشرقاً· بحر الادرياتيك· ثمّ قُسمتْ في زمن الجمهورية سبع ولاياتٍ وفي زمن الامبراطورية احدى عشرة ثمّ غيّر ادريانوس هذا التقسيمَ فجعل المملكةَ

ولايتين اثنتين . ولمّا مات قسطنطين وقُسمت المملكةُ من بعدهِ اطلقَ على ولايتين من سلطنةِ الغرب اسمَ ايطاليا ولم يكن كلٌّ ما فيهما من البلاد منها وبعد اضمحلالِ سلطنة الغرب قُسمت ايطاليا بين يوستنيانوس الثاني امبراطور الشرق واللمبارديين

هذا حدّ ايطاليا القديمة اي نفس بلاد الرومان امّا الاقطار التي آلت اليهم بالفتحِ والاستعمار فما لا يكاد يدخل الحصر لتشعّبهِ وكثرتهِ وتعاقب انواع التقسمُ فيهِ

ولنعد الى اليونان لذكرِ شيءٍ من تاريخهم فنقول . سُمي اليونان اولاً انستيين اي اهل تربةٍ واحدةٍ وهم في الاصل قبائل وبطونٌ من البلاسجيين ولا يُعرف اصلهم في ما وراءَ ذلك ولكنّ الاكثرين على أنهم جاليةٌ من آسية الصغرى

وقد كانوا قبل عام ٢٠٠٠ قبل المسيح في حالةِ البداوة والخشونةِ ولم يذكر التاريخُ لهم من مدينةٍ قبل سيسيون التي اختطّها اجبالةُ في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ثمّ انتهم اقوامٌ من مصر وفينيقية باسبابِ الحضارة والمدنيّة فاختطّ ايناكوس وابنهُ فوروني منهم مدينة اركوس وشرع اسبرتونُ في بناء مدينة اسبرتة عام ١٨٨ ولم تتم على عهدهِ وانما كمل بناؤها على يد ليلبكس عام ١٧٤٢ وبعد ذلك ظهر الهيلانيون الذين يُطلق اسمهم على امّة اليونان الى هذهِ الايام فاستولى رجلٌ منهم يقال لهُ سيرو يس على اثينا سنة ١٦٤٣ وآخر يقال لهُ دكايون على تسالونيكية عام ١٦٣٥ وحكم

كوموس في ثيبة عام ١٠٨٠ ودانوس في اركوس عام ١٥٧٢ ومينوس في كريت عام ١٥٠٠ وهذهِ العصور معروفة فيهم بايَّام الابطالِ لما حصل فيها لبلاد اليونان من المجد والسوءددِ والفلاح في الزراعةِ والصناعات وفيها أُدخلت بتلك البلاد مذاهبُ المصريين والفينيقيين وسنّت لاهلها القوانين والشرائع وظهرت فيهم سطوةُ الهراقلة فاستولوا على البلوبونيزة فاتاها الهيلانيون الذين كانوا اصحابَ تسالية واقاموا بها في ولاء الهراقلة الى أن امتلكوا على يد اولاد بلويس عام ١٣٠٧ ثم كانت حروب ترواده التي بالغ شعراوءهم في وصفِها وذكر شجاعة المقاتلين فيها حتى امتزجَ في تاريخها الصدق بالخرافات وانتهت عام ١١١٠ ثمَّ حصل الوفاقُ بين الهراقلة والهيلانيين فاستولوا ثانيةً على البلوبونيزة واخرجوا سكانها بقوّة وكان ذلك ابتداء عصر اليونان المعروف بالوسط وهوَ الذي وقفت فيهِ حركة نجاحهم المدنيّ الى أن عاودتهم الغيرة فبعثوا بملاَّحيهم الى سواحل آسية الصغرى وايطاليا والغولة وهسبانية وسارت ركبانهم باشعارِ هوميروس العجيبة التي ترفع الذهن بقوّة التصوّر الى ما فوق رتبة الانسان فاتّسع فيهم نطاقُ الادب وجدَّ بهم الحرص على العلوم والعقائد حتى صار لكلّ بلدٍ من اقطارهم معبودٌ مخصوصٌ بذلك البلد ووضع لهم ليكرغوس القوانين في اسبرتة عام ٨٩٨ وقامت الجمهوريات في مدنهم لاقامةِ امور العدل فأُلغي المُلك في اثينا عام ١١٣٢ وفي اركوس عام ٨٢٠ وفي البيدة عام ٧٨٠ وفي قرنتية سنة ٧٤٧ وفي ارقادية ومسينة عام ٦٦٨ ولم يبقَ محفوظًا الاَّ في اسبرتة

ولايتين اثنتين . ولمّا مات قسطنطين وقُسمت المملكةُ من بعدهِ اطلقَ على ولايتين من سلطنةِ الغرب اسمَ ايطاليا ولم يكن كلّ ما فيهما من البلاد منها وبعد اضمحلالِ سلطنة الغرب قُسمت ايطاليا بين يوستنيانوس الثاني امبراطور الشرق واللمبارديين

هذا حدّ ايطاليا القديمة اي نفس بلاد الرومان امّا الاقطار التي آلت اليهم بالفتحِ والاستعمار فما لا يكاد يدخل الحصر لتشعبّهِ وكثرتهِ وتعاقب انواع التقسمُ فيهِ

ولنعد الى اليونان لذكرِ شيءٍ من تاريخهم فنقول . سُمّي اليونان اولاً انستيين اي اهل تربةٍ واحدةٍ وهم في الاصل قبائل وبطونٌ من البلاسجيين ولا يُعرف اصلهم في ما وراء ذلك ولكنّ الاكثرين على أنهم جاليةٌ من آسية الصغرى

وقد كانوا قبل عام ٢٠٠٠ قبل المسيح في حالةِ البداوة والخشونةِ ولم يذكر التاريخُ لهم من مدينةٍ قبل سيسيون التي اختطّها اجبالةُ في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ثمّ انتهم اقوامٌ من مصر وفينيقية باسبابِ الحضارة والمدنية فاختطّ ايناكوس وابنهُ فوروني منهم مدينة اركوس وشرع اسبرتون في بناء مدينة اسبرتة عام ١٨٨ ولم تتم على عهدهِ وانما كمل بناؤها على يد ليلبكس عام ١٧٤٢ وبعد ذلك ظهر الهيلانيون الذين يُطلق اسمهم على امّة اليونان الى هذهِ الايام فاستولى رجلٌ منهم يقال لهُ سيرو يس على اثينا سنة ١٦٤٣ وآخر يقال لهُ دكايون على تسالونيكية عام ١٦٣٥ وحكم

كوموس في ثيبة عام ١٠٨٠ ودانوس في اركوس عام ١٥٧٢ ومينوس في كريت عام ١٥٠٠ وهذهِ العصور معروفة فيهم بايَّام الابطالِ لما حصل فيها لبلاد اليونان من المجد والسوءددِ والفلاح في الزراعةِ والصناعات وفيها أُدخلت بتلك البلاد مذاهبُ المصريين والفينيقيين وسُنّت لاهلها القوانين والشرائع وظهرت فيهم سطوةُ الهراقلة فاستولوا على البلوبونيزة فاتاها الهيلانيون الذين كانوا اصحابَ تسالية واقاموا بها في ولاء الهراقلة الى أن امتلكوا على يد اولاد بلويس عام ١٣٠٧ ثم كانت حروب ترواده التي بالغ شعراوءهم في وصفِها وذكر شجاعة المقاتلين فيها حتى امتزجَ في تاريخها الصدق بالخرافات وانتهت عام ١١١٠ ثمَّ حصل الوفاقُ بين الهراقلة والهيلانيين فاستولوا ثانيةً على البلوبونيزة واخرجوا سكانها بقوّة وكان ذلك ابتداء عصر اليونان المعروف بالوسط وهوَ الذي وقفت فيهِ حركة نجاحهم المدنيّ الى أن عاودتهم الغيرة فبعثوا بملاَّحيهم الى سواحل آسية الصغرى وايطاليا والغولة وهسبانية وسارت ركباُنهم باشعارِ هوميروس العجيبة التي ترفع الذهن بقوّة التصوّر الى ما فوق رتبة الانسان فاتَّسع فيهم نطاقُ الادب وجدَّ بهم الحرص على العلوم والعقائد حتى صار لكلّ بلدٍ من اقطارهم معبودٌ مخصوصٌ بذلك البلد ووضع لهم ليكرغوس القوانين في اسبرتة عام ٨٩٨ وقامت الجمهوريات في مدنهم لاقامةِ امور العدل فأُلغي المُلك في اثينا عام ١١٣٢ وفي اركوس عام ٨٢٠ وفي البيدة عام ٧٨٠ وفي قرنتية سنة ٧٤٧ وفي ارقادية ومسينة عام ٦٦٨ ولم يبقَ محفوظًا الاَّ في اسبرتة

ثمّ أُدخلت الى اثينا شريعةُ دراكونوس عام ٦٢٤ وشريعةُ صولون ٥٩٠ ووقعت الحروبُ الماديّة عام ٤٩٠ فبلغ ابطالُ اليونان فيها مقاماً تنخفض لمثلهِ رؤوسُ الابطال

وفي خلال ذلك نبغ فيهم العلماء وظهر منهم الحكماء الذين فُتحَ عليهم بما كان مغلقاً على سائرِ الناس فاخرجوا الاذهان من ظُلمات الجهالة ومهّدوا سُبلَ الخروج من دياجرِ الضلالة فاشتهر اشيل وسفقليس واوريبدس بفنّ التراجيدية البديع وظهر ارستوفانوس بفنّ الكوميدية البهي ونبغ هيرودوتوس وتوقيديدس في صناعة التاريخ وبدأت آثارُ الحكمة والفلسفة من تاليس وذيموقريطس الذين يُنسب الذيموقراطيون اليهِ ومن فيثاغوروس وبرمنيدس وهرقليدس وانكساغورس فأُنشئت على يدهم مدارس الحكمة الخالدة الآثار وابدع ابقراط في الطبّ وهوَ واضعُ اصولهِ واوّل كاتبٍ فيهِ بلغ من العلم بهِ الى حدّ ان عدَّ علمهُ وحياً وبقي من بعدهِ ستمائة عام لم يزد واحدٌ عليه حرفاً الى أن ظهر جالينوس فاخذ ما كتبهُ ابقراط وهذّبهُ وزاد فيهِ

وظهر سقراط وافلاطون وارسطاطاليس حكماء الارض غير معارَضين واشتهر فيدياس مصلح الهندسة العظيم وبرقليسُ الخطيبُ البليغُ الذي ولي الامر في اثينا ثلاثين عاماً وغيرهم كثيرٌ من العلماء والحكماء والفضلاء الذين ابقوا لبلادِ اليونان مجداً ثابتاً على مرور الزمان

ثمّ اختلّت امورُ اليونان الداخليّة بما نالهم من النشوةِ بالنصرِ في

الحروب الخارجية فوقعت حربُ البلوبونيزة ودامت فيهم سبعاً وعشرين سنةً ثمَّ اجلت عن حصول الامتياز لاسبرتة على سائرِ البلاد اليونانية ثمَّ وقع الاتفاقُ بين تلك البلاد على ضدّ لقدمونية وعَظُم شأن اثينا باعمال كولون وافقراط ولكن انتالسيداس واثقَ الفرس ميثاقاً دنيئاً عائباً عام ٣٨٧ فكان ذلك سبباً في قيامِ اليونان على اسبرتة

ثمَّ جرت الحربُ المعروفة بالمقدّسة على ضدّ الفوقيين الذين احرقوا هيكل ذلفة عام ٣٥٥ فكانت وسيلةً لتدخل فيليب صاحب مكدونيا في امور اليونان فانتهزها فرصةً لادخالهم في طاعتهِ فقاومهُ دموستين اشدّ المقاومة وذادهُ اليونان عن انفسهم مـا استطاعوا ثمَّ دانوا لهُ بعد يوم شيروني عام ٣٣٨ واستمرَّت فيهم الحروب الاهليَّة بعد ذلك حتى وهنت قواهم وعَظُم اختلال احوالهم وضعُفت مستعمراتهم من قلّة المدد فباغتهم الرومان على هذهِ الحال من الوهن واستولوا على ايليرية عام ٢٢٩ ثمَّ نازلوا مكدونية عام ١٦٨ وامتلكوها عام ١٤٧ وصارت بلادُ اليونان ولايةً رومانيّةً عام ١٤٦ ومذ حينئذٍ لم يبقَ لتاريخ اليونان شأنٌ يُذكر لما انهُ دخل في تاريخ الرومان

ثمَّ لمَّا شُطرت السلطنةُ الرومانيّة في القرن الرابع للميلاد أُدخلت بلاد اليونان في سلطنةِ الشرق وأَخذت هاتهِ السلطنة في التلاشي من توالي هجمات البرابرة من الوسغوط والوندال والاستروكوت والبلغار وغيرهم ثمَّ زحفت العربُ اليها في القرن التاسع وتلاهم البلغارُ في العاشر فلم يفوزوا منها بطائل ثمَّ نازلها فادكسكار بالنورمنديين عام ١٠٨٠ ثمَّ قامت بها

الدولة اللاتينيّة فجعلتها عدّة اقسام لامراء من الصليبيّة يتولونهــا في حماية صاحب القسطنطينيّة الى ان تمّ الفتح الكبير للسلطان محمد الثاني عام ١٤٥٣ فاستولى القائد عمر باشا على اثينا عــام ١٤٥٦ ودافع اسكندر بك المشهور عن استقلال ايبرة الى ان مـات فوقعت بيد العثمانيين عام ١٤٦٧ ثمّ دانت لهم المورة سنة ١٤٦٠ و بقي اليونان في ولايةِ الدولة العثمانيّة قرنين الاّ قليلاً وفي ولاية الاجنبيّ من قبلها خمسة عشر قرناً صابرين ذاكرين مجدهم السابق مترقبين الفرص لاعادةِ الاستقلال حتى آن الوقت فنشطوا من العقال وشقّوا عصا الطاعة واعانتهم بعض الدول الاوروبوية فتمّ لهم الاستقلال وصار لهم مملكةً معروفةً بهم عام ١٨٣٠

امّا سلطنة الرومان فخلاصةُ تاريخها انّ ايطاليا كانت معروفةً منذ القديم باسم ساترنية ثمّ حلَّ بها قومٌ من الاركاديين تحت لواء (انوتروس) قبل حرب ترواده بار بعمائة سنة فسُمّيتْ (انوترية) ثمّ استولت عليهــا قبيلةٌ غير تلك من الاركاديين تحت قيادةِ (افندر) الذي خرج من البلو بونيزة مطروداً

وكان سكّانُها الاوّل من البلاسجيين والابوريجيين واللبرنيين ثمّ اتاها الهيلانيون من اليونان وجاءَ بعدهم اقوامٌ من الغاليين فكانت لهم مستقراً مكيناً الى ان اتاها بلوفير في القرن السادس قبل الميلاد فضعفتْ شوكتُهم ومالتْ سطوتُهم الى الهبوط

وكانت رومية عامرةً منذ اختطّها قومٌ (الني) عام ٧٥٣ قبل الميلاد فلمّا

ضعف امرُ الغاليين عدا اهلُها عليهم فدانوا لدولتهـا خاضعين ثم سار اهل رومية على الملك تركين الملقّب بالكبير عام ٥٠٩ قبل المسيح فخلعوهُ واقاموا لانفسهم حكماً جمهوريًا فكانت هذه الثورة سبباً في تاخير ظهور آثارهم مائة وستين عامـاً على انهم جدوا بعد ذلك في سبيل المجد حتى بلغوا منه غاية لاتدرك

وكان في تلك البلاد على ذلك العهد ثلاث قوى عظيمة الشأن قوة الغاليين في الشمال وقوة السمنتيين في الجنوب وقوة الرومان اي اهل رومية فنمت هذه القوة الاخيرة بعد استحكام جمهوريتها وانتظام جنديتها فاقامت الحرب على ساقها من سنة ٣٩٥ الى سنة ٣٥٠ ومن سنة ٣٤٣ الى سنة ٢٦٧ قبل الميلاد فخضع لها السمنيتون واستولت على بلاد الوسط والجنوب من ايطاليا ثم انصرفت الى محاربة الغاليين على ارضهم المسماة بغالة السيسلبية فصبروا لها من سنة ٢٢١ الى سنة ٢٧٣ ثم وهنت قواهم فاستولى الرومان على بلادهم الاّ نواحي قليلة منها وصارت جمهوريتهم اعظم قوة في ذلك الاقليم بل اعظم قوة في الارض على الاطلاق بما حصل فيها من حب الشرف وحب الوطن وحفظ النظام العسكري فداخلها الطمع في غير ما ملكت من البلاد فانصرفت قوتها الى الفتوح واستولت على سردينيا وغولة اي بلاد الغوليين التي هي الان بلاد الفرنسيس وعلى قرطجنة وكانت بينهـا وبين انيبال قائد قرطجنة الكبير حرب ليست كالحروب اوشكت ان تكسر شوكتها وتبيد سطوتها وتجعلها على شفا الاضمحلال ولكن ساعدتها التقادير فنجت من ذلك القائد

وغلبت عليه فبلغت معارفها الحربية وقتئذٍ نهاية الكمال

ثم اخذت هذه المزية في الضعف بعد سنة ١٢٥ وضعف معها سائر معارف الرومان وشبت بينهم الفتن الداخلية فادت الى تغيير الحكم فصار ملكيًا ووسد بارادة مجلس الشيوخ الى اوكتاف فدعي اوغسطس ومعناه الامير وامبراطور ومعنـاه القائد الاعظم فابتدأ اوغسطس ملكهُ باعادة الراحة والامن فتم لهُ ذلك واجتنب الحرب الافيما اقتضاهُ تأمين حدود الملك الى ان مات عنهُ كاملاً محفوظًا فتولاّهُ خلفاؤُهُ من بعدهِ الى ان مات تيودوروس عام ٣٩٥ بعـد الميلاد فقسم شطرين امبراطورية الشرق وامبراطورية الغرب . فاما امبراطورية الغرب فكانت منقسمة خمسة اقسام بريطانيا وغاليا واسبانيا وايطاليا وافريقيا ثم قسمت هذهِ الاقسام اقساماً واندفعت عليها قبائل البرابرة من كل صوب فتلاشت بعد وجودها بمائة عام

واما امبراطورية الشرق فتاريخها يبتدئ بموت تيودوروس وينتهي باستيلاء العثمانيين على القسطنطينية عام ١٤٥٣ وفيهِ خمسة فصول الاول من سنة ٣٩٥ الى سنة ٥٦٥ وفيه اخذت ارمينية وسقطت امبراطورية الغرب

والثاني من سنة ٥٦٥ الى سنة ٧١٧ وفيه توالت عليهـا النوائب والمصائب فتمكن اللمبرديون من ايطاليا واستقر البلغار والصرب في جنوب الطونة واستولت العرب على سوريا ومصر وافريقيا وقبرص

والثالث من سنة سبعماية وسبعة عشر الى سنة ثمانماية وسبعة وستين وفيهِ ظهرت دولة ايزوريان ففقدت ما بقي للسلطنة من الملك في ايطاليا وادخل اليها اكرام الصوَر على يد سبعة من امراء تلك الدولة وتم انقسام الكنيستين الشرقية والغربية عام ثمانمائة وثمانية وخمسين فكانت رومية مركز هذه والقسطينية مركز تلك كما هو اليوم واخذت جزيرة كريد وصقلية وغيرها ووقعت الحروب البلغارية التي اضرَّت بسلطنة الشرق كثيراً

والقسم الرابع من سنة ثمانماية وسبعة وستين الى سنة الف وستة وخمسين وفيهِ ظهرت عليها علائم السقوط اذ هاجمها البلغار والروس والبشناق على انها استعادت بلاد البلغار والصرب وقبرص مرتين

والخامس من سنة الف وستة وخمسين الى سنة الف ومايتين وستين وفيه استولى السلاجقة على ثلثي آسيا الصغرى ومر الصليبيون بها وكانوا من الساعين في تدميرها ووقعت حرب النورمنديين فاستولوا على صقلية ثم مات كمنيتوس الاخير فازدادت المملكة ضعفاً فاستقل عنها الصرب والبلغار وعادت الصليبية الرابعة من القدس الى القسطنطينية فامتلكتها فصارت عاصمة مملكة لاتينية ثم نازلها الامبراطور ميخائيل باليلوغوس فاستردها لنفسهِ وبذل المجهود في اعادة المجد لهذا الملك وتلاه ولداه من بعده ولكن تعذر عليهم الامر اذ تأيد استقلال البلغار والصرب والبشناق واستولى الترك على سائر بلاد المملكة فاخذ امبراطور القسطنطينية في

استنجاد ملوك الغرب وواعدهم بالعدول عن المذهب الشرقي فلم ينجدوه وعظم هذا الامر على رؤساء الدين في المدينة فكانوا اعوانًا للعثمانيين على الامبراطور ثم فتح الترك بلاد البلغار وقاتلوا الصرب وتم لهم فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الثاني وهي الى الان عاصمة دولتهم واسمها اسلامبول او الاستانة او دار السعادة

المقابلة

ليس بالامر اليسير محاولة المقابلة بين هاتين الامتين العظيمتين فقد امتلأت باخبارهما صحف التاريخ وحارت في آثارهما افهام الناقدين واختلفت احوالهما وعاداتهما كما اختلفت آثارهما و المنافع الناشئة عنهما حتى كادت الموازنة بينهما تمتنع لولا ان يكون الغرض منها محدودًا قاصرًا على ما نشأ عن كلٍ من الامتين من النفع الانساني فاذا تبين هذا وعلمنا ان اليونان خرجوا من الحالة الهمجية الى حالة العرفان والتمدن من عام ١٩٠٠ ق م وان الرومان لم يخرجوا الى هذه الحالة الا بعد ذلك بالف ومائتي عام قلنا

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها وان الفضل للمتقدم

وعلمنا ان اولئك جدوا باكتشاف البلاد المجهولة واستعمار الاماكن المهجورة وتوسيع نطاق الاسفار في البحار ونشر آثار التمدن بين المتوحشين وفي جملتهم اصحاب دولة الرومان وان هؤلاء لم يزيدوا على اقامة

الحروب واضرام الفتن وفتح البلاد واذلال الشعوب طمعاً ورغبة في الملك قلنا

من اصلح الامر هو السيدُ لا يستوي المصلحُ والمفسدُ

وان اولئك هم الذين ضربت بحكمتهم وعلومهم امثال المتقدمين والمتأخرين وبقيت آثار علمائهم على كرور الايام والاعصار فائدة للمتبصرين وهم اهل الفلسفة غير معارضين ومنشئو الطب غير منازعين ومخترعو فن الروايات غير مسابقين وموجدو صناعة التاريخ غير مسبوقين ومنهم رجال الاهوال وعظماء الابطال واكابر الخطباء واعاظم الحكماء وفحول الشعراء وهم الذين رفعوا في الارض الوية التمدن ونكسوا فيه اعلام الجهل وان هؤلاء وان ظهر فيهم الخطباء والعلماء وكثر منهم الامراء والشعراء وبلغوا من التمدن غايةً قاصية ووصلوا من العلوم مكانةً عالية الاَّ انهم في معظم ذلك مقلدون وفي كثير منهُ لاهواء النفوس تابعون قلنا

بين المقلد والمقلد نسبة تحكي التي بين التكحل والكحل

نعم ان الرمان قد نشروا انوار العرفان في كثير من جهات الارض وهذبوا الفنون والصناعات والشعر والخطابة احسن تهذيب وان منهم فرجيل المداني لهوميروس وشيشرون المضارع لدمستين وغيرهما ممن تضن بمثلهم الايام ولكنهم مع ذلك لاحقون لليونان غير سابقين في شيءٍ من تلك المحاسن فالفضل الأكبر لاساتذتهم على كل حال

اما اساليب الحرب واحكام العسكرية المعدودة من بدائع الحرب فلم يكن اليونان من قبلهم ذاهلين عنها على تقدير ان تكون من المنافع الانسانية

كيف وفي اليونان امثال القائد ابامينداس الكبير

وجملة القول ان اليونان والرومان من بعدهم امتان تجارتا في مضمار المجد والسؤدد وتبارتا في مجال العز والنجاح وكانت كل منهما مظهراً للفنون البهية والعلوم السمية والتمدن الانساني حتى امتلأت صحف التوايخ باخبارهما وتزينت بقاع الارض المعروفة بآثارهما وما برحت علماؤهما اساتذة العالم وحكماؤهما ادلاَّء الانسانية اعواماً تليها اعوام وهم في المنزلة الاولى من الفضل الى هذه الايام غير ان الامة الاولى كانت الى غايات الفضل اسبق وفي نسب المدنية والمعارف اعرق فالقول الحق انها بالتقديم احق والله اعلم

﴿ حاضر الخاطر ﴾

(وهي خطبة القاها عام ١٨٨٠ في جمعية زهرة الاداب قال)

كان في خلدي منذُ وصلتْ اليَّ نوبة الخطابة اتمام ما بدأتُ في موقفي السالف من بيان انفعالات الشرقيّ في بلاد الغرب ولكن عرضَ لي من المقادير معاذير فصرفتُ بقيّةَ العزيمة الى امرٍ سكن البال فلم يبقَ معهُ من حاجةٍ للاستعداد والفـَ الخاطر فصار من حاضره المتبادر

على انهُ مّما صُدفتْ عنهُ اذهان حكماء الانسان وحارتْ فيهِ الباب رضعاء الآداب وانحطّتْ عنهُ خواطر اهل البوادر منذ اثمرت اقلام الكتاب في رياض البيان وانطلقت السنة الخطباء في مجال المقال لا

احاولُ بلوغ ما لم يلجوا ولفظ ما لم ينطقوا او اصابة ما لم يرزقوا ولكني اظهر حيرتهم وابيّن اختلافهم ليُعلم ان الحقيقة الادبيّة المطلقة من وراء حجاب وان العلم بها نسبيٌّ يكون صحيحاً ولا يكون على كون الحقيقة حقيقةً لا محال

فقد رأيتُ لاهلِ هذا النطق على اختلاف حكايات الاصوات كلمات يتفقون منها على مادّة التركيب مختلفين فيما يشربونها من المعاني بحسب اختلاف الاوقات وتباين المشارب وتغاير الآراء حتى يمتنع ادراك حقيقتها على الباحث في اقوالهم الاَّ مَنْ تجرَّدوا عن التقليد وترفعوا عن الاقتداء بما ارتفعوا الى ذروة العقل الكليّ والفتح المطلق واين ممّا هنالك مثل هذا العاجز الضعيف بل اين منهُ عقول العقلاء وعلوم العلماء

فالحق كلمةٌ لا خلاف في الحاء ولا في القاف المضعف منها بين الناطقين بالضاد كما انهُ لا خلاف فيما تتركب منهُ في سائر اللغات. انهُ ربما وقع الاتفاق في الصورة التي تحصل منها في الاذهان بين اهل الخطّة الواحد من كل جماعةٍ من الناس ولكنهُ ممتنعٌ بين ذوي خطتين متغايرتين او ما ترى الحق العمومي يدّعيه كلّ احدٍ من الناس على تباعد مقاصدهم فهوَ عند الامير قائمٌ بمقدس نبالتهِ وعند الغني بجرم ثروتهِ وعند الرئيس بمظهر الهامهِ وعند الحكيم بمفاد حكمتهِ وعند القويّ بحفظ مزيتهِ وعند الضعيف الفقير التابع المعدم الخادم المأمور الفاعل المجهود بانصراف الميزة

اليهِ ان كان ملتهب الدماغ وبقاء جلدهِ عليهِ ان كان خامل الذهن وحصول ما ينبغي لهُ من وجه العدل ان كان من المعتدلين (والبقية مفقودة كما في التنبيه)

(تم)

رواية

﴿ اندروماك ﴾

(مأساة ذات خمسة فصول)

« بقلم الشاعر البليغ والناثر الشهير والخطيب المفوّه »

﴿ عزتلو اديب بك اسحق ﴾

(عفي عنه)

اسماء ممثلي الرواية

دور	اسم	علامة
ملك	بيروس ابن اشيل	ب
سفير	اورست	و
صديق اورست	بيلاد	د
وزير	فنكس	ف
خطيبة بيروس	هرميون	ه
ارملة هكتور واسيرة بيروس	اندروماك	ك
سميرة هرميون	كليون	ي
سميرة اندروماك	سفيز	س
اربعة	حجاب	
اتنين	حراس	

الفصل الاول

في قصر بيروس (في حجرة منه)

الجزء الاول

اورست بيلاد
و د

(كلاهما يدخل من جهة و يلتقيان بلا انتباه)

و د صفحاً لدهري عما قد اتى وجني من بعد لقياك يا كل المناء هنا
د و يامن اذا غاب عني كان في خلدي لولا التقادير ما تم اللقاء لنا
لما قضى الدهر ظلماً بالنوى ونأى عنا المنا ولقينا البؤس والحزنا
لبثت مكتئباً اخشى عليك اذًى
يبدو وجيش اصطباري عنك قد وهنا
وقد تركتك يا مولاي ذا جزعٍ كادت تفارق فيه روحك البدنا
يبدي لك البأس اهوالاً منمقةً فتحسب العيش طيشاً والمنون منى
لكن اراك ومن لي ان تكون هنا لما يكون به الاقبال مقترنا
و د دعا الغرام فؤادي وهو مالكه فجئت كيما الاقي من بها افتتنا
د و حملت نفسك ما يودي بها ولقد ركبت فيما فعلت المركب الخشنا
وجئت ترجو الوفا من مرأةٍ غدرت فهل نسيت الشقا والحزن والشجنا
احذر هديت فذات الغدر ما برحت تبدي الوداد وتخفي المكر والضغنا
و د عرضت نفسي في سوق الهوى فاذا قضيت في الحب لا ابغي لها ثمنا
د و لقد كنت اذن تخدعني بالكلام وتزعم انك اعتزلت الغرام
و د مولاي لم اخدعك وانما كنت احاول ان اخدع ذاتي. وقد كنت تسمع انيني وتلهفاتي . ألم ترَ بعد ارتباط هرميون ببيروس ما حلَّ بنفسي . وما لقيت من

حزني ويأسي . حتى تركت الاوطان والاوطار . وسرت هائماً في البحار . أصلُ الليل بالنهار . وامزج الهموم بالاكدار . وكنت احسبك لي في هذه الايام رفيقاً . وارجو مساعدتك فانك كنت بي برًّا رفيقاً . وانا احاول سلوَّ هرميون والنجاة من العذاب . فلا اجد الى ذلك سبيلاً . والتمس الهداية الى الصواب . فلا ارى لي دليلاً . ولما اعياني ما اقاسي . ولم اجد لي من مواسي . جندت جيوش العدوان . وعقدت راية السلوان . وسرت الى اليونان على امل الظفر . ولكن اذا وقع القضاء عمي البصر

د و وماذا كان بعد ذلك . أَلقيتَ ما ترجوهُ هنالك

و د رأيت محفلاً حشد اليه الامراء فرجوت ان يكون اجتماعهم لحرب . الهو بها وينجلي عني الكرب . فكذَّبت ظني حقيقة الحال . وما كل مطلوبٍ ينال . وسمعت الجميع يتوعدون بيروس ويقولون انهُ نقض عهدَهُ . وحفظ عدوَّ اليونان عندَهُ . وذلك ان ابن هكتور الذي نجا من عولس بحيلة امه . وقع معها في سهمهِ . فجذبته ارملة هكتور بعينيها . فمال عن هرميون اليها . وقد ساء ذلك ابا هرميون منلاس اما انا فبالعكس . ورب غيظ نفس فيه شفاء نفس . الاَّ ان تلك الغادرة التي رعيت ذمامها . استرجعت فورًا في قلبي مقامها . ورأيت ان غيظي كاد ينتهي . وان قلبي عن حبها لا ينتهي

د و
من ليس يسأل عني فلست اسأل عنهُ
ومن غدا الغدر يجنى لا ترجِ الخير منهُ
الناس لاموا ومالوا عن شكر صاحب منَّه
ان تحسن الفعل قالوا فرضٌ عليه وسنَّه

(نشيد)

و د
لا تلمني فلا يفيد الملامُ حكم الحبُّ واستتبَّ الغرامُ
ياأخا العدل خلِّ ذا العذل جوداً انما لوم من يحبُّ حرامُ

واستمع تتمة الكلام . وهو اني دخلت ذلك المقام . فانتخبوني سفيرًا الى بيروس لاطلب ذلك الغلام . ومن لي بان آخذ بدلاً منه هرميون فاشتفي من لواعج الغرام . فاني اجارك الله ايها الصديق . سلمت الى غرامي تسليم اعمى الى رفيق . احب

هرميون وقد سرت اليها . فاراها واختطفها او اموت بين يديها . واناشدك الله ان تقول لي ما شأن بيروس وشأن حبهِ . وماذا يحدث في قصده وفي قلبهِ . وهل تهواه هرميون كي يهواها . ام تعرض عنه جزاء ميلهِ الى سواها

د و اراهُ يسلمك اياها . ولا يكلفه ذلك عناءً جزيلا . لانه يتعشق ارملة هكتور ولا يرى الى مرضاتها سبيلا . فانها لا تقابله الاّ بالرد . ولا تمنّ عليه ان سأَل بالرد . وهو تارة يتهددها وطوراً بقتل ابنها يتوعدها . ثم يتذلل ويخضع . فلا تلين ولا تسمع . وربما غضب فتجنب ثم يرضى فيتقرب . فكيف يتهيأُ لي ان اعرف حقيقة امره . وهو عاشقٌ قد استولى الغرام على فكره

و د اترضى بهذا هرميون وتصبرُ ونثبت في حفظ الوداد و يغدرُ

د و تسوم اصطباراً كلما زاد غدرهُ وتخضع في كل الامور وتعذرُ

لها مقلةٌ بالدمع شكرى ومهجةٌ من الغدر تشكو فهي تشكو وتشكرُ

وتدعوك ان اربى البلا مستجيرةً فانت لمن يدعوك في الضيق تنصرُ

و د واسروري : لبيك يامن دعاني فانا والوفاء خير رفيقِ

د و مهْ لقد اقبل المليك فحاذرْ واكتم الامر

و د .. .. لا تخف ياصديقي

د و اكثر القول طالباً كل شيء واسلكنْ للشقاق كل طريقِ

(ويذهب)

﴿ الجزء الثاني ﴾

اورست بيروس فنكس

و ب ف

و ب سلامٌ ايها الملك الهمامُ ودام لك ارتفاعٌ لا يرامُ

علوت بهمةٍ ليست تضاهى واجدادٍ هم القوم الكرامُ

اليك يا من فتحت بحسامك تروادَه . بعد ان بلغ والدك الهمام من هكتور مرادَه . اتيت سفيراً من امراء اليونان . احمل اليك عتباً وارجو الاّ يحمل على العدوان .

وذلك انهم يرون ان شفقةً غير سديدة . حملتكم على حفظ بقية حربٍ شديده . اعني بذلك ابن هكتور الدّ ِعداكم . الذي جعلتموهُ في حماكم . وان ذلك لمن العجاب . فكيف نسيتم هكتور وما حملنا من العذاب . لعمري ان شعبنا يتذكر ذلك البطل . وفي كل قلبٍ منهُ وجل . وما من بيت الأّ و يطلبه بثار . وما من يوناني الأّ وفي قلبه منه نار . ومن يدري والغلام سرّ ابيه . ما عسى ان نعانيه منه ونلاقيه . فنراه بعد حين مهاجماً مراكبنا . كما رأينا اباهُ داهماً مراكبنا . واني اخاف ان تكون عقبى اهتمامك به واعتنائك . ملاقاة بلائك . وان الحية التي تربيها . تجرعك السم من فيها . فدارك امر غدرك قبل فوات يومك . وابعد عنك عدواً يستنجد بك على قومك

ب و ما خلتُ ان مثل هذا الاهتمام يكون لهذه النازلة الصغيرة . وان حضور ابن اغاممنون الهمام يكون لهذه الحاجة الحقيرة . وان قوماً طار صيت انتصاراتهم . واخبار غاراتهم . يتنازلون الى طلب صبيّ . لا يعرف الحيّ من الليّ وكيف يزعمون اني اسلمهُ وفيَّ بقية . ام اي سلطانٍ لهم على اسير حصل لي بالقسمة الشرعية . وهل مددت الى ما حصل لهم يداً . ام عارضت منهم احداً . وكيف يخافون تجديد سطوة هكتور وابنه في هذا النادي . والله لقد عزَّ الصبر عن هذا التمادي . ام كيف يزعمون أن اهل تروادة يقصدون الانتقام . بعد خلوّ بلدهم من رجال الصدام . واني اتذكر حال تلك المدينة وما كانت عليه . وارى الان ما صارت اليه . فانها كانت سلطانة آسيا ومقام صناديد الرجال . ولم يبقَ بها الان سوى بقية اطلال . سقيت بدم الابطال . وصبيٍّ في القيود والاغلال . وحيث كان قتل ابن هكتور ضربة لازب عند اليونان . فلماذا اخروه الى الان . ولمَ لم يقتلوهُ وهو في حضن بريام . مع من قتل من ابطال قومه الكرام . وكيف يطلبونهُ حين لم يبقَ من قومه غير شيوخٍ وغلمان فقدوا الحامية والانصار . وبات يروعهم هدوّ الليل وذكر الانتصار . واني حين الحرب لم آلُ جهداً في المقاتلة . وعاملت المنكسرين بما اقتضت الحال من المعاملة . ولكني لا ارتكب فوق جرائري هذا الجرم الكبير . ولا الطخ يدي بدم غلامٍ صغير ما له نصير . لا ومن براه . فليطمع اليونان في سواه . و يطلبوا في غير هذا المكان بقايا تروادة اليسيرة . و يعلموا ان الذي انقذته تروادة تحميه ابيره

و ب ولكنك تعلم يا مولاي ان هذا الغلام لم ينجُ الاَّ بحيلة امه · اذ بدلته بغلام دعته باسمه · اما اليونان فلا يطلبون البقايا التروادية · وانما مطلبهم ابن من الحق بهم المصيبة والبلية · و يخافون ان يلاقوا منه هكتور ثانياً · بعد ما اورثهم هكتور الاول ضررًا كافياً · والحق بهم ما شاء الله من العنا · وربما حملهم طلب هذا الغلام على قصدهِ وهو هنا

ب و اهلاً بهم لبس المجال بعيدا واخو البسالة لا يخاف وعيدا
ان يقدموا فلقد تقدم ظلمهم قبلي ابي حاميهم الصنديدا
سيعيد ظلمهم فتىً متظلماً ولربَّ ضرٍّ قد يكون مفيدا
و ب ما خلت انك من طراز المخلفين (م) وعودهم والناقضين عهودا
ب و لقد انتصرت لاستبدَّ فكيف ارضـــى بالخضوع وما انا رعديدا
و ب ترضى به طوعاً لعين حليلةٍ ترنو اليك فتبلغ المقصودا
عينٌ بمغناطيسها لما سطت جذبت فؤادك حيث كان حديدا
ب و هذه عيون في الغرام اطيعهـا لكنَّ نفسي تكره التقييدا
ختم الكلام فسر اليها ذاكرًا ما قلت وارحل ان سئمت ربودا
(اورست يذهب)

﴿ الجزء الثالث ﴾

بيروس فنكس
ب ف

ف ب لقد احسنت اليه في معرض الاساءة · وارجعت النحل الى المباءَة · وقرَّبته وانت تريد ان تبعده · وجمعت شمله وانت تروم ان تشرّده · فارسلته الى من يحبها حباً عظيما

ب ف يقال انه كان يعشقها قديماً

ف ب ربَّ هوًى باللقاء يتجدد · كالنار ان تعرضت للهواء تتوقد

ب ف اني اعلم يا فنكس انها لا تؤثر عليَّ بالحب احدا · ولا تميل الى غيري

ابدا · مع علمها بما انا عليه من اعتزال هواها · والميل الى سواها · اما ميل اورست اليها فلا يقتضي ميلها اليه · وما قيل ان من الفؤاد الى الفؤاد سبيلاً قولٌ لا يعتمد عليه · على ان رجوعها الى ما كانا عليه من التوادّ يجلب سروري · واذا اتفقا على الرحيل فاني افتح لهما جميع ثغوري

ف ب سيدي

ب ف لله يا فنكس لا تطل الكلام · في هذا المقام · فان في قلبي اموراً اساذكرها لك لتنظر اليها نظر بصير · وترشدني الى حل مشكلاتها ارشاد مشير · ولا اكتمك امرًا من الامور الخافية · · · دع هذا الان فان اندروماك آتية

الجزء الرابع

بيروس فنكس اندروماك

ب ف ك

ب ك دنت وقد انثنت فرنت غزالا ومالت بانةً وبدت هلالا

تلفت بها ولو حيّت لاحيت قتيل صبابةٍ الف القتالا

مهفهفةٌ رأت وصلي حرامـا يعاف وقد رأت قتلي حلالا

اتت بعد الجفا من غير وعدٍ تفاجئني بناظرها اغتيالا

فجال الدمع فيه وقـد اراني حساماً قـد اجاد له الصقالا

ك ب ابكي على ولدٍ اليف عذابٍ في السجن بات سمير كل مصابٍ

ولدٌ اراه كل يومٍ مرةً واقلّة الانصار والاصحابِ

هذا بقية مهجةٍ اتلفتهـا في محبسٍ انفقت فيه شبابي

فلبست ثوب السقم بعد تنعمي وجعلت من دمع العيون خضابي

ب ك لكنما اليونان سوف يهيئون (م) لك البكا من غير هذا البابِ

ك ب ماذا عسى يبغون بعد قطيعتي وتلهفي وتألمي وعذابي

ب ك ولداً اذاقهم ابوهُ شدائداً

بقتالهِ

.. ..

ك ب .. بالله رقّ لما بي

ما ذنب طفل في الاسار معذبٍ — الف الشقا وتحمل الاتعابِ
قد اهلكوا ابطالنا وحماتنا — وقضوا على اموالنا بنهاب
ماذا اجبت رسولهم مولاي هل — جاريتهم فاجبت بالايجاب

ب ك لا قد رفضتُ وقد توعدني الرسو — لُ وما برحت مقاوماً بجوابي
ولسوف تأتيني المراكب عدةً — فيها صنوف مواكب الركاب
عاديت قومي مثلما شاء الهوى — ورددتهم املاً بنيل طلابي
عاديتهم حبًا بذات ملاحةٍ — لما حلت جلبت مرير عذابي
فلعلّ ناظرها يقوم بنصرتي — ولعلها تشفي الجوى بخطاب
يا من اذا حاربتُ عنها راعني — من لحظها الفتاك رشق حراب
اني اقاتل عنكِ لا متهيبًا — الاّ قتال تجنب وتصاب
هذي يدي هذا فوادي ها انا — نبدي الخضوع لحسنك الغلاّب

ب تجلد ولا تظهر الضعف فانك في البسالة آية · وانعم باحسانٍ مجرّد نخير الاحسان ما كان بلا غاية · أيغلبك العشق فتخضع له اضطرارًا · ولاَ تخاف في اظهاره عارًا · وتزعم ان اندروماك يطيب لها هذا الغرام · وهي على ما ترى من الاسر والحزن والسقام · واي جمال يلوح لك في عينين حكمت عليهما فعالك بالبكاء نحلها واخترم مشهد تعاستنا بعد النعمة والهناء · وانقذ غلامًا بات في اسرك ذليلا · وكان من قبل جليلاً · وردّه على والدة حزينة باكية · ولا تجعلها تفديه ببقية مهجةٍ باليه · انقذهُ ولو أبت امهُ فهو جارك وجار الكريم لا يضام · فذلك عملٌ يليق بابن اشيل الهمام

ب ك اعيذكِ من البغض اللازم · والقصاص الدائم · فقد اسقمتني بالتجني والصد · واتلفتني بعدوان مالهُ حدّ · فان كنت ابكيتكِ دمعًا يوم كانت يدي ملطخةً بدم اقوامك · فقد ابكيتني دمًا لم اسفك مقدارهُ في غرامك · وان كنتِ لقيتِ بسببي عذابًا فقد احتملتُ صنوف العذاب · فانا مطلق الدمع مقيّد القلب اليف السهاد وهي صنوف عذابٍ في الغرام عذاب · فهل بلغت بظلمي غاية ظلمك · وعلى فرض ذلك ألم يكن من اعتذاري ما يقتضي مزيد حلمك

وان كان ذنبي كل ذنبٍ فانهُ　　محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

فكفانا سيدتي معاقبة متتالية تقضي باتلافنا · وليكن اعداؤنا سبباً لائتلافنا

تجاوزتِ حد التهاجر والصدّ　　تجاوز طرفك في حده الحدّ

وقد كفر الدمعُ لما همى　　ذنوباً جناها الحسام المهند

وادّيت دَين الوداد وهذا　　حساب ذنوبي بدمعي مسدّد

هجرت منامي بفرط غرامي　　وسامرت بدراً حكاكِ وفرقدْ

فياثغر بالله فسرّ غرامي　　فانك تروي حديث المبرّد

ويا قدّ ما بال قلبك يقسو　　وانت تكاد للينك تعقد

تثنيت لما جمعت الجمال　　وما زلت يا جامع الحسن مفرد

ويا من تجنّت على من جنت　　عليه الغرام فبات مشرّد

حنانيك انّ الغرام رماني　　فاطلقتِ دمعي وقلبي مقيد

واني لاحمي الغلام بعزمي　　وحزمي حتى اموتَ والحد

وان طال عمري يذل بحسامي　　(م) عزًّا عزيزًا وملكاً موطد

فجودي بعطفٍ عليّ تسودي　　وعودي عن الظلم فالعود احمد

ك　ب　سيدي ان جميع هذه الوعود لا تغني في حزني شيأً · وكنت اعدُ بها ابني لو كان ابوه حياً · · · · (التفات) فيا ايها الاطلال الباليه · ويا ايتها الاوطان الفقيدة الغاليه · انّ في قلبنا من الشوق اليكِ لناراً حاميه · ومن لنا بان نراك بعد موت المقاتلة والحاميه

عليك دموعي جرت بانسكاب　　تحاكي السحاب السحاب السحاب

فرحماك مولاي ياذا الهمام　　وانقذ غلاماً · · غلاماً · · غلام

(قد على ملكتم فؤادي)

(التفات) رحماك يا مولاي ان دمعي الهامع لا يسألك غير الرحيل فهو غاية رجاه · فاسمح لي ان اذهب بابني فاخفيه وابكي اباه · وقد علمت ان ميلك الينا يورثك بغض قومك والوبل · فارغب في هرميون عني فانها اجدر مني بهذا الميل

ب　ك　يا غزالاً يروم مني سلوًّا　　عنه والحب في فؤاديَ لابثْ

زادني العذل في هواك ثباتاً　　ربّ عذلٍ اضحى على الحب باعثْ

فاجرني اجارك الله من شوقي   وكن لي من سهم عينيك غائث
يالقومي صار الحبيب عذولاً   ان هذا لمن صروف الحوادث

بالله لا تعذلي قلباً عن هواكِ لا يحول · وارحمي طرفاً في غير محياكِ لا يجول · فليس بامكاني ان ارغب في هرميون واميل اليها · واقبل بعد الاعراض عليها · فقد ملكتك قلبي ولك فيه الامر والسلطان · فكيف اهواها وليس لي قلبان · ومن يرى مالكِ عندي من عظم الشان · ورفعة المكان · ولا يظن انكِ الاميره · وانها الاسيرة آه · آه · اوّاه قول مغرمٍ اوّاه · لو سمعته هرميون لنال فؤادها مناه

ك ب   وهل تريد ان تسمعك متنهداً بعد ان صارت صاحبة امرك وولية سرك وجهرك · وهل تنسى ما خضت لاجلها من المهالك · ام هي تطمع في غير ذلك · ألم يكفها سوء حالي واسري واذلالي · ام تريد ان تضرم في قبر هكتور ناراً · اي ذكرٍ رهيب لهكتور من حبا اباك مجداً كما حبوتك بدمعي اشتهاراً

ب ك   كم ذا التجني والدلال · لقد عزّ الصبر ولم يبقَ للعفو مجال · فانا اسلوكِ وابغضكِ ان امكن · فقد طالما عاملتكِ بالتي هي احسن · واعلمي ان بغضي يكون كحبي شديداً · وان رجوعكِ عن غيّك بعد ذلك لا يكون مفيداً · وان الابن يوخذ باعمال امه لا محال · فاسلمه الى اليونان وانجو من المشاكل والاهوال

ك ب   يموت ابني · · ابني يموت ولا معين له ولا شافع الا معين دمعي الهامع · · وعسى ان يقصر ذلك عذابي و يريحني مما الاقيه فالحق به لنلتقي معاً بابيه · ·

ب ك   اذهبي اليه ايتها السيدة وانظريه · وقبليه وعانقيه وافتكري ان تنقذيه

الجزء الخامس

اندروماك

ك

ك ك   ايا دهرُ مالي في العذاب ضريبُ   فقد حلّ بي يادهر منه ضروبُ
رميتَ بانواع المصائب مهجتي   وسهمك يا رامي المصاب مصيبُ
وامرضتني لمـا سلبت احبتي   وليس لدائي في الديار طبيبُ

بكيت وكان الدمع من ذوب مهجتي   وكفي بحناء الدموع خضيبُ
فان كان لي ذنبٌ وانت مواخذٌ   فاني من ذنبي اليك اتوبُ

جار دهري وما من مجير   وناى بعد عزي نصيري
فغدا قلبي كئيباً بالمصائب
وجفاني طيب انسي   وتولى اليأسُ نفسي
ياالهي انت ملجا كل طالب   فأجرنفسي من هذه النوائب

دهر جورٍ لا يبالي   بتلافي ووبالي
بات جسمي منه بالي   وهو بالاوجال جالـ
قد جار بي دهري   فحرت في امري
وما من الدهر مجير
بالدهرِ من اذاهُ   طاب بالجسم بلاهُ
كيف انجو من بلاه   وهو بالفصَّال صالـ
يا خالق الكونِ   كن في البلا عوني
فانت لي خير نصير
(على قد « العيون الكواسر سبوني »
او يقال بدلا منهُ
رماني زماني وشقى · عواذلي مني · وجار على ضعفي ·
بقصده ابني
دموعي جرت على الخدود · فاضرم في قلبي الوقود · وشمت فيَّ الحسود · ياترى زماني يعود · فيحلو لقلبي الورود
واخلص من حزني
لاتظلموني بل ارحموني وخلصوني عولوا غلامي وارعوا زمامي واشفوا اوامي لا تظلموا الاطفال يا ايها الابطال وانقذوني

الفصل الثاني

(في قصر بيروس في حجرة هرميون)

الجزء الاول

هرميون كليون

ه ي

ه ي ارضى بما رمتِ ارضى وليتني لست ارضى
اورست عما قليلٍ يجيء والامر يقضى
ي ه قد كان وهو بعيدٌ لا يلتقي منكِ دحضا
فصار وهو قريبٌ يلقى نفارًا ورفضا
عجبت مما اراهُ حبٌ تحوّل بغضا
ه ي لا تعجبي فانقلابي عن قبحهِ ليس يغضى
قابلت بالغدر حبًا قد جاء بالودِّ محضا
فان رآني وحالي بمثلها ليس يرضى
يشفي الفؤاد انتقامًا وينفض الثوب نفضا
فلست ارضى بهذا يا ليتني كنت ارضى
ي ه لا تنفري عن محبٍ ببعض ودك يرضى
فليس يجفوكِ صبٌ ذو مهجةٍ منك مرضى
يرى ودادك دينًا ويحسب الصبر فرضا

ه ي مناسب الان يأتي به بيلاد . فانيلهُ من لقائي المراد

ي ه وما عسى ان تكون ارادة ابيكِ في هذا الباب

ه ي لقد اتاني منه كتاب . يأمرني ان اسير الى اليونان بلا تأخير . ان ابى بيروس ان يسلم الاسير

ي ه فاتكلي اذنْ على اورست ليعلم بيروس عاقبة الغدر كيف تكون . وتالله لا يفلح الظالمون

ي ﻫ غادريهِ وكفى ما قد جرى ودعيهِ انه قد غدرا

***

ﻫ ي كيف اسلوهُ وقلبي في يديه انّ روحي نزعت مني اليه
ليس صبري عنهُ كالصبر عليه لا تلومي انْ من ذاق درى

***

ي ﻫ غادريه انهُ قد غدرا ولقد ذاق ولكن ما درى

***

ﻫ ي مهجتي من حرّ شوقي تحترق وفوادي في هواه تحتَ رقّ
وسهام الغدر قلبي تخترق ووشاة الدمع تروي ما جرى

***

ي ﻫ غادريه انهُ قد غدرا وكفى سيدتي ما قد جرى

***

ﻫ ي لا تقولي قد كفى ما حصلا فاهجري او فاصبري صبرًا حلا
زادني الصبر مصابًا وبلا فاز الاَّ في الهوى من صبرا
على قد (باهي السنا لما انثنى الخ)

ي ﻫ وهل تنتظرين منهُ خيانة جديدة · بعد خياناته العديدة · يحب اسيرة ·· ويحبها امام عينيكِ · وكل ذلك لا يجعلهُ بغيضاً لديكِ · وماذا يمكن لهُ بعد ما اجراه وكرّر · فانهُ لو استطاع ان يجعلك تبغضيه لما تاخر

ﻫ ي لماذا تريدين تنبيه همي فاني ارفض علمي بعلمي
فقولي فديتك اني سلو تُ وصوّبتُ نحو الاصابة سهمي
تروميت اني اسيرُ فرارًا هلمي بنا للمسير هلمي
نسير ويبقى اسير الاسيرة (م) بين يديها واترك قسمي
ولكن اذا عاد عن غدره وعامل بالحلم من بعد ظلمِ
وصار الحبيب وفيًا بعهدي سميعًا لقولي مطيعًا لحكمي ····
ولكن اراهُ خوونًا فابقى عذولة حبٍّ وسيلة غمِّ
اقابل بالغدر غدرًا اتاهُ واستلُّ للفتك صارم عزمي

جنيت على الابن و يلاً ومنه ساجني على الام اوفر سهم ِ

ي ه سيدتي انها لم تجن ذنباً يستحق العقاب . فانها اليفة غم ٍ ومصاب . وهل تظنين ان عيوناً لا تنفتح الا للبكاء تروم مناظرتك في الغرام . وان قلباً حزيناً يميل الى من سبب له الآلام . وهل رأيت ِ ان حبه اذهب عنها الاكدار والشجون وان كان ذلك فلماذا ترفض محباً تسر به الخواطر وتقر العيون

ه ي ومن عجب الايام رؤية عاشق ٍ تحيرت الافكار في امر حبه ِ
يقرّب من لا ترتضي غير بعده ِ ويبعد من لا تبتغي غير قربه ِ

وكيف لا يذيبني غمي ووجدي . بعد ان كنت اظنه لي وحدي . وكنت ُ ارى كل شيء يهنئني به : قومي بعد ادراكهم الثار . اليونان بعد ان نفوا العار بالانتصار . مراكبنا وهي مشحونة بالغنائم . المجد والسرور والسعد الملازم . شهرة ابيه التي نسخت بشهرته نيران شوقه ودلائل محبته . قلبي . . . وانت ِ انت ِ ايضاً فقد كنت ِ مدهوشة من مجده الكامل . وقد خدعتني قبل ان تخدعني هذه الدلائل . اما الان فلم يبقَ سبيل الى الاحتمال . هرميون ذات أنفة ٍ واورست ذو فضائل وافضال . فهو على الاقل يعرف ان يحب وان لم يكن مطلوباً . وربما عرف ان يجري واسطة ً ليكون محبوباً . فليأت ِ لذي واسطة ٍ تزيل هذه الاكدار عنا

ي ه سيدتي ها هو

ه ي لم اكن عالمة ً باقترابه منا

الجزء الثاني

هرميون كليون اورست
ه ي و

ه و اهلا بمن مسه في حبه ِ السقم ُ شوقاً وما مسه هجر ٌ ولا سأم ُ
ماذا دعاك َ الينا بعد فرقتنا الشوق ام رحمة ٌ في طيها نعم ُ

و ه هذا انقيادي لحب ٍ حل ّ في كبدي فجئت ابديه علّ الهجر ينصرم ُ
وان اعاهد نفسي بالبقاء على عهدي لمن غدروا ظلماً وما رحموا

قربتهم نفروا واصلتهم هجروا امنتهم غدروا خاطبتهم سئموا
صبراً عليهم فهم قصدي ولو سفكوا دمي وطوعاً لما راموا ولو ظلموا
هم ارضعوني ثدي الحب من صغرٍ فلست عن حبهم بالصبر انفطمُ
يامن دعاني اليكِ الحبُّ لا تسلي عن حال قلبٍ به النيران تضطرمُ
مذ سرت عني تركت الدار ناعيةً وخضت بحراً بهِ الامواج تلتطمُ
وكم فريت الفلا والليل معتكرٌ والغيث يبكي وثغر البرق يبتسمُ
طلبت موتاً وكان العمر يطلبني فازددت حزناً واضنى قلبي الالمُ
بين البرابرة القوم الاولى رغبوا في قتلتي وانا بالصبر معتصمُ
قوم بن السيت اهنى صيدهم رجلٌ حيٌّ واعذب شيءٍ يشربون دمُ
نجوت منهم وجئت اليوم مبتغياً موتاً من اللحظ فهو المالك الحكمُ
قضى الزمان بان انجو بلا طلبٍ وقد سقطت على عمدٍ ولا أجمُ
كنت الذبيحة للمعبود عندهم بئس الذبيحة اذ مذبوحها عدمُ
وما نجاتي الا كي اذوّمَ في هيا كل الحب حيث المجد ينتظمُ
فجردوا سيف لحظٍ كي يريق دمي يا ظالمين وفي الاحشاء حبكمُ

ﻫ و سيدي خلِّ عنك هذا الكلام · فانه مما يضيق دونهُ المقام · وافتكر في الملوك الذين بعثوك سفيراً الى هذا المقام · ودع ذكر اعمال السيت البرابرة ومفاعيل الغرام

و ﻫ قد اظهر لي بيروس النفار المحض · ورفض طلبي كل الرفض · واذن لي بالرحيل والظاهر ان قوةً لا يستطيع ردها تحملهُ على حفظ ذلك الغلام

ﻫ و يا للخيانة

وهكذا تهيا لنا تركهُ ولا عتب علينا ولا ملام · وقد اتيت لاستطلع افكارك فاعرف كيف اتصرَّف · واخاف ان اسمعك تنكرين محباً بحبك يتعرَّف

ﻫ و لا تزال تسيء ظنك بي · مع انك تعلم باني لم آتِ ابيرة الا باذن ابي · واقسم اني كنت اذكرك في خلواتي · واتمنى ان اراكَ ولو خالفت واجباتي

و ﻫ تتمنين ان تريني · ان تري اورست · تأملي وامعني النظر · انك تخاطبين اورست المهجور المحتقر

ﻫ و نعم انت · انتَ الذي نشأ حبهُ مع حسنه يعلمهُ بادىء بدء كيف يكون

الظفر · انت الذي كانت تحملني فضائلك على حبك واحترامك وقد جعلتني من الميل اليك على شفا خطر ·

و هـ نعم · · نعم · · · اسمع هذا الكلام · القلب لبيروس والذكر لمن اتلفهُ الغرام

هـ و اه · · (تقول هذا بدلالٍ وغنج وخيلاء و والخ) لا تذكر بيروس فانا اكرهُ من يذكرهُ

و هـ بل تكرهين من ينكرهُ او من لا يشكرهُ · ياللعجب كيف تنظرين الي نظر الموارب · تريدين ان تحبي اورست ولا ترين ما يستحق الحب فيه · ويدولكِ الحب بلا سلاح وربما عصينهِ وانتِ تريدين ان تطيعيه · واقسم انك تدافعين عن بيروس وربما كان ذلك بالرغم منكِ · وهو غير راضٍ بذلك لان قلبهُ المائل عنكِ · لا · · ·

هـ و من قال لك هذا وهل رايت بي ما يدل عليه · فان كان لا يميل الي فاني لا اميل اليه فحتَّامَ تحتقرني

و هـ انا استحق هذا الملام · و يليق بي هذا الكلام · انا احتقركِ وعيني لا تنظر اليكِ نظرة وداد · ولو نظر بيروس اليكِ بعيني لنلت المراد

هـ و سيدي سواءٌ عندي ان اقبل او هجر · وان وفى او غدر · فاذهب واحمل عليهِ بجيوش اليونان · وجازه على ما ابدى من العصيان

و هـ سيدتي هلمَّ بنا قبل ذلك نذهب الى حيث يكون لكِ في كل قلبٍ مطلب · تعالي واحكمي بالقلوب · ولنتحد لننال المطلوب

هـ و ولكن اذا اقترن باندروماك

و هـ كيف العمل · · هذه مصيبه

هـ و الا يلحق بنا العار اذا اقترن بغريبه

و هـ ان انكر الصب الهوى فدموعهُ في وجنتيهِ تخط عنهُ سطورا
لا تستري وجه الغرام ببرقعٍ ان الزجاجة ليس تخفي النورا

هـ و حتَّامَ تستنتج من بغضي الوداد · وتخالف من كلامي المراد · رح وقل لبيروس ان عدو اليونان لا يكون صهرهم فاما ان يسلمك هرميون او الغلام فليختر من

الامرين ما رام

ثمّ تنشد على قد (يامن اسرني بالجمال)

او ان يسلمك الغلامْ حالاً كما صار الكلامْ
او انني امضي فـلا ارضى البقا في ذا المقامْ
لم ارضَ بعد العزّ في ذلي ولا اخشى الملامْ
فاذهبْ وباشر ما عسى يفضي الى نيل المرامْ

(وتذهب)

الجزء الثالث

اورست

و

و و ليس بدعًا اذا غدوت مجيبًا عن سؤالٍ عنهُ السؤال جوابُ
ثمّ ما رمتُ والزمان وفى لي وقد انجاب عن نهاري الضبابُ

كلمةٌ واحدة تكفيني · بيروس يجيب بالايجاب · وهذا بلا ارتياب · ياللسرور اي حظٍ واي انتصارٍ مبين · فليحفظ بيروس ترواده وهكتور وارملتهُ وابنهُ ومن شاء من الترواديين · حسبنا هرميون عادت الينا فلا تنظر بعد ساحلكِ يا ابيرة ولا تشتاق اليه · فلنتكلم ونطلب · ابتها المحبة ظللي عينيه

الجزء الرابع

اورست بيروس فنكس حاجبان
و ب ف ح ح

(يحرسان بيروس)

ب و سيدي كنت اطلبكَ لاخبركَ ان الغضب جعلني ارفض ما جئت لاجلهِ من الطلب · واني بعد انفصالنا فكرتُ فيما قلت من الكلام · الجدير بالملام · وعلمتُ

اني برفضي طلبكَ اقاوم اليونان وابي واناقض ذاتي لا محال · واحيي ترواده بعد موتها او اعزها بعد الاذلال · واجعل ما صنعته وصنعه ابي ناقصاً مع المقدرة على التمام · واني لذلك اعتذر اليكَ وعما قليل اسلمكَ الغلام

و ب الان هديتَ الى الصواب ووفرت عنكَ وعنا معاناة الاتعاب ومنعتَ حرباً تقضي على الارواح بالذهاب · وعلى الاموال بالنهاب

و و ويلاه لقد فسد التدبير وساء المصير

ب و واني قد عزمت على ان ازيد الرضا توطيدا · والصلح تاكيدا · بان اقترن بهرميون وانت هنا · تشاركنا في المسرة والهنا · والظاهر ان اقتراني بها كان يترقب مجيئكَ لتكون من الشهود · على تجديد العهود · فانت تنوب عن ابيها وعن سائر رؤوس اليونان · فسر اليها واخبرها بما كان

و و ما كلما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

(ويذهب)

الجزء الخامس

بيروس فنكس الحاجبان

ب ف حح

ب ف كيف رأيت · الا تزال تزعم اني يغلبني الغرام · · لالا · اعلم اني لا أُغلب واني ابن اشيل الهمام

ف ب الان انت كما ترضى العلى رجل يلقى الصروف بقلبٍ ما بهِ وجل
اصبت نصراً على نصرٍ وخيرهما نصرٌ غريمكَ فيهِ الاعين النجل

ب ف اجلْ هذا اول انتصاراتي · وغزوة الحب اكبر غزواتي · فقد حاربته ورجعت منتصرا ظافرا · وعاد منغلباً خاسرا · لقد لاح هلال سعدي · وهذا بداءة مجدي · تأمل يا فنكس ان نظرة · كانت كافية لتورثني الف حسرة · وتبليني بعذابٍ واضطراب · ومقاومة اهلٍ واصحاب · واهمال واجبات · وارتكاب سيئات

ف ب ولجفائها يدٌ في هذه القضية · فهو الذي انقذك من هذه البلية

ب ف اصبت لقد تجاوزت الحدود · بالصدود · وقابلتني بما لا يحتمل · من التجني

والملل . ومما زادني غيظاً انها حين امرتها بوداع ابنها . ذهبت وهاجت بالبكاء نار حزنها . فرأيتها وهي تسكب الدمع وتذريه . معانقةً ولدها وقد كرّرت مائة مرةٍ ذكر ابيه . والتفتت اليَّ وهيَ تقول هذا هكتور الفريد . هذا بعلي المجيد . عيناهُ تشبه عينيه . وكل ما فيهِ يدلّ عليه . ثم عادت اليه فعانقتهُ قائلةً انت بعلي وانت ولدي . انت قصدي وانت عضدي . فايقنتُ انها تروم ان احمي ابنها لتشفي بهِ نفسها من الآلام . وتشقي نفسي وتضرم فيها نار الغرام

ف ب هذه عقبى هوى الغيد . مذلل الصناديد . وجاعل الملوك كالعبيد . والباسل كالرعديد

ب ف زعمتْ باني لا احولُ عن الوفا صدقتْ فاني عنهُ لستُ احولُ
لكن هجرتُ نعم هجرتُ نخلّها تبكي وتندب حظهـا وتقولُ
وامرّ ما لاقيتُ في اسر البلا قربُ الخلاص وما اليهِ سبيلُ
كالعيسِ في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورهـا محمولُ

ف ب لقد تمّ لنا ما نتمنى . ونفي العنا عنا . فسر بنا مولاي الى هرميون وابلغ من الاقتران بها مناك

ب ف وهلاً يسوءُ ذلك اندروماك

ف ب انّا لله وانّا اليهِ راجعون . لا تزال مشغلاً بذكرها . ومهتماً بامرها . وماذا عليك بعد هجرها . من غضبها او رضاها . ومن اقبالها او جفاها

ب ف لله يا فنكس ان قلبي لا يزال . . . لا اعلم ماذا حلّ بهِ فهو بطلب الرجوع عن هذه الحال

ف ب اجزلَ الله عليكَ النعم ايها المولى الهمام
لا تقلْ لا بعد قول نعم ليس ذا شأن الكرام

ب ف لاتخف ياصاح عودالعنا بعد مـا حاذرتهُ
ان قلبي وهو قلبي انا لو جفى غادرتهُ

(ينشدان ذلك على قد «شمسُ خدرٍ تنجلي فوق بان»)

كيف اعود اليها وقد هجرتني وهيَ اسيرة . ذليلة حقيرة . واني لو خانني طرفي لقلعتهُ . ولو جفاني قلبي ما صحبتهُ . فانا اسلّم ابنها الى اليونان واعاملها بعد المودة

بالعدوان

(ثم ينشد فنكس مع جوقه للملك)

(على قد « العيون النرجسية »)

في سما الأنس لدينا قمرُ الاصلاحِ لاح
وبما اهدى الينا طائرُ الافصاحِ صاحْ
قد نأى وجهُ العناء ودُجى الاتراحِ راحْ
فسكرنا بالهناء انما الافراحُ راحْ

***

طاب الهناءُ لنا وقد نلنا المنى وبدا هلال مرورنا
والغم عنا قد نأى ودنا الهنا بدنوّ انس نصيرنا

(على لحن « تلك المنازل والقصور العالية »)

(نشيد)

نالتْ مزيد الهناء انفسنا من بعد ما كادَ يقطعُ الأملُ
قدمتَ يا بدرُ يا غمامةُ يا عالي الذرى يا همامُ يا بطلُ
يا شهمُ يا سهمُ يا مهنّدُ يا ليثَ الشرى يا همامُ يا رجلُ

الاكرك

قد بدا لنا بعد الظلامْ
ونأى العنا يا ابن الكرامْ
قدمْ ما انجلى بدرُ التمامْ
يا منْ علا . على العلى . بين الملا
واسلمْ ما حلا . حسن الختامْ

الفصل الثالث

الجزء الاول

اورست بيلاد

و د

د و كفاكَ حزنًا وغمًا مولايَ فالحزنُ يضني
قد ذبتَ فيهِ سقامًا وكاد يخفيكَ عني
كفى . . . .

و د . . . ابيلاد دعني فالذنب منكَ ومني
تبعت رأيكَ لكن لشقوتي لم يفدني
سئمت عيشي ودهري كلُّ المصائب يجني
ولا ازال حزينًا حتى انال التمني
ومنيتي ذات حسنٍ مذْ كلمتني سبتني
فاعلم صديقيَ اني انْ لم انلها فاني

د و احسنت . . . نأخذها . كيف كانت الطريقة التي تتخذها . ولكن هل تبصرتَ فيما تقول . الم ترَ مانعًا دون ذلك يحول . تأمل ومرْ عيونك ان تكتم سرك . واخفِ عن هرميون امرك . ولا تخدعك الظواهر . فقد تخالفها السرائر . انظر الى هذا القصر وما حولهُ من العساكر . هؤلاء الحرس وما دون مقاومتهم من المخاطر . كلهم لبيروس وهرميون لهُ ايضًا لا محال . فكيف تخطر لك هذه الافكار في مثل هذه الاحوال

و د ان زمامي ليس بيدي وقد فقدتُ الرشد . من شدة الوجد . حتى كدت اهجم عليهِ وعلى من تهواه . بلا مبالاه

د و وهل تكون نتيجة هذا العمل . غير الفشل

و د ولكن اي نفسٍ تلق ما لقيت . وتشق كما شقيت . ولا تخطر لها هذه

الافكار . ولو كان دون نفوذها اخطار . فقد طالما صبرتُ للصبر وعانيت جزيل عنائهِ . وكيف اصبر وفي الغد يقترن بيروس بهرميون واقدّمها اليه بيدي وليتها تلطخ بدمائه.

د و ولماذا . . . وهل تحسبهُ راضياً بهذا الاقتران

و د لا لعمري . . . انهُ لا يقترن بها الا ليسلبني اياها و يضرم في قلبي النيران . وا أسفي لقد أُصبتُ بالفشل . بعد ان كدتُ ابلغ الامل

د و انّ هذا لمن الزتم . او بالاولى من الوهم . فانها تحب بيروس ولو غدر . وتروم قربهُ ولو هجر . وان اغريتها بتركهِ فكلمة واحدة عن عزمها تثنيها

و د ولذلك اريد ان اسبيها

كيف ارضى بان اسيرُ وتبقى — بسرورٍ وافٍ وقلبيَ يشقى
ضعضعت همتي مصائبُ تترى — واتاني البلاء غرباً وشرقا
كم اراعي وقتاً واكظم غيظاً — ومصاباً وكم من الحبّ القى
لا تلمني اذا رأيتَ اضطرابي — يا أنيسي انا الذي متُّ حقا
متُّ حقاً لكننا بعد موتي — من بهِ متُّ لا يعيشُ و يبقى
سوف يلقى بيروس مني فتىً لا — يرهب الموت اي نعم سوف يلقى

د و نعم الآراء . وما تكون نتيجة سفارتك لقب سفاك دم (يقول ذلك سائلاً مستفهماً) ؟

و د لا اعلم . . . ولكن الا تحتقرني هذه الظالمة ان عدت بالخيبة من هذهِ الديار . نخيرٌ لي ان يتعجب اليونان من فعلي من ان اكون اضحوكةً في ابيره والبس رداء العار . اني ارى الحق في يدي فايُّ شرعٍ يحكم عليّ بالحد . ولا يتجاوز في حكمهِ الحد . امّا انت فقد تحملت في المودة تعباً . ولقيت نصباً . فدعني وكلني الى تدبير الاقدار . اذهب وخلني ما بين الاخطار . وخذ الى اليونان الغلام الذي اسلمهُ بيروس الينا . اذهب

د و فلنذهب سيدي ونجرِ ما ترغب . فلا تغضب . اني ارافقكَ في الاخطار حتى تنال الاوطار . فسر بنا الى اصحابك اليونان ننشطهم ونحسن التدبير . فمراكبنا مجهزة والريح تنادي بنا طاب المسير

و د   اني شاكرٌ لك ايها الصديق · فانت خير من يرجى في الضيق · وارجو ان تعفو عن تاعسٍ زاد يأسه · وفقد كل من يحبهُ فكرهته نفسه

د و   افديك مولاي فخفف عنكَ الآلام · وتناسَ خيانة هرميون · ها هي قادمةٌ الى هذا المقام

و د   سرْ انت للتدبير وعلى الالهة التيسير

الجزء الثاني

اورست   هرميون   كليون

و   ه   ي

و ه   ان مسعايَ قد انالكِ فوزًا   وسعودًا لا زلت بالاسعادِ
عادَ بيروس طالبًا منكِ قربًا   فتهني بالقرب بعد البعادِ

ه و   بلغني ذلك وقيل لي انكَ تطلبني لتخبرني بالخبر

و ه   اراه خبرًا يزيل عنكِ الكدر

ه و   لا يجلبُ الفرح · ولكنه لا يجلب الترح

و ه   لكِ الهناء · · · · تهني وانا اقوم بالدعاء

ه و   ولا انكر انهُ ربما فضل مصلحتهُ على محبتهِ · وانّ لعيوني سلطةً على مهجتك لا على مهجته

و ه   لا يا سيدتي فهو يحبك · ولولا ذلك لما طاب له قربك · ولحظك الغزّال لا يحوك الاّ ما يرضيه

ه و   وسيدي ان الشرف يأمرني بذلك فلا اقدر ان اعصيه

و ه   اصبتِ فلا سوى حظي يلامُ   ولا عتبٌ عليكِ ولا ملامُ
واني لا الومكِ غير اني   اذوبُ اسىً كما شاء الغرامُ
شكا قلبي عذابًا يلتقيه   فقلت اصبرْ كما صبر الكرامُ
فقال وقد أُصيب بسهم غدرٍ   على الدنيا وبهجتها السلامُ

ه ي   اسمعت هذه الشكوى التي تحزن الفؤاد

ي ﻫ هو الملوم فانه لولا تهاونه لنال المراد · ولما كان بيروس اجابه الى ما طلب · مخافةَ ان يبلى بالعطب

ﻫ ي بيروس لا يخاف فقد سارت بشجاعتهِ الامثال · وما لهُ فيهـا مثال فكأنكِ لا ترين بي ما يستحق الميل · حتى حملت ميله اليَّ على خوفه من الويل

ي ﻫ لا ولكن لكلِ قلبٍ جاذب · وللناس فيما يعشقون مذاهب ··· ان اندروماك آتيه · وهي باكيه

ﻫ ي لااقدر ان امنع نفسي من الطرب · ولكن ماذا اقول لها ·· احسن ما اراه الهرب

الجزء الثالث

اندروماك هرميون كليون سفيز

ك ﻫ ي س

« اندروماك تدخل وهرميون تكون على عزم الخروج »

ك ﻫ مهلاً فاني في حماكِ ومالي   من ذلةٍ كي تقطعي آمالي
وفقدت بعلي في القتال ومالي   والدهر لي كاسَ المذلة مالي
لله من ذلِّ العزيز الغالي
ابكي على ولدي ودمعي جاري   كالغيث لكن ليس يطفي ناري
سلبوا بما طلبوا يسير قراري   لا تسلبوهُ فان حفظ الجارِ
فرضٌ على اهلِ المقام العالي
قد صنتُ امكِ يوم راموها بشر   ومنعتها من ان يدانيها بَشر
فاحمي فتىً الف الكآبة والكدر   حيرانَ ما بين السلامة والخطر
حتى غدا سقماً خيالَ خيالِ

ﻫ ك ان حزنكِ يحزنني ولكن واجباتي تمنعني من تتميم هذا الطلب · اما بيروس فلا اعزّ منك لديه · وقد تسلطت لحاظك مدةً عليه · فدعيها تكلمه وتتقدم في ذلك اليه (وتذهب)

﴿ الجزء الرابع ﴾

اندروماك سفيز

ك س

ك س بقلبي من اذى دهري لهيبٌ لدمعي فوقه ايّ انسكاب
فلا تطفي الدموع لهيبَ حزني وغير القبرِ لا يطفي التهابي
كزيتٍ معدنيٍّ ليس يطفى بماءٍ وهو يطفأُ بالتراب
(ثمَّ تنشد على لحن « يا بدر جنح الغياهب »)
انوح نوحَ الثواكلْ والدمع جارٍ وسائلْ
والقلب راجٍ وسائلْ وما اصبري وسائلْ
في مثل هذه المسائلْ
(ويلي ذلك)
انَّ قهري حانْ · واصطباري خانْ
خيبتْ املي · هذه الاحوالْ
من لنا بالهنا · والعنا قد دنا
غير محتملٍ · حمل ذي الاهوالْ

س ك سيدتي دعي الغم فنظرة واحدة منكِ تكفي فتنتفي عنك الاحزان · وتقلق هرميون وكل اليونان

ك س إي والله لا بدَّ من هذا الامر · فانا اجار يه وان كنت افضّل على ذلك مجاورة القبر

ساجار يهِ وللدهر احتكامْ وفوادي فيه من حزني ضرامْ
مقصدي برٌّ لي واسطتي هكذا قال لنا بعض الانامْ

س ك سيدتي انه آتٍ ها هو قد دنا

الجزء الخامس

بيروس فنكس سفيز اندروماك
ب ف س ك

ب ف اين الملكة أَلم تقل لي انها هنا (معرضاً عن اندروماك)
ك س أَرأَيت سطوة الحاظي
ب ف ماذا تقول
ك ك تركت بلا معينٍ ولا مجير
ف ب هلمَّ بنا نتّبع هرميون
س ك ما هذا الانتظار انهُ يسير
ك س انهُ وعدَ بتسليم ابني
س ك ولكنهُ لم يسلِّمه بعد
ك س قد وعد بذلك ولا يخلف الوعد
ب ب يا للعجب · انها لا تزال تتجنى وتتجنب
ك س وا مصيبتاه اني ازيدهُ غضباً فلنذهب
ب ف فلنمضِ من هذا المكان · ونسلّم ابن هكتور لليونان
ك ب للهِ مولايَ مهلاً فانتَ اعظم حلما

ان رمتَ تسليم ابني سلّم مع الابن أُمّا
مولايَ كنتَ حليماً لم تأْتِ من قبل ظلما
عذَّبتَ قلبي شديداً كانني جئتُ جرما
فاسمح فانت كريمٌ ابًا وخالاً وعمّا

***

أَمولايَ رفقاً فالدموع سوافحُ وكاساتُ حزني بالمصاب طوافحُ
فسامحْ اذا ما كنتُ ذات جريمةٍ فانتَ كريمٌ والكريمُ يسامحُ
(ثم تقول على قد : « يا من حوى الخد الاسيل »)

وأَرحمْ فقد أَضنى الالمْ جسمي واضواهُ العذابْ
والحزن عندي قد المْ بمهجتي والقلب ذابْ

ب ك قد وعدتُ به
ك ب أَلستَ الذي كان يدعي حبي
ب ك كنتُ اعمى فصرت بصيرًا فعصيتُ قلبي
ك ب ان اندروماك تجثو لديك وابى الله ان تجثو لدى غيركَ من العالمين
ب ك لا تداهني مَن تبغضين
ب ف سِرْ بنا يا وزير (يقول ذلك بغضب ومعرضًا عنها)
ك س وانا اسيرُ لأَلحق ببعلي فهو لي خيرُ مجير ... (وتهمُّ للذهاب)
س ك سيدتي ...
ك س وماذا افعل
ك ب مولايَ رفقًا بقلبي وأَشفقْ على سوء حالي
فأَنت تعلم اني فقدتُ اهلي ومالي
رأَيتُ بعلي قتيلاً يجرُّ فوق الرمالِ
ووالدي الشهم ايضًا قضى بذاك القتالِ
لم يبقَ لي غير طفلٍ من امرتي ورجالي
مولايَ قد ذاب قلبي مولاي رفقًا بحالي
ب ف اذهب يا فنكس وانا اتبعك بعد حين (ويذهب فنكس)

الجزء السادس

بيروس اندروماك سفيز
ب ك س

ب ك سيدتي اين مَن عليهِ تبكين . انا اعلم اني كلما زدتُ تقربًا زدتِ تجنبًا . وقد كنت احسب بغضي اعظم ممَّا ارى . ولكن جرى حكم الغرام بما جرى . انظري اليَّ اترين في عينيَّ حاكم ظالم . أَلا ترين فيهما حنوًّا ثابتًا بانعطافِ

ملازم · واني اسألكِ بابنكِ الذي تحبينه' ان تخففي بغضك وترفعيه · وارجو منك ان تحفظي ابنك وتنقذيه · وهل يقتضي ذاك ان انطرح بين يديكِ · او اجثو على قدميكِ · و بالنتيجة انقذيهِ سيدتي وانقذي ذاتك · واحفظي بحفظهِ حياتي وحياتك · واعلمي اني الاقي دون ذلك اهوالاً ومهالك · ولكنني احبكِ فانا اترك هرميون ان رضيتِ بي · واقدّم لكِ قلبي · والبسكِ من المجد اكليلاً · وارى كل ذلك بالنظر الى ما تستحقين قليلاً · و يجب ان املك مستبدًا فان العاجز من لا يستبدّ · واني في طلب ذلك مجدّ ········· ولا اخاف وعدًا او وعيدا · فانا اموت ان خسرتكِ على اني اموت ايضًا ان زدتِ صدودا · فاعلمي اني ساذهب بكِ الى الهيكل فامّا ان تقبلي فيه اكليل القران وامّا ان اسلّم ابنكِ الى اليونان

(و يذهب)

الجزء السابع

اندروماك سفيز

ك س

ك ك احرق الدهرُ بنارِ كبدي عندما راموا بِشرّ ولدي

انتَ يا هكتور عزّي عضدي سيدي ركني مجيري سندي

***

اقصروا اللومَ وكفوا العذلا لستُ ارضى من حبيبي بدلا

لا وحقّ الحبّ يا هكتور لا ما قيادي يا مليكي في يدي

(تنشد ذلك على لحن : يا غزالي كيف عني ابعدوك)

س ك فلنذهب اذًا و يُسلّم ابنكِ الى اليونان

ك س و بلاه يموت ابني · ابني خليفة هكتور بقية ابطال الزمان · سفيز دعيني ابكِ عليه · او هلمّ نذهب الى بيروس ··· لا لا اذهبي انت اليهِ

س ك وماذا اقول له

ك س قولي لهُ انّ حبها لابنها شديد ···· وهل تظنين ان ما قالهُ عن

عزمه على قتل ابني اكيد

س ك سيدتي سيأتي الان

ك س اذهبي

س ك وماذا اقول . هل اعده عنكِ بالقبول

ك ك (تقول على نغم : ومن عجبي ان الصوارم والقنا)

ايا دهرُ كم بالصابرين تجورُ وما من نصيرٍ في بلاكَ يجيرُ

فسدْ واحتكمْ واظلمْ وعذّبْ كما تشا فانّ فوادي يا زمان صبورُ

س ك (من النغم ذاته)

مهيلاً ستقضي الامرَ آلهة الورى وليس عليهم في الامور عسيرُ

ك ك لقد ذاب يا هكتور قلبي ومهجتي بها من زماني لوعةٌ وسعيرُ

ثم تقول اندروماك مع سفيز

(الاكرك)

اما كفى ما قد جرى فالسقم بالجسم سرى

قد فاز من قد صبرا فالصبر اولى ما ارى

والدهر يبدي العبرا كما يرومُ

***

لقد جنى دهري العنا وحلَّ بالجسم الضني

وقد نأى عنا الهنا والغمُّ وافى ودنا

فارفقْ بنا يا ربّنا انتَ الرحيمُ

الفصل الرابع

الجزء الاول

اندروماك سفيز

ك س

س ك قلبي اشتفى وبدا هلالُ هنائهِ فأضاء في ظلمات ليل عنائهِ
انقذت طفلاً سوف يحيي ذكر من سلفوا ونالوا المجد من آبائهِ
ك س انقذتهُ ٠٠ويلاه ٠٠عزَّ تصبري كيف السبيل الى حفاظ بقائهِ
هيا بنا نلقاه آخر مرةٍ ونذوق خصب البعد بعد لقائهِ
س ك ويلاه ما ٠
ك س ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ لا تعجبي ان كان لا يفدي فؤادي شخصهُ بوفائهِ
هكتور لا تجزع فلست اخون من انفقت عمري في سبيل ولائهِ
هكتور يا خير الورى هكتور يا ليث الشرى والمقتدى بعلائهِ
هكتور انت رجاء قلبي لا سوا ك فكيف يهنا بعد فقد رجائهِ
لبيك اني مثلما شاء القضا افضي وما من دافعٍ لقضائهِ
هذي يدي تقضي لبانة مهجتي بمهندٍ يفري الحشا بمضائهِ
س ك مولاتي بالله ما هذا الكلام
ك س اوّاه يا سميرتي ٠٠٠٠ لا بد لي من شرب كأس الحمام ٠ واترك ابني مشكلة عليكِ ٠ وقد عهدت بتربيته واصلاح حاله اليكِ
س ك لا تزيدي غصتي ٠ فانا اتبعك
واجعلي من حصتي ٠ ان اوافي معك
(على نغم اشرقت شمس الكمال)
ك س ان كنت تحبينني فابقي للاعتناء بابني الا تعلمين انهُ خلاصة السعادة ٠وانه بقية هكتور و بطل تروادة ٠ فانتِ تتولين امره وتسيرين به على

سنن اجداده الكرام · واسألي بيروس ان يحافظ عليه كي لا يضام · واني اقبل ايضاً ان تسأليه في ذلك عني واخبري ولدي في كل يوم انهُ من دم هكتور الجليل · الذي اجود بروحي ولا ارضى منه من بديل

س ك لله ما هذا المقال قد عزَّ مني الاحتمال

ك س من يرحم الفؤادا بين الورى

س ك اما كفى وزادا ما قد جرى

(نغمة تركي «بردل كوزل باندم سنا»)

اصمتي اني اسمع حركةً من هذه الناحية ... فلنذهب هذه هرميون آتية

(وتذهبان)

الجزء الثاني

هرميون كليون

ه ي

ي ه لا اقدر ان اسكت عن تهاونك فالامر مضى · وهوَ سيقترن باندروماك ويتركك تتقلبين على جمر الغضا

ه ي آتيني باورست لنتذاكر فيما يشفيني و يشفيه

ي ه ها هو آتٍ فكانهُ علم بما نحن فيه

الجزء الثالث

هرميون كليون اورست

ه ي و

و ه بلغني انك تسألين عني فأقبلت ولو استطعتُ لسعيتُ على العين والراس

ه و طلبتك لاعلم ان كنت تحبني فازيل عني الالتباس

و ه تسآئلني ان كنت صباً بحبها يجيبك دمعي وهو منك صبيبُ

سلي حسرتي او لوعتي او تذللي فلي شاهدٌ مما تريَن يجيبُ
انتقم لي فاصدقْ بما تقول

و ه لبيكِ يا سيدتي فانا عن القيام بامركِ لا احول · فهلمَّ نضرم النار ثانيةً في اليونان · فانتِ في مكان هلين وانا في مكان ابي اغاممنون ملك ملوك الزمان · ولنجلب البلاء على هذهِ الديار ونجعل اخبارنا تتناقلها الاجيالُ في الاعصار

ه و لا لا فلنبقَ فاني لا ارضي بهذا الكلام · كيف ارى الاهانة هنا واسير الى اليونان منتظرة هنالك الانتقام · ولعمري فاني اريد ان ابكي كلَّ من في ابيره قبل ان اسافر · فاذهبْ الى الهيكل ولطخ سيفك بدمِ هذا الغادر

و ه دم من

ه و بيروس

و ه بيروس سيدتي

ه و نعم نعم فهوَ غادرٌ ولا يحسن الصبر · على اهلِ الغدر

و ه سيدتي ارى ان الغيظ قد اخذ منك كلَّ مأخذ حتى ستر عنك الحقيقة · ننتقم · مناسب · ولكن بغير هذهِ الطريقة · واكون عدوَّ بيروس ولا اكون قاتلهُ · فهو فعلٌ لا يحسن ان اكون فاعله · والاولى ان نثير عليهِ حرباً عادلة تهلك انصارَه · وتخربُ امصارَه · فهل تؤثرين ان اعودَ الى اليونان برأسه بلا سبب · وماذا تكون نتيجة سفارتي فاعدلي اذًا عن الغضب · وافتكري انهُ ملكٌ جليل · وان رأسهُ ذو اكليل

ه و الا تكتفي بحكمي عليهِ · والا ترضي باحتقاري ذنباً يستوجب القتل · فاقتلهُ فانهُ يحسن في عينيَّ هذا الفعل · واعلم اني كنت احبهُ ولا افضل عليه احدًا · وان احتقرني اليوم فيمكن ان احبهُ غدًا · والظاهر انكَ خليُّ البال · لا تبالي بهذه الحال

و ه تقول خليُّ البال عني وما رأت خوافي فوادٍ حشوهنَّ عذابُ
سقامٌ ووجدٌ واحتراقٌ وانها صنوفُ عذابٍ في الغرامِ عذابُ

ه و فانتقمْ لي ان كنتَ صادقًا

و ه سيدتي مناسب يجب قتلهُ ولكن ما العمل وما التدبير · اتريدين ان يدًا واحدةً تقاوم مملكة ابير · واي سبيلٍ الى ذلك تأمرين بقتل ملكٍ ولا تفسحين

لي بفرصةٍ يقتضيها خطر العمل · اتريدين ان اقتلهُ بين شعبهِ حيث ليس بالنجاة امل · وادنس الهيكل بهذا العمل · فاناشدك الالهة · ان تتأنَّي فانني في مساء هذا اليوم اهيئ لقتلهِ امضى الاسباب وفي هذا الليل طوعاً لامرك اقتلهُ

ه و ولكنهُ سيقترنُ باندروماك في هذا النهار · وماذا يعوقكَ عنهُ فهو يقدّم لكَ رأسهُ لتضربهُ وهوَ بلا حرس

اورست بنفسه

خلّدتَ يا حبُّ ذكرَ الهمِّ فيخلدي — وكابدتْ منكَ انواع العنا كبدي
فماتَ صبري وهبَّ الدمعُ يندبهُ — حتى بكاهُ بكا امٍّ على ولدِ
ما زلتَ تطلبُ صبري غير متئدٍ — حتي تسلمتهُ مني يدًا بيدِ
فليتَ شمسك لم تشرقْ على وطني — وليتَ بدرك لم يطلعْ على بلدي
لكلِّ صابٍ على علاّتهِ امدٌ — الا أذاكَ فلا يجري الى امدِ
يا من أُصيبتْ بسهم الهمِّ مهجتهُ — اصبرْ فما في الورى خالٍ من النكدِ
واستوقف الدمعَ ان نالتكَ نازلةٌ — فانَّ دهريَ لا يبقي على احدِ

ه و ويلاهُ قد اطلتَ الجدال فحقَّ لي الملل · واراكَ تريد ان تشكو ابدًا ولا تجري شيئًا · فلا تعتبْ اذا لم تنلْ شيئًا

و ه
لله ما يفعلُ الغرامُ — فلا اعتذارٌ ولا ملامُ
صبرًا على كلِّ ما قضاهُ — للحبِّ يا مهجتي احتكامُ
طوعًا لما رمتِ من محبٍّ — فانكِ القصدُ والمرامُ
فسوفَ يلقى بيروسُ مني — فتىً لديهِ طابَ الحمامُ
واليوم تبدو سوقُ المنايا — وبيننا ينصفُ الحسامُ
ان لم امتْ في الوغى قتيلاً — لا ندَّبت فقديَ الكرامُ
تفديك روحي وانت روحي — اليَّ مني فلا الامُ

ه و رحْ ولتكنْ السفن مهيأةً لركوبنا في الحال

(اورست يذهب)

الجزء الرابع

هرميون كليون

ه ي

ي ه سيدتي اضعتِ رشدكِ في هذه الاعمال

ه ي نعم لا بدّ من الانتقام فليمتْ لأشتفي من حزني . واذهبي يا كليون واخبري اورست ان يقول لهُ عند قتلهِ ان بقتلهِ عني

ي ه سيدتي ارى الملك مقبلاً

ه ي سارعي اذًا وقولي لاورست ان لا يجري شيئًا قبل ان يقابلني

الجزء الخامس

بيروس فنكس هرميون

ب ف ه

ب ه اراكِ الان ولا ريب انك تريني ذات استغراب . وقد رغبتُ في مقابلتكِ لا بوعيدٍ او وعدٍ كذاب . بل لاخبركِ ان جرمًا ارتكبتهُ بالرغم مني يقودُني اليكِ بنفسٍ ذللها الوزر . وهي تطلب العذر . اني احب ترواديةً وقد عزمتُ على الاقتران بها على معرفة ما بيننا من العهود . التي لم تبرمْ على وجهٍ شرعي . وقد تعذّر عليَّ ان اجعل هذه العهود تتغلب على ميل نفسي . وما كنتُ لولا ذلك لانقضَ عهدي . واخلف وعدي . فلكِ الان ان تسميني خائنًا او منخلع القلب اذا لم تؤثري الصفح عن قلبٍ قيدهُ الغرامُ فاصبح لا يستطيعُ منهُ انفكاكًا . واصبحتُ لا ارى لهُ في غير هواهُ حراكًا . واني لاخاف سكوتك اكثر مما اخاف كلامك

هو الحبُّ حتى ينفد العزمُ والصبرُ — وما الحبُّ الا الذلُّ والهولُ والامرُ
فلا منجدٌ ان جار وهوَ محكمٌ — ولا منقذٌ من حكمهِ ولهُ الامرُ
اذلَّ فؤادي وهوَ في العزِّ رائعٌ — واوهن عزمي بعد ما نالهُ النصرُ
ومن عجبي اني اخوضُ الوغى ولا — أُبالي وقد غصَّت بها البيضُ والسمرُ
واُغشى الظبي والموتُ رهن مضائها — واخشى الظبا حيًا ومسكنها القفرُ
وها انا في ذا الحبِّ رهنُ احتكامهِ — وحيدٌ وما قولي كذا ومعي الصبرُ

ه ب اين المروءة شيمة الابطالِ — والصدق في الاقوال والاعمالِ
اين الوفا شأنُ الكريم واين من — نادى انا ابنُ مذلّل الافيالِ
من كان لا يلويه ليثُ رهبةً — عن عهدهِ يلويهِ لحظ غزالِ
بطلٌ تحاذرهُ الاسودُ اذا سطا — و يروعهُ ظبيٌ بغير نزالِ
يامن اتاني بعد ان نقض الولا — قد هجت بلبالي ولست تبالي
أكبرت نفسك وهيَ صغرى بالهوى — ورضيت بعد العزِّ بالاذلالِ
عارٌ عليك عليك عارٌ دائمٌ — يبقى مدى الاعصارِ والاجيالِ

ب ه سيدتي يجب ان تسدي الآلهة شكرًا على ما سهّلت لنا من سبلِ الانفصال · لانهُ يلوحُ لي ان قلبينا لم يخلقا ليكون بينهما اتصال · وقد كان علينا ان نطيل الاختبار قبل ابرام العهود · اما الان فلا يصحّ ان ينسب الى احدنا خيانةٌ او اخلاف وعود · فان الخيانة انما تكونُ بنقض الوداد وهو امانة · فان لم يكن ودادٌ فكيف تكون الخيانة · وانتِ تعلمين اني لم افعل ما يحملك على حبي · فربما كنتِ بذلك تكرهين قربي

ه ب اتنكرُ حبي والمدامعُ تبديهِ — و ينشرهُ سقمي وصدُّك يطويهِ
اتيتك والامالُ ملءُ خواطري — وقلبيَ يصفو والزمانُ يصافيهِ
فعاملتني بالغدرِ يا ساقط الوفا — واورثتني سقمًا تراهُ و ترويهِ
وما زال قلبي وافيًا وهو ذائبٌ — متى انت تشفيهِ وحتى مَ تشقيهِ

على انهُ اذا كان لا بدّ من انفاذ مرامك فاسمح لي ان يتمّ ذلك بعد ذهابي · ولا تزدْ بمرأى خيانتك عذابي · واني اعدك بسرعة المسير · فلا تجزع من التأخير · · · · · ما بالك لا تجيب · · · · · · لا بأس فانك مصيب · فانت تحسبُ الدقائق التي

تصرفها معي الآن تعوقك عن مشاهدة اندروماك · افرح واهنأ بقربها وقدّم لها قلبك في الهيكل ولكن خف ايضاً من ان تراني هناك

(وتذهب)

الجزء السادس

بيروس ب   فنكس ف

ف ب مولاي سمعت وعيدها فلا تأمن عاشقةً وقعت في اليأس وهي تطلب الانتقام · فانّ اليونان الذين هنا يساعدونها واورست لا يزال بها ذا غرام · فافتكر فيما قلت وحاذر …

ب ف ان اندروماك تنتظرني لحافظ انت على ابنها بالعساكر

ف ب الامر اصبح يا ناصري   في خطرٍ يحذرُ من غادرِ
ذلك مايخطر في خاطري   والامر في ذلك للآمرِ

(على لحن « لحظك يا بدر غدا ظالمي »)

ف بنفسه (يقول على لحن « مشرق بالحسن بدري »)

قد غدا خوفي عظيماً   ايها الملكُ الهمام
وارى خطباً جسيماً   قاضياً بالاهتمام
كن بما نبدي حكيماً   نال ذو الرشد المرام
فهيَ قد زاد جواها   بمعاناة الغرام
واذا زاد بلاها   رغبت في الانتقام
لا تقل عزمي وحزمي   وجنودي والمقام
وذكا عقلي وعلمي   وثباتي في الصدام
كم بعوضٍ دون عزمٍ   اسدٌ منها يضام

فكرك السامي سليمُ فاذا ضلّ نلامْ
ايها المولى الكريمُ احسن اللهُ الختامْ

الفصل الخامس

الجزء الاول

هرميون

ه

ه لذاتها

اين رشدي . . ماذاجرى . . ما احتيالي كيف انجو من البلا والوبالِ
فغرامٌ غريمُ قلبٍ كليمٍ وظلومٌ بنكبتي لا يبالي
جارَ ظلماً نخار قلبي وراح الـ ـهم يشقيهِ وهوَ ناعم بالِ
لا لعمري فسوف يلقى جزاهُ يا الهي رفقاً بهِ وبحالي
كيف يقضي وحبهُ في ضميري وبهِ لوعتي ومنهُ انتحالي
ربما عاد عادلاً بعد ظلمٍ انت ترجو يا قلب عين المحالِ
فليمتْ . . فليمتْ . . ولكنْ فؤادي عنده قد ثوى بدون ارتحالِ
كيف اقضي بقتلهِ وهوَ روحي اين رشدي . . ماذاجرى . . ما احتيالي

الجزء الثاني

هرميون　　　كليون

ﻫ　　　ي

ﻫ ي　ما وراءك يا كليون · ماذا فعل بيروس

ي ﻫ　رأيته ذاهباً الى الهيكل وقد لعب الطرب بعطفيه · واندروماك بين يديه · وهو ينظر اليها · نظر من لم يصدّق بالحصول عليها · اما هي فقد رأيتها تسير وهيَ حزينة كان هكتور نصب عينيها

ﻫ ي　يا للخيانة · وهل تأملت فيهِ وهو على تلك الحال · ألم يخجل عند ما رآك

ي ﻫ　انه لم يسأل عن هذا الامر · فان السرور انساه القصر · وهرميون وجميع البشر · وقد اقام الحرس لحفظ ابن هكتور زاعماً ان الغلام وحده في خطر ·

ﻫ ي　وماذا قال لكِ اورست

ي ﻫ　دخل هوَ واصحابه اليونان الى الهيكل

ﻫ ي　وهل هوَ مستعدٌ لتتميم الامر

ي ﻫ　لا اعلم

ﻫ ي　ماذا تقولين ··· اورست ايضاً يخدعني و يقابلني بالغدر

ي ﻫ　اورست عبدُ غرامك · ولا يروم الا تتميم مرامك

لكنهُ بين المخافةِ والرجا　　يسري ولا يدري فاصبح فاكرا

اضحى يطالبهُ الغرام بقتله　　والرشدُ يثنيه فاضحى حائرا

ﻫ ي　لا لا انهُ جبانٌ لا يخافَ الاَّ الموت · ألا يتذكر الساقط الهمة ان امي اثارت من اجلهِ حرباً دامت عشر سنين وقتل بها عشرون ملكاً وانا اسألهُ وهو يدّعي حبي قتل خائن غادر فلا يجيب

يا مهجتي زاد البلا فتزلزلي　　مما جرى غماً ولا تتعللي

بئس الحيوة فلستُ اؤثر حفظها يا مهجتي سيموتُ من لم يقتلِ
فلاشفين النفس ثم اميتها فاذا اشتفت فكأنني لم افعلِ

الجزء الثالث

هرميون كليون اورست
ه ي و

(اورست يدخل وثوبه ملطخٌ بالدم وبيده خنجرٌ يقطر دمًا)

و ه قد تمَّ الامر . وبيروس لاقى في الهيكل جزاء الغدر

ه و مات (تقول ذلك سائلةً بلهفةٍ وارتعاد)

و ه اجل لقد تمَّ امركِ فاني سرت الى الهيكل باصحابي اليونان فنظر اليَّ الخائن غير مبالٍ بي وادنى منه اندروماك وتوَّجها قائلاً ملكتكِ نفسي وابيره واني لاحفظ ابنك ولو طلبه الثقلان . فلما سمع اصحابي هذا الكلام . هاجوا وماجوا وطاب لهم شرب كأس الحمام . فاخترقت بهم الجمع وبات بيروس محاطًا بهم لا يعلم من اين يأتيه البلاء

رأى أُسدًا ما راعها الموت في الوغى يروعُ قلوبَ العاشقين زئيرُها
تدكُّ الجبال الراسيات بعزمها وان سُلَّ سيفٌ تلتقيه صدورُها
واسيافها والموت رهن مضائها حداد مواضٍ ليس يطفى سعيرُها
احاطت بهِ كالعاصفات فلم يكن ليدفعها ردًّا وعزمي يثيرُها
انا ابن الذي لا يرهب الموت قلبهُ وتحمدهُ الاحياء وهوَ نصيرُها

ه و ما الذي فعلوا (تقول ذلك بيأسٍ شديد)

و ه ارجوكِ المعذرة فان غيظهم افضى بهم الى العجلة واني اعلم انك تؤثرين ان اكون انا قاتلهُ دون غيري ليعلم وهو يلاقي الموت انه يموت عنكِ وبكِ ومنكِ

ه و لا كنتَ يا قاتل الشهم الكريم ولا لقيتَ أُنسًا ولا ذقتَ السرور ولا

لبستَ يافظُ عارًا لستَ تنزعـهُ مدى الزمان فرحْ ياابن الطغاة الى

و ه يا للعجب مولاتي كيف تأمرين ثمَّ تغضبين اذا نفذ امرك

ه و وهل كان من الحزم ان تجاري عاشقةً ذهبت الغيرة بعقلها حتى هوَّنت عليها ما لا يهون اما كان عليكَ ان تراجعني مئة مرة قبل العمل .... فانتَ المذنب انتَ الظالم انتَ القاتل انتَ المطالب بدم ذاك البطل

قتلتكَ السماء قتل اللئام وسقتك الصروف كأس الحمام
رحْ ودعني فلم يعُد من مرامي ترك هذي الديار فهيَ مقامي

(تقول هذا وتخرج)

الجزء الرابع

اورست

أورست لنفسهِ ....

اما والنهى لم يبق دهري على رشدي فمن منجدٌ قلبًا اُصيب على عمدِ
جنود الاسى قد نازلت ربع مهجتي فما حال فردٍ بين ذلكمُ الجندِ
كاني والاهوال زندٌ ودملجٌ يضيق ولا ينفكُّ عن ذلك الزندِ
كأنَّ البلا جاري وقد الف الوفا وعاهدني قربًا فدام على العهدِ
كأنَّ بنات النائبات شغفنَ بي فواصلنني وصل المقيم على الوجدِ
يقرّبُ مني الدهر من لا ارومهُ و يقربني ممن يطيب لهُ بعدي
تقلص ظلُّ الانس عني واقفرت ربوع سروري وانقضى اجل السعدِ
مصابٌ وذنبٌ وارتياعٌ وحسرةٌ تعدّدت البلوى على واحدٍ فردِ
اثبط عزمًا ضعضعتهُ نوائبٌ وامنع رُشدًا بالضلالة يستهدي
اطعتُ الهوى وهوَ الهوانُ معللاً بآماله نفسي فخاب بهِ قصدي
قتلتُ مليكًا ايدتهُ يد العلى وقاومت شخص العزمِ والحزمِ والمجدِ

وخالفتُ شرعَ الملك والوطن الذي ... وجدت لاحمي مجدهُ في الورى جهدي
وذلك طوعـاً للغرامِ وانـهُ ... غريمٌ على رغمي عدوٌّ على عمدِ
لك اللهُ يا من ذدتُ عنها فاعرضت ... وقد قابلتني بالتجنب والصـدِّ
رويدكِ مـا هذا الصدود وانني ... تقمصت عاراً كي اقابل بالضدِّ
فحمتُ المنايا والظبي تقرعُ الظبي ... ويحمل وخزَ الشوك مقتطف الوردِ
فيا زمن الاهوال حسبك ما جرى ... وقدك اجتراءً يا زمان بما تبدي
ويا موت ما اشقى بعادك عن فتىً ... تضيقُ عليه فسحة الغور والنجدِ
حنـانيك جد لي باللقاء وانني ... اليف عنا لم يبقِ دهري على رشدي ...

(يقول ذلك كمن سلب عقلهُ)

الجزء الخامس

اورست و بيلاد
و د

(بيلاد يدخل مسرعاً مرتعد الفرائص ومعهُ بضعة رجال من اتباع اورست)

د و سيدي يجب ان نخرج من هذا المقام . او نستعد للاقاة الحمام . فان اصحابنا اليونان . يمنعون الباب الان . وقد اجتمع الشعب وسارت فيه اندروماك طالبةً للانتقام . فانها اصبحت بعد مقتل بيروس ارملته الحقيقية ونائبته في الاحكام وربما كانت ترغب في الجميع ادراك ثأره وثأر بعلها فلنخرج ما دام القوم منشغلين عنا بامر هرميون فنبلغ السفن قبل فوات الفرصة

و د لا لا فقد الف البلابل خاطري ... يا نفس لا تخشي البلابل خاطري
اني لا تبع هرميون فسر ولا ... تنقذ اخـا جرمٍ اليف جرائرِ
د و دع ذكرها مولاي واعلم انها ... قتلت فصارت مثل امس الغابرِ

و د ماتت ....

د و ... اجل مذ عاينت محبوبها صاحت رويدًا بالمليك السائرِ
ماذا دهاهُ فدنهُ نفسي هل قضى ويعيشُ قلبي لبس عنهُ بصابرِ
وتسنمت صخرًا ونادت قد دنا يوم اللقاء بذيــ صدودٍ نافرِ
وبخنجرٍ طعنت حشاها طعنةً فجرت دماها كالغدير لناظرِ
وتنهدت والموت ارعش جسمها ففدت جوارحها كجنحِ الطائرِ

و بنفسهِ .

امطري ايتها السماوات سحب غضبك .... ولا تبقي .... ولا تذري .... وارميني بسهام النوائب عن قوس الانتقام ... واجعلي لي في وهدة اليأس مقاما ... الباس انا .... من اوجدت لنظري بهِ مثال غضبك .... ليكون انموذجاً للتعاسة .... نعم وقد استحكمت علاقات المصائب ... وباتت نفسي في دائرة اليأس ... فلا يخرجني منها غير الموت ... نعم الموت ... نعم الموت

ارشدوني اين جسم العاشقين لست اطوي بيننا شقة بينْ
واجمعوا افئدةً لم تأتلفْ بودادٍ واقتلوا عينًا بعينْ
يا لقومي قد سجا ليل البلا بين بلبالٍ واهوالٍ وبينْ
ما احتيالي خانني الصبر وقد بات عزمي اثرًا من بعد عين
لا ارى غير دمٍ حولي جرى اين رشدي ياخا الارشاد اين

د و سيدي ....

و بنفسهِ

ماذا أرى .. بيروس عدتَ فكيف قد انقذتَ نفسك كي تراني حيثما ..
هذا هوَ الجرح الاخير .. اجل وذا دمك الذي يجري .. فيا لله ما ..
ذي هرميون لديَّ ضمت جسمهُ لتذود عنهُ ... وهيَ تصرخ كلما ..
ترنو اليَّ بلحظ منتقمٍ كما هاج المقاتل عند ما نظر الدما
ونقودُ من جنس الابالس عسكرًا واراقمًا تسعى وتنفثُ عند ما

(هنا يذهب بيلاد)

مهـلاً بنيأت الجحيم فـانني رجلٌ الى هذا العذاب تقدّمـا
لمن الاراقم ... فهي فوق رؤوسكن فهل سعت سعياً لتلسعني كما ..
بادرنَ نحوي لا تخفنَ ممـانعاً .. اتاذنَ جسماً للعذاب مسلما
وافتحنَ لي باب الجحيم .. كفى كفى .. عـاينته سجناً مخيفاً مظلما
(يقول كفى كفى .. كمن رأى شيئاً مخيفاً بقوله افتحن لي باب الجحيم)

(ثم يصرخ قائلاً)

مرّحنَ لي هذي الاراقم علها تقضي بقتلي فهيَ فـاغرةٌ فما
لا لا ... فهذي هرميون تقدمت ترمي فؤادي من لظاها اسهما
لا تجفلي ....
......ها مهجتي لا ترجمي فلقد وفت قبل الفراق وبعد مـا
(بقوله لا تجفلي) يخاطب هرميون كأنهُ يتصور وجودها و يقول البيت الاخير بصوتٍ منقطع من اليأس و يسقط سقوط من لا يعي على شيء واذ ذاك يحضر بيلاد ومعهُ اصحاب اورست اليونان فبوصولهم الى المرسح ومشاهدتهم اورست بتلك الحالة ترتعد فرائصهم و يصفقون الجميع صفقة اليأس ثم يتقدم بيلاد نحو اورست فيراهُ قد قضى نحبهُ وهكذا يسدل الستار وتختم هذه الرواية)